الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

لدى الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين

كتاب يشتمل على عرض مفصل لاحتساب الأنبياء والمرسلين
(إبراهيم - موسى - سليمان - محمد (صلى الله عليهم وسلم))
وكذا الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

إعداد

أبي فاطمة عادل بن طاهر المقبل الدكتور محمد نور الدين

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

لدى الأنبياء والمرسلين والصحابة
والتابعين وتابعي التابعين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى.

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م.

الاحتساب

على السحرة والكهان والمنجمين

لدى الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين

كتاب يشتمل على عرض مفصل لاحتساب الأنبياء والمرسلين
(إبراهيم - موسى - سليمان - محمد (صلى الله عليهم وسلم)
وكذا الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

إعداد

أبي فاطمة عادل بن طاهر المقبل الدكتور محمد نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجموعة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

وبعد: فإنَّ أصدق الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

اللهم صل علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ أزواجه أمهات المؤمنين وعلىٰ ذريته وآل بيته كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

إن السحر داء عظيم، ومعصية موبقة، وهو من أكبر الكبائر، إذ أنه باب للشرك عظيم لا تكاد تجد بابًا هو أكبر منه في الإشراك بالله تعالىٰ، والكفر به، وقد ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الشرك حين قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». وهو شرك كبير قديم موغل في القدم ، يتنزه عنه ويبعد عنه كثير من الكفار والمشركين، إذ كانوا يصمون ويتهمون رسلهم بهذا الأمر الذىٰ هو منكر مذموم عند المؤمنين وعند الكافرين، فهو أمر تأباه الطباع السليمة وتنفر منه الفطر المستقيمة، إنه معصية لله تعالىٰ كبيرة بل من أكبر الكبائر، وهو كذلك شيء يهلك الحرث

والنسل، وسبيل لنشر الفساد العريض في الأرض، ففيه مع الشرك بالله: كل موبقة ومعصية فيه القتل وسفك الدماء، وتعطيل الجوارح، وإفساد ذات البين، وتفريق بين المرء وزوجه وبين الأب وأبنه، والأبن وأمه وأبيه، وتفريق بين كل حبيب وحبيبه، وقلب للأمور بتحبيب البغيض، وأكل لأموال الناس بالباطل ونشر للفواحش والرذائل، وحدث كيفما شئت عن المفاسد، وما تحدث مهما أكترث فلن يعدو أقل مضار السحر وبلاياه، من أجل ذلك تتابع أنبياء الله ورسله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والمخلصون من عباده من الصديقين والصالحين والعلماء العاملين علىٰ الاحتساب عليه ومحاربته ومكافحته، وكذلك احتسبت الدول والممالك الإسلامية عليه؛ حماية لدين الأمة ، وكذلك حماية للدولة وأمنها واستقرارها، بل أن ممالك غير إسلامية قاومت السحر وأحرقت السحرة لما رأت خطورتهم وما يحدثونه من أنواع المفاسد، وقد احتسب العلماء علىٰ السحرة والكهان، وإن أول من احتسب علىٰ السحرة والكهان خيار عباد الله وأقومهم بأمره ونعنىٰ الأنبياء والمرسلين، فإنهم تتابعوا علىٰ ذلك حتىٰ ختموا بسيدهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نسج علىٰ منوالهم، ودرج علىٰ طريقتهم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحواريوه وكذلك مضىٰ من جاء بعدهم بإحسان حتىٰ يوم الناس هذا.

وفىٰ هذا الكتاب وهذه المجموعة حديث عن هذا التاريخ العظيم من الاحتساب علىٰ السحر والسحرة والكهان والمشعوذين والدجالين، فنبدأ

بعون الله وتوفيقه بالحديث عن معرفة الناس بالسحر منذ أقدم عصور البشرية، ونذكر مقدمات مهمة فيها بيان أول من ذكر القرآن اتهام قومه له صراحة بالسحر وهو صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم شعيب، ثم تتابع الأمم علىٰ ذلك، ثم بيان قدم هذه المعصية النكراء، ثم حديث عن أول من بين القرآن احتسابه ومقاومته للسحر ومناظرته لأهله وهو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإن كنا نعتقد أن الأنبياء جميعاً نهوا عن هذا المنكر العظيم، الذىٰ هو شرك به تعالىٰ، فنتحدث عن إبراهيم أول المحتسبين علىٰ السحرة، والمنجمين عبدة الكواكب، ثم عن موسىٰ ثم عن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثم عن سيد المحتسبين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم في البحث حديث عن احتساب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ثم هناك حديث عن احتساب العلماء العاملين علىٰ السحرة والكهان عبر تاريخ الأمة، ثم حديث عن احتساب الممالك والدول: الاحتساب علىٰ السحرة في عهد الدولة الأموية، ثم العباسية ثم دولة الإسلام في الأندلس، ثم الدولة النورية الأيوبية، ثم الدولة المملوكي، ثم ممالك الأعاجم كالهند والسند، ثم الاحتساب عليهم ثم الدولة العثمانية، ثم في التاريخ المعاصر، ثم حديث عن الاحتساب في الممالك الأسيوية، والأفريقية، ثم الاحتساب في ظل الدولة السعودية الأولىٰ والثانية، ثم الختام بالدولة السعودية الثالثة، وأنت واجد في هذا البحث حديثاً مفصلاً عن السحر والسحرة والكهان وأساليبهم ووسائل سحرهم، فستجد فيها بحثاً مفصلاً عن العقد وإعدادها واستعمالاتها، وكيفية حلها وفكها، وبحثاً

آخر عن الطلاسم وأنواعها وإبطالها، وبحثًا عن استخدام السحرة لحروف أبىٰ جاد واستعمالاتها، وواجد أيضًا حديثًا عن علاقة السحرة بالنجوم والكواكب فهذه المجموعة تحذير من هذا البلاء الذىٰ عم وطم فلم يدع مكانًا ولا زمانًا، وهو في المجتمعات المتحضرة، كما أنه في أكثر المجتمعات بعداً عن ذلك في الادغال وفىٰ أطراف الأرض، فهذا البحث مفصل متخصص للتحذير من هذا الشرك وهذا الفساد، وإننا لنرجو أن يكون ضياءا ونورا وزادا لكل محتسب علىٰ هؤلاء المارقين.

وإننا لنسأل الله الإخلاص والتوفيق والقبول، والحمد لله رب العالمين.

الخطة العامة للكتاب

يتكون الكتاب من مدخل وأربعة بحوث وهي على التفصيل التالي:

المدخل وفيه:

التعريف بالحسبة وأهميتها مع بيان أهمية الاحتساب على السحرة وإخوانهم.

أما البحوث الأربعة فهي:

البحث الأول: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

البحث الثاني: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

البحث الثالث: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

البحث الرابع: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

المدخل

ويشتمل على:

أولا: الحسبة: تعريفها، وأهميتها.

ثانيا: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل.

أولا: الحسبة: تعريفها، وأهميتها

للحسبة في دين الإسلام منزلة عالية رفيعة، ولها آثارها الحسنة في الدنيا والآخرة، وبها صلاح الدين والدنيا، وبها وبالإيمان بالله تنال الأمة الخيرية وتعلو علىٰ كل الأمم، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

والحسبة هي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبها يقوم أمر الدين عقيدة وشريعة، وتصلح أمور الناس ومعايشهم، وتذهب المنكرات والفواحش والموبقات، وللحسبة شغل بأمر السحر والسحرة، والكهانة والدجل والشعوذة والتنجيم، وما يتبعها ويشبهها من أمور تقدح في عقائد الناس، فهذه الأمور دعوة للشرك بالله في العلم الذي تفرد به سبحانه إذ يوحون إلىٰ أوليائهم قدرتهم علىٰ الاطلاع علىٰ الغيب والإخبار به، كما يشركون بادعائهم مشاركة الله تعالىٰ في جلب النفع وكشف الضر، كما أن هذه الأمور تجر أضرارا بالغة علىٰ الناس في دنياهم -بإذن الله- وهي بعد اكل لأموال الناس بالباطل؛ فتقوم الحسبة بكف أذىٰ هؤلاء، ويقي الله بالمحتسبين الخلق شرهم ويحفظ بهم دينه.وسنذكر في هذا المدخل نبذة يسيرة عن الحسبة؛ تتناول تعريفها لغة، وشرعا، وبيان أهميتها إجمالا، وربط ذلك بموضوع الاحتساب علىٰ السحرة وإخوانهم.

(١) الآية ١١٠ سورة آل عمران.

الحسبة: لغة

جاء في تاج العروس: احْتَسَبَ فُلاَنٌ عَلَيْهِ: أَنْكَرَ عليه قَبِيحَ عَمَلِه ومنه المُحْتَسِبُ[١].

وفي لسان العرب: الحِسْبةُ مصدر احْتِسابِكَ الأَجر علىٰ اللّه تقول فَعَلْته حِسْبةً واحْتَسَبَ فيه احْتِساباً والاحْتِسابُ طَلَبُ الأَجْر والاسم الحِسْبةُ بالكسر وهو الأَجْرُ. والاحتِسابُ في الأَعمال الصالحاتِ وعند المكْرُوهاتِ هو البِدارُ إِلىٰ طَلَبِ الأَجْرِ وتَحْصِيله بالتسليم والصبر أَو باستعمال أَنواعِ البِرِّ والقِيامِ بها علىٰ الوَجْهِ المَرْسُوم فيها طلَباً للثواب المَرْجُوِّ منها[٢].

وقد علق الشيخ مصطفىٰ المراغي علىٰ ذلك في كتاب الحسبة فقال: فظاهر عبارة اللسان تدل علىٰ أن المحتسب مأخوذ من احتسب أجراً عند الله إذا اعتده وادخره، وصريح عبارة «القاموس» ترشد إلىٰ أنه من احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه، ومن البين أن المناسبة جلية في أخذه من المعنىٰ الأول كما أشار

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي: مادة حسب (ج ١ / ص ٤١٤)تحقيق عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي وزارة الإرشاد الكويتية، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.، القاموس المحيط (ج ١ / ص ٤٨) تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.، المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ج ١ / ص ٤٨٥)تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور: (ج ١ / ص ٣١٤)، دار صادر - بيروت الطبعة الأولىٰ.

إليه صاحب «اللسان» إذ طلب الأجر أسبق في الفكر لدىٰ المحتسب من إنكار عمل غيره ومنعه من فعله، وإن كان هذا يحصل تبعًا وعرضًا لا قصداً أوليًا من العمل[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: الْحِسْبَةُ لُغَةً: اسْمٌ مِنَ الاِحْتِسَابِ، وَمِنْ مَعَانِيهَا الأَجر وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالنَّظَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فُلاَنٌ حَسَنُ الْحِسْبَةِ فِي الأَمْرِ إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّدْبِيرِ لَهُ.وَمِنْ مَعَانِي الاِحْتِسَابِ الْبِدَارُ إِلَىٰ طَلَبِ الأَجْرِ وَتَحْصِيلِهِ.وَاسْمُ الْفَاعِلِ الْمُحْتَسِبُ أَيْ طَالِبُ الأَجْرِ. وَمِنْ مَعَانِيهَا الإِنْكَارُ يُقَال: احْتَسَبَ عَلَيْهِ الأَمْرَ إِذَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ[٢].

إذن للحسبة معنىٰ عاما هو طلب الأجر في العمل، وهويشمل كل ما يفعله مسلم من معروف، وما يتركه من منكر، وللحسبة معنىٰ خاصا، وهي تكليف ولي الأمر شخصا للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعطىٰ سلطة تخوله من فعل ذلك. ومما جاء في السنة بالمعنىٰ العام حديث: راشد بن حبيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل علىٰ عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعوده في مرضه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتعلمون من الشهيد من أمتي فأرم القوم

(١) الحسبة: أحمد مصطفىٰ المراغي ص١١تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغول، الجزيرة للنشر والتنوزيع: ٢٠٠٥ م.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج١٧ص٢٢٢ باختصار: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣..ومصادر المادة: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٠، ولأبي يعلىٰ ص ٢٦٦، ومعالم القربة ص ٧، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٦.

فقال عبادة ساندوني فأسندوه فقال يا رسول الله الصابر المحتسب فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن شهداء أمتي إذا لقليل القتل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة والبطن شهادة والنفساء يجرها ولدها بسرره إلىٰ الجنة قال (وزاد أبو العوام سادن بيت المقدس) والحرق والسل[١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية**»[٢].

الحسبة: شرعا:

عَرَّفَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ الحسبة: بِأَنَّهَا الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا ظَهَرَ تَرْكُهُ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا ظَهَرَ فِعْلُهُ[٣].

وعرفها المراغي تعريفا شاملا هو أليق بموضوع بحثنا، فقال: مفهوم الحسبة شرعا: ولاية دينية يقوم ولي الأمر -الحاكم- بمقتضاها بتعيين من يتولىٰ مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقا لشرع الله تعالىٰ[٤].

أما المحتسب فهو: مَنْ نَصَّبَهُ الْإِمَامُ، أَوْ نَائِبُهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ،

---

(١) رواه أحمد ج ٣٢ص٢٠٤حديث١٥٤٢٦، وهو في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم١٣٩٦ - (ج ٢ / ص ٧٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ج١ص٤١، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ج٥ص٢٠٦.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج١٧ ص٢٢٣.

(٤) الحسبة: الشيخ المراغي ص١.

وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ، وَمَصَالِحِهِمْ[١].

وذكر العلماء ما يختص به المحتسب عن غيره من المسلمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فقالوا: الْمُحْتَسِبُ هُوَ: مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا ظَهَرَ تَرْكُهُ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا ظَهَرَ فِعْلُهُ. قَال تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وَهَذَا وَإِنْ صَحَّ مِنْ كُل مُسْلِمٍ لَكِنَّ الْمُحْتَسِبَ مُتَعَيَّنٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ وِلاَيَتِهِ، لَكِنَّ غَيْرَهُ فُرِضَ عَلَيْهِ عَلَىٰ سَبِيل الْكِفَايَةِ، كما أن للمحتسب اسْتِتَابَةِ الْمُخَالِفِينَ، وَتَحْذِيرِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَعْزِيرِهِمْ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَلِيقُ مِنَ التَّعْزِيرِ عَلَىٰ قَدْرِ الْجِنَايَةِ، وإذا لم تَظْهَرْ الْمَحْظُورَاتِ فَلَيْسَ لِلْمُحْتَسِبِ أَنْ يَتَجَسَّسَ عَلَيهَا وَلاَ أَنْ يَهْتِكَ الأَسْتَارَ حَذَرًا مِنَ الاِسْتِتَارِ بِهَا، فَقَدْ قَال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ»[٢].

أَرْكَانُ الْحِسْبَةِ

للحسبة أربعة أركان هي: الْمُحْتَسِبُ، وَالْمُحْتَسَبُ عَلَيْهِ، وَالْمُحْتَسَبُ فِيهِ، وَنَفْسُ الاِحْتِسَابِ. [٣].

---

(١) معالم القربة في طلب الحسبة: محمد بن محمد القرشي ص ٢ تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد المطيعي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م. .

(٢) رواه البيهقي في السنن ج٨ص ٣٢٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٢٣٩٥ وراجع الموسوعة الكويتية: ج١٠ ص١٦٨.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ١٧ ص٢٣٥.

من شروط المحتسب:

يقوم المحتسب بمهمة جليلة، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحتسب داع إلىٰ الله تعالىٰ، ودعوته لابد أن تكون علىٰ علم صحيح، ودراية بما يحتسب عليه وفيه، فهو داع إلىٰ الله وقد قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّمَا يَأْمُر وَيَنْهَىٰ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُر بِهِ وَيَنْهَىٰ عَنْه[٢].

وعليه فالمحتسب في أمر السحر لابد وأن يكون بصيرا بأمر السحر والكهانة، وأفعال السحرة والكهان والمنجمين، وأن يعرف أن السحر علم ولكنه علم يضر ولا ينفع، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]. فقد بين ربنا كون السحر علما في

---

(١) الآية ١٠٨ سورة يوسف.

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم: للنووي (ج ١ / ص ١٣١)المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

(٣) الآية ١٠٢ سورة البقرة.

قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

وقال ربنا سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[١].

فلابد أن يعرف أن السحر علم له أصوله وفروعه، وله حروفه وأرقامه وعقده وطلاسمه، كما ينبغي علىٰ المحتسب علىٰ السحرة والكهان والمشعوذين أن يكون حريصا علىٰ طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذا رأي وقوة، محافظا علىٰ أذكاره وأوراده، مكثرا من ذكر الله، فإنه يكون محفوظا من الشياطين كما بين ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّىٰ لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»[٢].

ويكون كذلك متصبحا بسبع تمرات، سالكا سبيل المحتسبين من الأنبياء والصالحين من عباد الله، وذلك أن المحتسب في باب السحر والكهانة يواجه شياطين الإنس والجن، وهو محارب لهم مبطل لعملهم وسعيهم، فينبغي أن يكون متحصنا متسلحا، وهذه أعظم أسلحته.

---

(١) سورة يونس الآية ٧٩.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث رقم ٤٤٣١ وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ومعرفته بذلك تجعله عالما بحيل السحرة، وضلالاتهم، وشبههم، بصيرا بما يجعل أمرهم مكشوفا، وحجتهم داحضة. لا يفتتن بشبه السحرة، وتلبيسات الكهان، ومخاريق المنجمين، ولا تنطلي عليه حيلهم وحيل المشعوذين[١].

مراتب الحسبة في أمر السحر والكهانة والتنجيم:

إن باب الاحتساب علىٰ السحرة وإخوانهم من أعظم أبواب الاحتساب قاطبة، إذ هو نهي عن أعظم الذنوب وهو الشرك بالله تعالىٰ، وهو قيام بأعظم الحقوق وهو التوحيد، أن يعبد الله وحده ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا به، ولا يطلب النفع وصرف الضر إلا من قبله تعالىٰ، وعليه فإن مراتب الحسبة في هذا الباب هي:

١. إنكار باليد وقد ثبت ذلك في قوله: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢].

٢. مرتبة الانكار والاحتساب والبيان باللسان، وذلك بتعريف الناس خطورة

---

(١) يوجد ملحظ علىٰ المحتسبين يجب التنبه له، وهو ضرورة تفريقهم وفهمهم ومعرفتهم بالفرق بين السحر وبين خفة اليد وينبغي عدم الخلط بينهما، ويحضرني هنا قصة رجل كان قد درس خفة اليد في أمريكا وذكروا عنه أنه ساحر، وكان يأكل الجمر وحينما جلست معه بصحبة الشيخ صلاح غيدان وقلت له أن هذا ليس بساحر وإن هذا الذي يأكله جمر أمريكي مخصوص ما إن يتعرض للهواء أو ينفخ فيه إلا انطفأ ولكن أنا آتيه بجمر من عندي وليرني كيف يأكله، فقام الرجل وسجد سجدة شكر وقال هل رأيتم، وتبين أن خصومة قامت بينه وبين زوجته تقدمت بسببها بدعوىٰ تتهمه بأنه ساحر.

(٢) رواه رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ الْإِيمَانِ حديث رقم ٧٠.

أمر السحر، وخطورة إتيان السحرة، وبيان حال السحرة. وكذلك بالوعظ والردع لمن يتعاطىٰ ذلك، وقد أمر الله به كما في الحديث السابق: «**فإن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ**»، وقد أمر الله بالقوة في القيام بأمره قولا وعملا فقال سبحانه: عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1]، وقال تعالىٰ ليحيىٰ: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[2] وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغضب إذا مس جناب التوحيد، من ذلك ما جاء عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[3] فقد تعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الكلمة ويبين خطورتها، وكذلك لما قال له رجل: «**مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ**

---

(١) الآية ١٤٥ سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٢ سورة مريم.

(٣) رواه الترمذي في كِتَاب الْفِتَنِ، بَاب مَا جَاءَ «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، حديث ٢١٠٦وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٠١.وذات أنواط هي شجرة كانت للمشركين يعلقون عليها أسلحتهم يزعمون أنها تمنح سيوفهم القوة.راجع تحفة الأحوذي بتصرف وراجع شرح الحديث مبسوطا في: حديث اجعل لنا ذات أنواط دراسة حديثية عقدية د عبد الله بن عيسىٰ الأحمدي بدون بيانات.

اللَّهُ وَحْدَهُ»[١]. وفي رواية: «أجعلتني لله ندا»، فلم يقبل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتين الكلمتين وأنكرهما غاية الإنكار، مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يتلطف في الإنكار في أمور أخرىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تُزْرِمُوهُ ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ»[٢] ولم يصنع في ذلك ما صنعه في أمر التوحيد.

والاحتساب علىٰ السحرة احتساب علىٰ أعظم منكر، وفيه منكرات أخرىٰ لا حصر لها. ومع ذلك فإن المحتسب يراعي أحوال الناس في ذلك ويرحمهم، فمن ضبط قاصدا ساحرا ليعطيه حجابا ويعقد له عقدا للاستشفاء أو الحفظ يبين لهذا الجاهل المغرور ذلك ويطلق سراحه تغليبا للمصلحة وطمعا في هدايته سواء السبيل بعد البيان له.

٣. مرتبة الانكار بالقلب وهذه لكل مسلم عند العجز عن الانكار باليد واللسان، وهي لكل مسلم لا تسقط بحال، فالإنكار بالقلب لا يقدر أحد علىٰ منعه إذ لا سلطان لأحد علىٰ القلب إلا الذي فطره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مجالات الحسبة في أمر السحر والكهانة والدجل والتنجيم:

إن مجالات الحسبة علىٰ السحرة والكهان والدجالين والمشعوذين كثيره،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٨، ومسند أحمد ج٤ص٣٥٤، وصححه الألباني وذكر الألباني أن أحمد ذكره بلفظ أجعلتني لله ندا وصححه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، حديث رقم ٥٥٦٦، ورواه مسلم في كتاب الطهارة، بَاب النَّهْيِ عَنْ الِاغْتِسَالِ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ حديث رقم٤٣٧.

ويمكن ردها إلىٰ أصلين عظيمين:

الأول ما يتعلق بحق الله تعالىٰ، والثاني ما يتعلق بحقوق العباد.

فأما الحسبة على السحرة وإخوانهم فيما يتعلق بحق الله:

فإن المحتسب ينهىٰ عن الشرك بالله، وينهي عن تعليق هؤلاء قلوب العباد بغير الله، وينهاهم عن منازعتهم الله سلطانه في العطاء والمنع والنفع والضر، كما ينهاهم عن تكذيب كلام الله وذلك حينما يوحون إلىٰ اوليائهم أنهم يهبون للعقيم ولدا، والله قال: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1]، إلىٰ غير ذلك من الأمور التي فيها الشرك والكفر ومنازعة الله فيما يختص به تعالىٰ، وما يتبع ذلك مما يفعله السحرة كامتهان كتاب الله وأسمائه، وأسماء أنبيائه إلىٰ غير ذلك مما هو حق لله تعالىٰ.

أما ما يتعلق بحقوق العباد:

فالمحتسب يحتسب علىٰ السحرة والكهان والمنجمين والمشعوذين لكونهم يعتدون علىٰ خلق الله فيعمل الساحر أعمالا فيها اعتداء علىٰ النفس بالقتل وتلف الأعضاء، ويعتدي السحرة والمنجمون والكهان والمشعوذون علىٰ أموال الناس فيأكلونها بالباطل، كما يعتدون علىٰ الأعراض حينما يصرفون الزوجة عمن أحله الله لها، ويعطفونها علىٰ ما حرم، كما يعتدون علىٰ عقول الناس، وهم يعتدون علىٰ أديان العباد، وبالجملة فالسحرة وإخوانهم يعتدون

(١) من الآية ٥٠ سورة الشورىٰ..

علىٰ الكليات الخمس الضرورية التي لا قوام للناس إلا بها، فالمحتسب يحتسب عليهم ويمنعهم بإذن الله من الاعتداء علىٰ حقوق الله وعلىٰ حقوق عباده.

والمحتسب في أمر السحر والتنجيم والكهانة عليه عبء أكبر من غيره من المسلمين والمحتسبين، ذلك أن أمر السحرة وإخوانهم يقوم علىٰ السرية والكتمان، كما يقوم علىٰ التلبيس علىٰ خلق الله، فيظهر الواحد من هؤلاء. في ثوب الشيخ العابد الزاهد الساعي في نفع المسلمين، وعنده الحيل التي يروج بها باطله علىٰ الناس، وهذا غير المنكرات الظاهرة المعلومة، التي يفعلها ويأمر بها، وأحيانا يظهر للناس بظاهر الصلاح والاستقامة والولاية والكرامة، ويوهم الناس أن عنده علم لدني، أو سر من الأسرار، أو أن الله خصه بمعرفة اسمه الأعظ.

ثانيا: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل والشعوذة

إن للحسبة أهميتها الكبرىٰ فبها قوام دين الله تعالىٰ، ودفع الناس إلىٰ لزومه رغبا ورهبا، وهي ولاية من الولايات الشرعية التىٰ، أقامها الإسلام لصلاح الدين والدنيا، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذه: «قاعدة في الحسبة». أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون.قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] . وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣]، وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[٤]. وعبادته تعالىٰ تكون بطاعته وطاعة رسوله، وذلك هو الخير والبر والتقوىٰ والحسنات، والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح، وإن كانت هذه الأسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها.وهذا الذي يقاتل

(١) الآية٥٦سورة الذاريات.
(٢) الآية٢٥سورة الأنبياء.
(٣) الآية٣٦سورة النحل..
(٤) الآية٥٩سورة الأعراف..

عليه الخلق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[١] وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٢].

قال المراغي في كتاب الحسبة: الحسبة شرعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامة من دعائم الدين، وبه بعث الله النبيين أجمعين، ولولاه لنشطت الضلالة، وعمت الجهالة، وانتشر الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد[٣].

والنهي عن السحر والكهانة مرتبط بحماية جناب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد.

أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والتنجيم والدجل والشعوذة.

علمنا مما سبق منزلة الحسبة في دين الله عموما، وضرورتها لقيام دين الناس ومعاشهم، وإن للاحتساب علىٰ السحرة والكهان والمنجمين والمشعوذين أهمية كبرىٰ، تتجلىٰ هذه الأهمية من خلال أمور كثيرة، منها:

١. أن السحر من أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات، وذم الله سبحانه متعاطيه،

---

(١) الآية ١٩٣ سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري في كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حديث رقم ٦٩٠٤، ومسلم في كِتَاب الْإِمَارَةِ بَاب «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، حديث رقم ٣٥٢٥.

(٣) الحسبة في الإسلام: أحمد مصطفىٰ المراغي ٣٣.

وأخبر أن الخسران قرينه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[١] وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٢]، وذمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرنه بالشرك ففي حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ**»[٣].

٢. أن الاحتساب علىٰ السحر قيام بأعظم الحقوق، وهو أن يوحد الرب تعالىٰ توحيدا خالصا، وأن يزال الشرك والكفر به تعالىٰ، فالمحتسب علىٰ السحرة وإخوانهم، ناه عن أعظم منكر، وهو الإشراك بالله؛ فإن السحرة وإخوانهم يدعون علم الغيب، ويلقون في قلوب الناس أنهم مطلعون علىٰ الغيب، وأنه قادرون علىٰ معرفة ما ضاع منهم، خبيرون بمكان من ضل من أهلهم، الساحر وإخوانه ينازعون في الربوبية إذ يدعي أنه قادر علىٰ هبة الولد، وعلىٰ حمل العاقر، وعلىٰ شفاء الأسقام والأمراض، فقيام المحتسب في هذا الباب قيام بأعظم الحقوق ونهي عن أعظم المنكرات.

٣. ثم إن المحتسب علىٰ السحرة وإخوانهم ناه عن الفساد في الأرض، ومانع من أذىٰ عباد الله، لقد عم شرهم وضررهم وخطرهم، فكم من بيوت هدموها، وكم من عزيز أذلوه، وكم من امرأة فرقوا بينها وبين زوجها، وكم من حبيب فرقوا بينه وبين محبوبة، وكم انتهك السحرة من أعراض، كل ذلك بإذن

---

(١) الآية ٧٧ سورة يونس.

(٢) الآية ٦٩ سورة البقرة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب، بَاب الشِّرْكُ وَالسِّحْرُ مِنْ الْمُوبِقَاتِ حديث ٥٣٢٢.

الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1].

٤. كذلك تبدو أهمية الاحتساب علىٰ السحرة وإخوانهم وضرورته من الانتشار المرعب لهذه الأعمال، فقد عم الأمر به وطم حتىٰ غزا كل المجتمعات، ونال كل الطبقات، وتعلقت به قلوب مختلف الناس من مسلم وغير مسلم، ومتعلم وجاهل، وغني وفقير، وصاحب جاه وسلطان ومن لا جاه له، والرجال والنساء، كما أن السحرة كذلك أصبحوا من كل الأجناس والطبقات والأديان، والعجيب تعلق بعض المسلمين بالسحرة حتىٰ من لم يكن مسلما، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) من الآية ١٠٢ سورة البقرة.

البحث الأول

الاحتساب
على السحرة والكهان والمنجمين
عند الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

مقدمة

الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم السفراء بين الله وبين عباده، أرسلهم ربهم سبحانه، لدعوة الناس إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، ولدلالتهم علىٰ كل خير، أرسلهم ربنا لدعوة الناس إلىٰ التوحيد الخالص، ونهيهم عن الشرك كله صغيره وكبيره، ظاهره وخفيه، فقاموا بذلك الأمر محتسبين يطلبون الأجر من الملك الجليل الذىٰ أرسلهم، لا يبغون من أحد جزاءً ولا شكوراً، فقاموا يدعون القريب والبعيد والحر والرقيق، والغنىٰ والفقير ، والشريف وغيره، فالأنبياء أول من أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر وأول من احتسب وأعظم من احتسب وأحكم وأعلم من احتسب، وفىٰ بحثنا هذا إشارة إلىٰ شيء من احتساب ثلة مباركة من هؤلاء المصطفين الأخيار في جانب من جوانب الاحتساب العديدة، وأبوابه المتنوعة، ألا وهو احتسابهم علىٰ السحرة والكهان والمنجمين، لتكون قصصهم في ذلك عبرة، كما تكون زاداً للمحتسبين علىٰ السحرة والكهان، كما نرجو من الله الكريم ونلتمس أن تكون هذه المجموعة ضياء للمحتسبين يسيرون علىٰ هداه في مقاومة هؤلاء الفجار والكفار الأشرار.

هذا وإن عرضنا لاحتساب هذه الثلة المباركة، ومعرفة هذا التاريخ المشرق في هذا الجانب تطلع المحتسب علىٰ سنن الله تعالىٰ في كونه، وتطلعه علىٰ

سنة التدافع بين الحق والباطل، فيرىٰ المحتسب التدافع بين الدعاة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ وبين الدعاة إلىٰ الباطل من السحرة والكهان وإخوانهم، وترىٰ المجموعة المحتسب علىٰ هؤلاء السحرة كيف ارتبط السحر بالضلال، وكيف أنه كان منبوذاً، وأنه لم يشتغل به نبىٌ ولا صالح من عباد الله تعالىٰ، بل هو منذ أقدم العصور إلىٰ يوم الناس هذا مرتبط بأهل الشر والفساد، ومقرون بالمفاسد والموبقات، ولذلك نراه ظاهراً في الملل الباطلة والنحل الفاسدة، كما تراه عند فرق الضلال المنتسبة إلىٰ الإسلام، فتراه في الرافضة، وتراه عند الصوفية ، بل حتىٰ تراه عند بعض الخوارج.

وبما أن دعوة الأنبياء متفقة علىٰ الدعوة إلىٰ توحيد الله ونبذ الشرك، وبما أن السحر باب للشرك عظيم، كما أن الكهانة كذلك، فإننا سنعرض لاحتساب الأنبياء والمرسلين عليهم علىٰ نبينا صلوات الله وسلامه عليهم.

ويشتمل هذا البحث علىٰ: مقدمات وأربعة مباحث:

المقدمات: وفيها مقدمات مهمة تتعلق باحتساب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول: احتساب أبىٰ الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

علىٰ السحرة والمنجمين.

المبحث الثاني: احتساب موسي الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة والكافرين.

المبحث الثالث معالم الاحتساب في قصة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

المبحث الرابع: احتساب نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السحرة والكهان والمنجمين.

والله نسأل التوفيق والقبول والإخلاص.

المقدمات

مقدمات مهمة تتعلق باحتساب[١] الأنبياء والمرسلين «عليهم الصلاة والسلم» علىٰ السحرة والكهان.

نعرض هنا مقدمات مهمة قبل البدء في الحديث عن احتساب الأنبياء:

المقدمة الأولى:

دعا الأنبياء جميعاً إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك، قالىٰ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

(١) يرد سؤال هنا مفاده: هل يقال عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وإخوانه عليهم السلام أنهم محتسبون، والمعلوم والمشهور أن المحتسب له: «الأمر بالعروف والنهىٰ عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الدين ونوهم، وأنه يعاقب بالضرب والحبس إما القتل فإلىٰ غيره» كما جاء في الحسبة لابن تيمية ص ١٠ ورود نحوه في كتب الحسبة. والجواب من وجوه:

١. **الأول**: أنه سبق في المدخل أن الاحتساب له معنيان الأول عام ويعنىٰ احتساب الأجر وطلب الثواب من الله، والثانىٰ بهذا المعنىٰ المذكور آنفاً، وعليه فالأنبياء داخلون في المعنىٰ العام فهم خيار المحتسبين الطالبين الأجر من الله تعالىٰ. وخير من عمل محتسباً وطالباً الأجر من الله تعالىٰ.

٢. **الثانىٰ**: ان حدود الحسبة وحدود عمل المحتسب لاحد له في الشرع وأن هذه الحدود تتلقىٰ من الألفاظ والأحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع كما جاء في الحسبة لابن تيمية ص ١٠.

٣. **الثالث**: أن صاحب الولاية الأعلىٰ يقوم بأعمال من هو أدنىٰ منه، فالخليفة والسلطان الأعظم يقوم بما يقوم به الأمير والقاضىٰ فمن دونهما، حتىٰ أن نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يقوم بالحسبة في السوق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويحتسب علىٰ التجار، وهكذا شأن الأنبياء لاسيما خاتمهم وسيدهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وآله وسلم. راجع الحسبة أيضاً ص ٤٧.

٤. **الرابع**: الحسبة من ولايات الامام ولكنه هو يفوض غيره في ذلك.

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[١]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢]، وذكر الله عن نوح وجملة من الأنبياء بعده في سورة الأعراف أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[٣]، وقال تعالىٰ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٤]. ويوم يقول ربنا لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[٥].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كما في البخارىٰ وغيره: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[٦]. «قال ابن حجر ومعنىٰ الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع[٧].

---

(١) الآية ٣٥ سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٣٦سورة النحل.

(٣) الآية ٥٩سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤٥سورة الزخرف.

(٥) الآيتان ١١٦-١١٧سورة المائدة.

(٦) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللَّهِ ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ حديث رقم٣١٨٧.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر جـ١٠ ص ٢٤٤تحقيق محب الدين الخطيب،

وبما أن السحر شرك بالله تعالىٰ فلا ريب في أن الأنبياء تتابعوا في النهىٰ عنه، والاحتساب علىٰ أهله.

المقدمة الثانية: للسحر تاريخ قديم

إن السحر جريمة موغلة في القدم، صحبته البشرية منذ زمن سحيق لا يعمله إلا الله تعالىٰ، وكما هو معلوم فإن بين آدم ونوح عشرة قرون كانت كلها علىٰ التوحيد ، فهذه القرون لم يكن فيها شرك وبالتالي لم يكن فيها سحر.

ولقد أشار القرآن إلىٰ وجود السحر في تلك الأزمان السحيقة إشارات منها:

ما ذكره القرآن عن اتهام الكفار لرسلهم بأنهم سحرة، ووصم آياتهم بأنها سحر، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[1]، فأخبر الله عن طريقة الكفار مع أقوامهم وهو وصف الأنبياء بالسحر وهو دليل علىٰ معرفتهم به، بل واعتباره من النقائص والعيوب، وفىٰ هذه الآية إشارة أن الأمم المكذبة قاطبة قالت هذا لرسلها من نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حتىٰ نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قال الطبرىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية: يقول تعالىٰ ذكره: كما كذبت قريش نبيها محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقالت: هو شاعر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذبة رسلها، الذين أحل الله بهم نقمته، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، ما أتىٰ هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم من رسول إلا

مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ».

(١) الآية ٥٣ سورة الذاريات.

قالوا ساحر أو مجنون كما قالت قريش محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وقال الآلوسيٰ: «وكذلك أي الأمر مثل ذلك، ما أتىٰ الذين من قبل قريش من رسول من رسل الله إلا قالوا في حقه ساحر أو مجنون، وأو قيل للحكاية أي قالوا ساحر أو قالوا مجنون، وهيٰ لمنع الخلو...وفيٰ المحيط هي للتفصيل أي قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض ساحر ومجنون، فجمع القائلون في الضمير، ودلت أو علىٰ التفصيل[٢].

وفيه: أن الآية إنما تدل علىٰ أن الرسل الذين أتوا من قبلهم كلهم قد قيل في حقهم ماقيل[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجع إلىٰ قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾[٤]، أي مثل قولهم المختلف في النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الذين من قبلهم لما جاءتهم رسلهم، والمعنىٰ أن حال هؤلاء كحال الذين سبقوه ممن كانوا مشركين أن يصفوا الرسول بأنه ساحر أو مجنون فكذلك سيجيب هؤلاء عن قولهم: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[٥]

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري جـ٢٢ ص ٤٤١، تحقق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي جـ ١٩ ص ٤٠٦، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

(٣) السابق.

(٤) الآية ٨سورة الذاريات.

(٥) الآيتان ٥١-٥٣سورة الذاريات.

بمثل جواب من قبلهم، وزيادة من في قوله ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ للتنصيص علىٰ إرادة العموم، أي أن كل رسول قال فيه فريق من قومه هو ساحر، أو مجنون أي قال بعضهم ساحر وقال بعضهم مجنون، وقد يجمعون القولين... وهذا العموم يفيد بأنه لم يخل قوم من الأقوام المذكورين إلا قالوا لرسولهم أحد القولين... والاستثناء في: ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ استثناء من أحوال محذوفة... والقصد المستفاد من الاستثناء قصر إدعائيٰ؛ لأن للأمم أقوال أخرىٰ غير ذلك، وأحوالاً أخرىٰ، وإنما قصروا (بضم الواو) علىٰ هذا اهتماماً بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان؛ إذ يرمون أعقل الناس بالجنون وأقومهم بالسحر[١].

ولما تكلم الطبرىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هاروت وماروت وناقش أموراً تتعلق بهم قال: (وفيٰ وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة علىٰ فساد هذا القول) لقول ذكره قوم ورده هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] فقد ذكر الطبرىٰ وجود السحر في كل زمان ومكان.

المقدمة الثالثة: أول من اتهمه قومه صراحة بالسحر من الأنبياء

عرفنا أن السحر كان معلوماً ومعروفاً منذ القدم، وأن القرآن ذكر علىٰ وجه العموم كلام الكفار وصفهم لرسلهم بأنهم سحرة، ولكن أول رسول صرح القرآن باتهام قومه له بالسحر هو صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد ذكر الله أن ثمود قالوا له:

(١) التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور جـ ١٤ ص ١١٨ الدار التونسية، ، الطبعة الأولىٰ.
(٢) تفسير الطبرىٰ جـ ٢ ص ٤٢٦.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾[١]، ومعناه إنما أنت من المسحورين، كما ذكر ذلك مجاهد وقتادة[٢] ثم تبعهم أصحاب الأيكة في وصف شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بذلك أيضاً.

وكذلك وصف كفار بنىٰ إسرائيل عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بذلك قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[٣].

قال الطبرىٰ: ﴿إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة علىٰ نبوتك وحقيقة ما أرسلتك به إليهم: فقال الذين كفروا منهم وجحدوا نبوتك وكذبوك من بنىٰ إسرائيل إن هذا إلا سحر مبين، وقرأ عامة قراء الكوفة: إن هذا إلا ساحر بمعنىٰ ماهذا إلا ساحر مبين، أي يبين بأفعاله وما يأتي به من الاشياء العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبىٰ صادق قال أبو جعفر والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان المعنىٰ متفقتان غير مختلفتين، وذلك أن كل من كان موصفا بفعل السحر فهو موصوف بأنه ساحر، ومن كان موصوفاً بأنه ساحر فإنه موصوف بفعل السحر[٤].

وفىٰ تفسير القرطبىٰ: قالوا إنما أنت من المسحرين: أي أصبت بالسحر فبطل

(١) الآيتان ١٥٣-١٨٥ سورة الشعراء.
(٢) تفسير الطبرىٰ جـ ١٩ ص ٣٨٤.
(٣) الآية ١١٠ سورة المائدة.
(٤) تفسير الطبرىٰ: جـ ١١ ص ٢١٦ بتصرف.

عقلك لأنك بشر مثلنا فلم تدع الرسالة دوننا[١].

المقدمة الرابعة: عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والسحر

لقد جاء عيسىٰ عليه بآيات بينات، عظيمة، كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبرئ الأكمة والأبرص، وكان يحيىٰ الموتىٰ ويخبر الناس بما يدخرون في بيوتهم، وكان الطب في زمانه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غالبًا، فآتاه الله ما يعجز عنه الطب والأطباء. ولما رأىٰ قومه هذه الآيات العظيمة اتهموه بالسحر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

المقدمة الخامسة: معجزات الأنبياء

لقد أيد الله تعالىٰ رسله بآيات ومعجزات شاهدة أنهم رسل من عنده تعالىٰ، وقد جاء ذكر هذه الآيات والمعجزات في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

أما معجزة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فكانت تلك السفينة التي بناها علىٰ اليبس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثم الطوفان الذىٰ عم وطم ولم ينج منه إلا نوح ومن آمن معه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي جـ ١٣ ص ١٣٠ تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

أما معجزات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فأبرزها وأشهرها نجاته من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[2].

ومنها فداؤه لأبنه إسماعيل بذبح عظيم: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

أما معجزة صالح فكانت الناقة: قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) الآيات من ٣٨ إلىٰ ٤٤ سورة هود.

(٢) الآيتان ٦٨-٦٩ سورة الأنبياء.

(٣) الآيات من ١٠٣ إلىٰ ١٠٧ سورة الصافات.

(٤) الآية ٧٣ سورة الأعراف.

وقد أيد الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بآيات ومعجزات كثيرة قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[1]. منها اليد والعصا، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] ومنها ما أرسل علىٰ قوم فرعون لما عصوه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[3]، كما كان منها نزول المن والسلوىٰ.

وكان لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ معجزات منها أن الجبال تسبح معه، والطير كذلك، وآلان الله له الحديد يشكله كيف يشاء، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[4].

وأيد ولده سليمان بملك عظيم اشتمل علىٰ بدائع الآيات وعجيب المعجزات، فقد آتاه ملكًا عظيمًا، سخر له الأنس والجن والطير والوحش، قال تعالىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ

---

(١) الآية ١٠١ سورة الإسراء.
(٢) الآيتان ١٠٥-١٠٦ سورة الشعراء.
(٣) الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.
(٤) الآيتان ١٠-١١ سورة سبأ.

﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[1]. وعلمه تعالىٰ منطق الطير قال تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[2]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾[3].

وأيد ربنا عيسىٰ بمعجزات كثيرة: أولها ميلاده المعجز قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[4] ومنها كلامه الناس في المهد ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5].

ومنها أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً، قال

---

(١) الآيات ١٢-١٤ سورة سبأ.
(٢) الآيتان ١٦-١٧ سورة النمل.
(٣) الآيات ٣٦-٣٨ سورة ص.
(٤) الآيات ١٩-٢١ سورة مريم.
(٥) الآية ٤٦ سورة آل عمران.

تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

أما معجزات نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكثيرة جداً أعظمها القرآن الكريم، وإخباره بالمغيبات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانشقاق القمر والإسراء والمعراج سبحان الذىٰ أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ وسلام الحجر والشجر عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام والشراب له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحنين الجذع إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الآيات من أدلة نبوتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتكون آية كل نبىٰ ومعجزته قاهرة لما برع فيه القوم عادة، فموسىٰ برع قومه في السحر فجاء موسىٰ بما أعجزهم وبهرهم، وبرع قوم عيسىٰ في الطب فجاءهم بما لا يقدر أي طبيب علىٰ فعله كإحياء الموتىٰ. وإبراء الأكمة وهو الذىٰ ولد أعمىٰ فقد كان الطب قادراً علىٰ إصلاح العين المعطوبة لسبب عارض أما الذىٰ ولد ولا استعداد عنده للإبصار فقد كان هذا مستحيلاً في زمانه فأعطاه الله إياه، ثم معجزته الباقية علىٰ مر التاريخ إحياء الموتىٰ مع ولادته من غير أب، أما نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد برع قومه في اللغة والبيان فكان البيان آتينهم، وكان بالنسبة لهم كالسحر في زمان موسىٰ

(١) الآية ٤٩ سورة آل عمران.

والطب في زمن عيسىٰ فكان القرآن أعظم من عصا موسىٰ مع السحرة، وقد جلىٰ هذا المعنىٰ الرافعىٰ في إعجاز القرآن، ومالك بن نبىٰ في الظاهرة القرآنية، ومحمود شاكر في تقديمه الظاهرة القرآنية وفىٰ كتابه مداخل في إعجاز القرآن.

هذه المعجزات تختلف عن ضلالات السحرة، فبها يؤيد الله تعالىٰ خيار خلقه، واصدقهم لهجة واعظمهم استقامة واطهرهم خلقًا، أما ما يأتي به السحرة فهو مما تعينهم به الشياطين، والشياطين تعين شرار الخلق وأكذبهم حديثًا علىٰ الله وعلىٰ عباده، وهم أسوأ خلق الله خلقًا وأفسدهم عقيدة وسلوكًا، وقد قال ربنا تعالىٰ: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[1]. فالله تعالىٰ يرسل جبريل إلىٰ أنبيائه فينزل عليهم مؤيداً لهم بالوحىٰ كما تنزل الشياطين علىٰ أفاك كذاب، كثير فعل الإثم، فالله يوحىٰ إلىٰ أنبيائه وهذا من المعجزات، وأن الشياطين توحىٰ إلىٰ أوليائها: قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[2].فالشياطين توحىٰ إلىٰ أوليائها وهو تنزل الشياطين عليهم فمعجزات الأنبياء يقررون بها الحق وينصرونه بها بخلاف السحرة وأعوانهم الذين ينصرون الباطل وأهله بأعمالهم.

(١) الآيات ٢٢١-٢٢٣سورة الشعراء.

(٢) الآية ١٢١سورة الأنعام.

ومن المعلوم أن الله تعالىٰ حين يرسل رسله يؤيدهم بمعجزات إذا رآها الناس أيقنوا أن هذا غير ممكن لمخلوق، ولا مقدور لأحد غير ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: فآمنوا بالله وبرسل الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

(١) رواه البخارىٰ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثت بجوامع القلم حديث ٦٧٣٢، ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث ٢١٧.

المبحث الأول: احتساب أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على السحرة والمنجمين

إن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هو إمام الحنفاء، أقبل علىٰ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأعرض عن كل ملة باطلة، ونحلة فاسدة، وقد أثنىٰ عليه ربنا بذلك حين قال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]، وأمر نبيه وخليله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يذكر نعمة الله عليه في باتباع ملته عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فقال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢]، وأمره أن يذكر للناس نعمة الله تعالىٰ عليه في ذلك حين قال له تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣]، كان إبراهيم إماماً باختيار الله وتوفيقه إلىٰ ذلك: إذ قال الله تعالىٰ له: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[٤]. لقد كان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمة وحدة ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥]، لقد كان داعية إلىٰ التوحيد الخالص، ناهياً عن الشرك مجانباً له، وقد واجه وجادل الكفار في زمانه من أبيه وقومه الذين يعبدون الأصنام، إلىٰ غير هؤلاء ممن كان يعبد الكواكب، وهؤلاء كانوا

(١) الآية ١٢٠ سورة النحل.
(٢) الآية ١٢٣ سورة النحل.
(٣) الآية ١٦١ سورة الأنعام.
(٤) الآية ١٢١ سورة الأنعام.
(٥) الآية ١٢٠ سورة النحل.

سحرة احتسب عليهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ احتساباً عملياً، جادلهم وناظرهم. وفيٰ هذا المبحث بيان لاحتسابه علىٰ عبدة الكواكب المنجمين السحرة عليه وعلىٰ نبينا صلوات الله وسلامه. وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: إثبات تعاطي قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب.

المطلب الثاني: احتساب خليل الله إبراهيم علىٰ السحرة وعبدة الكواكب.

المطلب الأول: إثبات تعاطي قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب

ذكر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن قوم إبراهيم الصابئة كانوا يعبدون الكواكب، وذكر مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم، وقد ذكر أهل العلم أنهم كانوا يتعاطون السحر،: قال شيخ الإسلام: فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الأدعية والتسبيحات، ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبته لها، ويتحرىٰ الأوقات والأمكنة والأبخرة المناسبة لها في زعمه. وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين؛ حتىٰ شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه: «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم» علىٰ مذهب المشركين من الهند والصابئة[١].

وقال عن الاتحادية: وَأَصْلُ قَوْلِهِمْ هَذَا مَأْخُوذٌ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ مِنْ البراهمة والمتفلسفة وَمُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ أَصْلًا وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَبْنُونَ الْهَيَاكِلَ لِلْعُقُولِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا[٢].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج ٢ / ص ٢٨٦)تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م..

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٣٥١)خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوَالِيًا لِلْكُفَّارِ: مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْمُوَالَاةِ وَنَحْوِهَا: مِثْلَ إتْيَانِهِ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ الْبَاطِلَ: كَانَ لَهُ مِنْ الذَّمِّ وَالْعِقَابِ وَالنِّفَاقِ بِحَسَبِ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ مُتَابَعَتِهِمْ فِي آرَائِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ كَنَحْوِ أَقْوَالِ الصَّابِئَةِ وَأَفْعَالِهِمْ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَنَحْوِهِمْ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَنَحْوِ أَقْوَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَفْعَالِهِمْ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَنَحْوِ أَقْوَالِ الْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَفْعَالِهِمْ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.وَمَنْ تَوَلَّى أَمْوَاتَهُمْ أَوْ أَحْيَاءَهُمْ بِالْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْمُوَافَقَةِ فَهُوَ مِنْهُمْ؛ كَالَّذِينَ وَافَقُوا أَعْدَاءَ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: مِنْ الْكَلْدَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادِ الْكَوَاكِبِ أَهْلِ السِّحْرِ[1].

قال ابن كثير: ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلْدانيين والكُشْدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مُدَبّرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر، وهم الذين بَعث إليهم إبراهيم الخليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبطلا لمقالتهم ورادا لمذهبهم وقد استقصىٰ في «كتاب السر المكتوم، في مخاطبة الشمس والنجوم» المنسوب إليه فيما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال: إنه تاب منه. وقيل إنه صنفه علىٰ وجه إظهار الفضيلة لا علىٰ سبيل الاعتقاد. وهذا هو

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ج ٣ / ص ٢٤٢ تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

المظنون به، إلا أنه ذكر فيه طرائقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون وما يلبسونه، وما يتنسكون به[١].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ دَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ خِطَابِهَا، أَوِ السُّجُودِ لَهَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ اللِّبَاسِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْبَخُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ كُفْرٌ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الشِّرْكِ، فَيَجِبُ غَلْقُهُ، بَلْ سَدُّهُ. وَهُوَ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا حَكَىٰ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾[٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الْآيَاتِ، إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣].

كانت الأصنام طلاسم لهذه الكواكب وصورا لها:

بين شيخ الإسلام ذلك حين قال: (هؤلاء يجمعون بين الجبت الذي هو السحر والشرك الذي هو عبادة الطاغوت، كما يجمعون بين السحر ودعوة الكواكب، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام -بل ودين جميع الرسل- أنه شرك محرم، بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهي عنه، ومخاطبة إبراهيم الخليل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه كانت في نحو هذا الشرك. قال الله

(١) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج ١ / ص ٣٦٧ تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) الآيتان ٨٨-٨٩سورة الصافات.

(٣) شرح الطحاوية: ابن أبي العز ج ٣ / ص ٢٤٢.

تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾[1]، فإن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقد أن كوكبا من الكواكب خلق السماوات والأرض، وإنما كانوا يدعونها من دون الله علىٰ مذهب هؤلاء المشركين، ولهذا قال الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ

(١) الآيات من ٧٥ إلىٰ ٨٥ سورة الأنعام.

إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[١]، وقال الخليل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٢] والخليل صلوات الله عليه، أنكر شركهم بالكواكب العلوية، وشركهم بالأوثان، التي هي تماثيل وطلاسم لتلك، أو هي أمثال لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم.[٣].

قال الجصاص: فَمِنْهَا سِحْرُ أَهْلِ بَابِلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ وَكَانُوا قَوْمًا صَابِئِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ وَيُسَمُّونَهَا آلِهَةً وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ حَوَادِثَ الْعَالَمِ كُلِّهَا مِنْ أَفْعَالِهَا.[٤].

وفصل ابن تيمية في شأن الصابئة فقال:

(وَلَم يكن قَوْلُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَا اعْتَقَدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنَّ كَوْكَبًا مِنْ الْكَوَاكِبِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَوْمُ إبْرَاهِيمَ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ؛ بَلْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاَللَّهِ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَدْعُونَهَا وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ وَيَعْبُدُونَ فِيهَا أَصْنَامَهُمْ وَهُوَ دِينُ الْكَلْدَانِيِّينَ والكشدانيين وَالصَّابِئِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَا الصَّابِئِينَ الْحُنَفَاءِ وَهُمْ

(١) الآيات ٧٥-٧٧سورة الشعراء.
(٢) الآيتان ٦٢-٢٧سورة الزخرف.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ج ٢ / ص ٢٨٧وما بعدها.
(٤) أحكام القرآن: أبوبكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٠٥هـ.

الَّذِينَ صَنَّفَ صَاحِبُ «السِّرِّ الْمَكْتُومِ فِي السِّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ» كِتَابَهُ عَلَىٰ دِينِهِمْ. وَهَذَا دِينٌ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِ دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ وَجَامِعُ حَرَّانَ وَغَيْرُهُمَا مَوْضِعُ بَعْضِ هَيَاكِلِهِمْ: هَذَا هَيْكَلُ الْمُشْتَرِي وَهَذَا هَيْكَلُ الزُّهْرَةِ. وَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَىٰ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؛ وَبِدِمَشْقَ مَحَارِيبُ قَدِيمَةٌ إِلَىٰ الشَّمَالِ. وَالْفَلَاسِفَةُ الْيُونَانِيُّونَ كَانُوا مِنْ جِنْسِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ وَيَصْنَعُونَ السِّحْرَ وَكَذَلِكَ أَهْلُ مِصْرَ وَغَيْرُهُمْ. وَجُمْهُورُ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمُنْكَرُ لَهُ قَلِيلٌ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ.

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالصَّانِعِ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1] فَعَادَىٰ كُلَّ مَا يَعْبُدُونَهُ إِلاَّ رَبَّ العالمين[2].

(١) الآيات ٧٥-٧٧ سورة الشعراء.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية: ج ١ / ص ٤٨٨.

المطلب الثاني: احتساب خليل الله إبراهيم على السحرة وعبدة الكواكب

لقد احتسب إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ على هؤلاء السحرة المنجمين عبدة الكواكب، وواجههم وحده عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس معه إلا خليله جَلَّ وَعَلَا: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

و كذلك المحتسب الموحد لا يخاف من السحرة مهما كان عددهم، ومهما أشاعوا عن قوتهم وخوفو العباد منهم، فإنما هم أولياء الشيطان وأتباعه وعباده، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وبين ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن تأثيره انما هو في أتباعه وسلطانه عليهم لا علىٰ عباد الله الموحدين، فكيف الظن بالمحتسبين المحاربين لشرك السحرة القائمين بأعظم أمر الناهين عن أعظم منكر قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

إن المحتسب لا يخاف إنما الذي يخاف هم أولئك السحرة ومن كان مثلهم كالكهان والمنجمين والدجالين. أما الموحد أو المحتسب فهو متسلح بسلاح

---

(١) الآية ١٢٠ سورة النحل.

(٢) الآية ١٧٥ سورة آل عمران.

(٣) الآيتان ٩٩-١٠٠ سورة النحل.

العلم والإيمان، وسلاح التقوىٰ متحصن بأذكاره، معتمدا علىٰ ربه، وما ينبغي لع بعد أن يخاف وكيف يخاف ومعه القوي المتين.

سد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبواب السحر وعبادة الكواكب:

إن من احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سد الباب المؤدي إلىٰ السحر ودعوة الكواكب وعبادتها:

جاء في شرح العقيدة الطحاوية: وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ دَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ خِطَابِهَا، أَوِ السُّجُودِ لَهَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ اللِّبَاسِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْبَخُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الشِّرْكِ، فَيَجِبُ غَلْقُهُ، بَلْ سَدُّهُ. وَهُوَ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

البراءة من آلهة السحرة والمنجمين:

ومن احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ السحرة والمنجمين عباد الكواكب، إعلانه البراءة من معبوداتهم الباطلة تلك التىٰ يتقربون لها ويتعاطون عندها وبها السحر:

قال شيخ الإسلام: (وَلَم يكَنَ قَوْلُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَا اعْتَقَدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنَّ كَوْكَبًا مِنْ الْكَوَاكِبِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَوْمُ إبْرَاهِيمَ يَعْتَقِدُونَ

(١) شرح الطحاوية: ج ٣ ص ٢٤٢.

ذَلِكَ؛ بَلْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَدْعُونَهَا وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ وَيَعْبُدُونَ فِيهَا أَصْنَامَهُمْ وَهُوَ دِينُ الْكَلْدَانِيِّينَ والكشدانيين وَالصَّابِئِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَا الصَّابِئِينَ الْحُنَفَاءِ وَهُمْ الَّذِينَ صَنَّفَ صَاحِبُ « السِّرِّ الْمَكْتُومِ فِي السِّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ » كِتَابَهُ عَلَىٰ دِينِهِمْ. وَهَذَا دِينٌ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِ دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ وَجَامِعُ حَرَّانَ وَغَيْرُهُمَا مَوْضِعُ بَعْضِ هَيَاكِلِهِمْ: هَذَا هَيْكَلُ الْمُشْتَرِي وَهَذَا هَيْكَلُ الزُّهْرَةِ. وَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَىٰ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؛ وَبِدِمَشْقَ مَحَارِيبُ قَدِيمَةٌ إِلَىٰ الشَّمَالِ. وَالْفَلَاسِفَةُ الْيُونَانِيُّونَ كَانُوا مِنْ جِنْسِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ وَيَصْنَعُونَ السِّحْرَ وَكَذَلِكَ أَهْلُ مِصْرَ وَغَيْرُهُمْ. وَجُمْهُورُ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمُنْكَرُ لَهُ قَلِيلٌ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالصَّانِعِ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1] فَعَادَىٰ كُلَّ مَا يَعْبُدُونَهُ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

(١) الآيات ٧٥-٧٧سورة الشعراء.

﴿٩٦﴾[١][٢].

قوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في احتسابه وشجاعته:

من احتساب إبراهيم قوته وشجاعته وعدم خوفه من السحرة ولا من معبوداتهم من الكواكب التي يرون أنها تملك النفع والضر، وبيان أن هؤلاء السحرة وعبدة الكواكب هم الذين يقذف في قلوبهم الرعب بما أشركوا بالله:

قال ابن تيمية في سياق حديثه عن أهل البدع: (فَيَخْشَوْنَ الْمَوْتَىٰ وَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ؛ إذْ عَبَدُوهُ عِبَادَةً لَمْ يُنَزِّلْ بِهَا سُلْطَانًا وَلَا جَاءَ بِهَا كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُنَاظَرَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ لَمَّا حَاجُّوهُ وَخَوَّفُوهُ آلِهَتَهُمْ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣][٤]، وَلَا يَخَافُونَ مَنْ سَبِّ الْخَالِقِ وَشَتْمِهِ وَالشِّرْكِ بِهِ مَا يَخَافُونَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ لَهُمْ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

---

(١) الآيتان ٩٥ - ٩٦سورة الصافات.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ١ ص ٤٨٨.

(٣) الآيتان ٨١-٨٢سورة الأنعام.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ٦ ص ٢٣١.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1]

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُخَوِّفُونَ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[2][3].

هكذا كان شأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في احتسابه علىٰ أولئك السحرة والمنجمين، وهو ما ينبغي علىٰ كل محتسب ذكر من الله عَزَّوَجَلَّ أن يحتسب علىٰ هؤلاء السحرة والكهان الذين هم أعداء التوحيد وأعوان الشيطان، أنهم لا يخافون الرحمن جل وعلا ولا يرجون له وقارا ولا يقدرونه حق قدره تعالىٰ، ولا يريدون أن يكون التوحيد خالصاً للواحد الديان، لا تخافوا من هؤلاء إنهم ليسوا بشئ، وليعلم علم اليقين أنهم كما قال تعالىٰ: وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله وأنهم لايفلحون ولا يأتون بخير كما قال ربنا: ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ، إنه لا يخاف من هؤلاء وكيف يخاف المحتسب الموحد وهم لا يخافون إذ أشركوا بالله تعالي القوي الجبار القهار الذي لا يقوم لغضبه شيء سبحانه وهم يعصونه في غير خوف، إن هؤلاء لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة هممهم الأكبر إرضاء الههم الشيطان لأجل أن يعبد غير الله، أيها المحتسبون، إن الله تعالىٰ حين اختصكم بمقارعة هؤلاء ومنازلتهم، أنزلكم منزلة عظيمة

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٦ / ص ٣٥٠).
(٢) الآية ٨٠سورة الأنعام.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ١ / ص ٨٥).

واصطفاكم وشرفكم، إذ تسيرون علىٰ خطا هؤلاء الأنبياء والرسل الذين سلكوا سبيل التوحيد ليعبد الحميد المجيد، فالمحتسبون الموحدون همهم الأكبر أن يعبدوا الخلق لله وأن يكون التوحيد خالصًا للحميد المجيد، فكيف يخافهم وهم المحتسب أن يصرف الخوف لله، وأن يكون الخوف منه وحده والرجاء فيه وحده ولا رجاء إلا فيه ولا يدعىٰ إلا هو ولا يستغاث إلا به فنسأل الله أن يسلك بنا سبيل الموحدين ويعيننا وإياكم علىٰ محاربة أولياء الشياطين من السحرة والكهان والمنجمين.

الاقتداء بإبراهيم في قوة مجالدة أهل السحر والبدع والشجاعة في إظهار الحق (ابن تيمية أنموذجا):

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَاسْتَخَرْت اللَّهَ تَعَالَىٰ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاسْتَعَنْته وَاسْتَنْصَرْته وَاسْتَهْدَيْته وَسَلَكْت سَبِيلَ عِبَادِ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَىٰ ذَلِكَ وَأَنَّهَا تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ الْخَلِيلِ وَأَنَّهَا تُحْرِقُ أَشْبَاهَ الصَّابِئَةِ أَهْلِ الْخُرُوجِ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ. وَقَدْ كَانَ بَقَايَا الصَّابِئَةِ أَعْدَاءِ إبْرَاهِيمَ إمَامِ الْحُنَفَاءِ بِنَوَاحِي الْبَطَائِحِ مُنْضَمِّينَ إلَىٰ مَنْ يُضَاهِيهِمْ مِنْ نَصَارَىٰ الدَّهْمَاءِ. وَبَيْنَ الصَّابِئَةِ وَمَنْ ضَلَّ مِنْ الْعِبَادِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَىٰ هَذَا الدِّينِ نَسَبٌ يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ الْمُبِينَ فَالْغَالِيَةُ مِنْ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ كالنصيرية والإسماعيلية. يَخْرُجُونَ إلَىٰ مُشَابَهَةِ الصَّابِئَةِ الْفَلَاسِفَةِ ثُمَّ إلَىٰ الْإِشْرَاكِ ثُمَّ إلَىٰ جُحُودِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ. وَمِنْ شِرْكِهِمْ الْغُلُوُّ فِي الْبَشَرِ وَالِابْتِدَاعُ فِي الْعِبَادَاتِ

وَالْخُرُوجُ عَنْ الشَّرِيعَةِ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا هُوَ بِهِ لَائِقٌ كَالْمُلْحِدِينَ مِنْ أَهْلِ الِاتِّحَادِ وَالْغَالِيَةِ مِنْ أَصْنَافِ الْعِبَادِ. (١).

لقد احتسب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ السحرة وعلىٰ عبدة الكواكب، ومن يتدبر قصة إبراهيم يعلم أن طريق التوحيد واحد وأن دعاته وحملة لوائه هم الأنبياء والمرسلون، وأن من سار عليه ضمنت له النجاة في الدنيا والآخرة، لقد سار موسىٰ علىٰ هذا المنهج أيضا، لقد ناظر السحرة بحضور الفرعون وهو ملك القوم يومئذ، فقال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾(٢)، وقرره لهم ونصحهم، وابن تيمية ناظر بحضرة الأمير وقال: والمحروق مغلوب، في قصة موسىٰ خروا ساجدين، قال فرعون إنه لكبيركم الذىٰ علمكم السحر.

أما هؤلاء فلما بين لهم ابن تيمية قالوا يا أحمد، نتوب إلىٰ الله اكتب لنا كتاباً.

فكان الاقتداء من ابن تيمية بالأنبياء بلسان المقال وبلسان الحال، فاما بلسان المقال فواضح من سوق حجج الأنبياء وأدلتهم في المناظرة، وأما لسان الحال فقال رَحِمَهُ اللَّهُ إن الذىٰ جعل النار برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، سوف يجعلها برداً وسلاماً علىٰ أحمد بن عبد الحليم -وليتأمل المحتسب في حديث الاستخارة وفي قوله: فإنك تقدر ولا أقدر- وتعلم ولا أعلم فنسب العلم المطلق لربه، والجهل المطلق لنفسه، ونسب الضعف لنفسه وهذا تمام التوحيد في قضية

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٢٤).
(٢) الآية ٦١ سورة طه.

الاستخارة.

ثم جاء من بعده محمد بن عبد الوهاب وقال ما قال لابن سحيم.

فالله ينصر المحتسبين الذين تمسكوا بالهدىٰ، ويخذل السحرة الذين يخالفون الهدىٰ ودين الحق. فالرسل نصروا لكونهم تمسكوا بالهدىٰ وكذلك من سار علىٰ طريقهم.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإفراده الله بالنفع والضر:

من معالم احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إعلان توحيده، وتوجه قلبه لله الذي فطره بالعبادة، إذ هو الذي فطره، ومنه يطلب النفع والضر لا من الكواكب، وله العبادة لا إلىٰ الكواكب كما يفعل السحرة والمنجمين:

جاء في مجموع الفتاوىٰ: قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]. بَيَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ إنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَهُ يُوَجِّهُ وَجْهَهُ إذَا تَوَجَّهَ قَصْدُهُ إلَيْهِ: يَتْبَعُ قَصْدُهُ وَجْهَهُ فَالْوَجْهُ تَوَجَّهَ حَيْثُ تَوَجَّهَ الْقَلْبُ فَصَارَ قَلْبُهُ وَقَصْدُهُ وَوَجْهُهُ مُتَوَجِّهًا إلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَقَرَّ بِوُجُودِ الصَّانِعِ فَإِنَّ هَذَا كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ قَوْمِهِ لَمْ يَكُونُوا يُنَازِعُونَهُ فِي وُجُودِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَاتِّخَاذِهِ رَبًّا؛ فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّمَاوِيَّةَ وَيَتَّخِذُونَ لَهَا أَصْنَامًا أَرْضِيَّةً. وَهَذَا «النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ الشِّرْكِ» فَإِنَّ الشِّرْكَ فِي

(١) الآية ٧٩ سورة الأنعام.

قَوْمِ نُوحٍ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ -أَهْلِ الْقُبُورِ- ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ فَكَانَ شِرْكُهُمْ بِأَهْلِ الْأَرْضِ؛ إذْ كَانَ الشَّيْطَانُ إنَّمَا يُضِلُّ النَّاسَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَكَانَ تَرْتِيبُهُ « أَوَّلًا» الشِّرْكُ بِالصَّالِحِينَ أَيْسَرُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَوْمُ إبْرَاهِيمَ انْتَقَلُوا إلَىٰ الشِّرْكِ بِالسَّمَاوِيَّاتِ: بِالْكَوَاكِبِ وَصَنَعُوا لَهَا «الْأَصْنَامَ» بِحَسَبِ مَا رَأَوْهُ مِنْ طَبَائِعِهَا يَصْنَعُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ طَعَامًا وَخَاتَمًا وَبَخُورًا وَأَمْوَالًا تُنَاسِبُهُ وَهَذَا كَانَ قَدْ اُشْتُهِرَ عَلَىٰ عَهْدِ إبْرَاهِيمَ إمَامِ الْحُنَفَاءِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْخَلِيلُ: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1] وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2] وَقِصَّةُ إبْرَاهِيمَ قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْمِهِ: إنَّمَا فِيهَا نَهْيُهُمْ عَنْ الشِّرْكِ[3].

إعلان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ توحيده لله وإفراده بالعبادة والخوف والرجاء:

إنه لا خوف إلا من الله والله قد تكفل بإبعاد الخوف عن أوليائه الذين خافوه وحده: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5]. إن علىٰ

(١) الآيات ٨٥ -٨٦- ٨٧سورة الصافات.
(٢) الآيتان ٩٥ - ٩٦سورة الصافات.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ١٧٣).
(٤) الآية-٦٣سورة يونس.
(٥) الآية١٧٥سورة آل عمران.

المؤمن ثم علىٰ المحتسب علىٰ هؤلاء الذين هم اعوان الشيطان ومراكز الدعوة إلىٰ الشرك بالرحمن عليه ألا يخاف منهم، وعليه أن يقتدىٰ بنبي الله شعيب حين قال قومه له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[1].

فإلىٰ كل من أكرمه الله بالاحتساب وأنعم عليه بمحاربة هؤلاء. ليكن نهجك وديدنك: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، وعلىٰ المحتسبين أن يكون منهجهم البراءة من الشرك وأهله - كما قال إبراهيم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾[2]، وسيتحقق له بإذن الله النصر في الدنيا والآخرة والسعادة الأبدية فإن سنة الله أن ينصر من دعا إلىٰ توحيده، وأنه يتولاه وينصره ويؤيده ويرفعه ولا يخذله في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ

(١) الآيات ٥٤-٥٦ سورة هود.
(٢) الآية ٤٨ سورة آل مريم.
(٣) الآية ٢٥٧ سورة البقرة.

إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[٢].

هذا حال الموحد فما بالك بذلك المحتسب الداعىٰ إلىٰ توحيده المحارب لأعداءه، أولئك الأشرار الذين قال عنهم النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[٣]، فهذا حال من علق حجابا أو تميمة أو خرزة أو ورقة،

---

(١) الآية ٤٩ سورة مريم.

(٢) الآية ١٢٢ سورة الأنعام.

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٤ / ١٥٦. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم٤٩٣ وعلق بتعليق طيب يحسن إيراده هنا قال رحمه الله: (فائدة) التميمة: خرزات كانت العرب تعلقها علىٰ أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام كما في « النهاية » لابن الأثير. قلت: و لا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو و الفلاحين و بعض المدنيين ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها علىٰ.

المرآة ! وبعضهم يعلق نعلا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها ! و غيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان ! كل ذلك لدفع العين زعموا، و غير ذلك مما عم و طم بسبب الجهل بالتوحيد، و ما ينافيه من الشركيات و الوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها و القضاء عليها، فإلىٰ الله المشتكىٰ من جهل المسلمين اليوم، و بعدهم عن الدين. و لم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعداه إلىٰ التقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ ! فهذا الشيخ الجزولي صاحب « دلائل الخيرات » يقول في الحزب السابع في يوم الأحد (ص ١١١ طبع بولاق): « اللهم صل علىٰ محمد و علىٰ آل محمد، ما سجعت الحمائم، و حمت الحوائم و سرحت البهائم، و نفعت التمائم » ! وتأويل الشارح لـ « الدلائل » بأن « التمائم جمع تميمة و هي الورقة التي يكتب فيها شيء من الأسماء أو الآيات و تعلق علىٰ الرأس مثلا للتبرك ». فما لا يصح لأن التمائم عند الإطلاق إنما هي الخرزات كما سبق عن ابن الأثير، علىٰ أنه لو سلم بهذا التأويل فلا دليل في الشرع علىٰ أن التميمة بهذا المعنىٰ تنفع، و لذلك جاء عن بعض السلف كراهة ذلك كما بينته في تعليقي علىٰ « الكلم الطيب » (ص ٤٤ - ٤٥ طبع المكتب الإسلامي). راجع سلسة

أو عقدة نفث فيها واستغيث فيها بالشيطان وكفر بالرحمن، فكيف بالعاقد والكاتب والنافث لاشك أنه أشد كفراً، ولا شك أن المحتسب علىٰ هذا له عند الله عظيم.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَأْتِي إلَىٰ قَبْرِ الشَّيْخِ الَّذِي يُشْرِكُ بِهِ وَيَسْتَغِيثُ بِهِ فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ الْهَوَاءِ طَعَامٌ أَوْ نَفَقَةٌ أَوْ سِلَاحٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطْلُبُهُ فَيَظُنُّ ذَلِكَ كَرَامَةً لِشَيْخِهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ الشَّيَاطِينِ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي عُبِدَتْ بِهَا الْأَوْثَانُ. وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يُضِلُّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ إلَّا بِسَبَبِ اقْتَضَىٰ ضَلَالَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَلَقَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ إنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا شُفَعَاءَ وَوَسَائِطَ لِأَسْبَابِ: مِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَهَا عَلَىٰ صُوَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا تَمَاثِيلَ وَطَلَاسِمَ لِلْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْجِنِّ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. فَالْمَعْبُودُ لَهُمْ فِي قَصْدِهِمْ إنَّمَا هُوَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ أَوْ الشَّمْسُ أَوْ الْقَمَرُ. وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ: فَهِيَ

الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني ج١ص٤٩١مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(١) الآيتان ٣٥-٣٦سورة إبراهيم.

الَّتِي تَقْصِدُ مِنْ الْإِنْسِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَتُظْهِرُ لَهُمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ[١].

تسلح المحتسب بالعلم النافع والحجة الدامغة:

من معالم الاحتساب في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومناظرته السحرة والمنجمين عبدة الكواكب التسلح بالعلم النافع والحجة القوية؛ وذلك لدفع الضرر عن دين الله، والسحرة شر عباد الله وأعظمهم ضررا علىٰ الدين فلابد أن يتزود المحتسب بما يدحض حججهم وينسف باطلهم نسفا:

قَالَ ابن تيمية: ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ يَشَاءُ فِي قِصَّةِ مُنَاظَرَةِ إبْرَاهِيمَ وَفِي قِصَّةِ احْتِيَالِ يُوسُفَ وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَقِصَّةُ إبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ بِالْحُجَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ لِدَفْعِ ضَرَرِ الْخَصْمِ عَنْ الدِّينِ وَقِصَّةُ يُوسُفَ فِي الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ لِتَحْصُلَ مَنْفَعَةُ الْمَطْلُوبِ فَالْأَوَّلُ عَلِمَ بِمَا يَدْفَعُ الْمَضَارَّ فِي الدِّينِ وَالثَّانِي عَلِمَ بِمَا يَجْلِبُ الْمَنَافِعَ أَوْ يُقَالُ: الْأَوَّلُ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَدْفَعُ الْمَضَرَّةَ عَنْ الدِّينِ وَيَجْلِبُ مَنْفَعَتَهُ وَالثَّانِي عَلِمَ بِمَا يَدْفَعُ الْمَضَرَّةَ عَنْ الدُّنْيَا وَيَجْلِبُ مَنْفَعَتَهَا أَوْ يُقَالُ قِصَّةُ إبْرَاهِيمَ فِي عِلْمِ الْأَقْوَالِ النَّافِعَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَيْهَا وَقِصَّةُ يُوسُفَ فِي عِلْمِ الْأَفْعَالِ النَّافِعَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَيْهَا فَالْحَاجَةُ فِي جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ قَدْ تَكُونُ إلَىٰ الْقَوْلِ وَقَدْ تَكُونُ إلَىٰ الْفِعْلِ[٢].

السحرة والمنجمون عباد شياطين:

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ١ / ص ١١٣.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ٣ / ص ٣٠٧.

من معالم الاحتساب في قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ، سؤاله الله السلامة من عبادة الاصنام وبيانه انها اضلت كثيرا من الناس وذلك لانها تعبد للشياطين وطلاسم للكواكب لا انها أحجار فقط، وهذا سبب ضلال من ضل ممن عبدها كالسحرة والمنجمين: قال ابن تيمية: قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾[2]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يُضِلُّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ إلَّا بِسَبَبِ اقْتَضَىٰ ضَلَالَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَلَقَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ إنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا شُفَعَاءَ وَوَسَائِطَ لِأَسْبَابِ: مِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَهَا عَلَىٰ صُوَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا تَمَاثِيلَ وَطَلَاسِمَ لِلْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْجِنِّ. وَمِنْهُمْ: مَنْ جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. فَالْمَعْبُودُ لَهُمْ فِي قَصْدِهِمْ إنَّمَا هُوَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ أَوْ الشَّمْسُ أَوْ الْقَمَرُ. وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ: فَهِيَ الَّتِي تَقْصِدُ مِنْ الْإِنْسِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَتُظْهِرُ لَهُمْ مَا يَدْعُوهُمْ إلَىٰ ذَلِكَ.[3].

دعوة السحرة والمنجمين إلى عبادة الخالق الذي يعرفونه.

يذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في احتسابة عبدة الكواكب من السحرة والمنجمين

(١) الآيتان ٣٥-٣٦سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٢٤سورة نوح.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ١ / ص ١١٣.

بأصل يتفقون معه عليه وهو اعترافهم بالملك الجليل الخالق المدبر، فإذا كانوا يقرون بذلك كيف يعبدون تلك الكواكب ويتقربون بما يتقربون به إليها غند سحرهم:

قال ابن تيمية: ثُمَّ مَنْ عَبَدَ الْمَلَائِكَةَ وَالْكَوَاكِبَ وَأَرْوَاحَ الْبَشَرِ وَأَجْسَادَهُمْ: اتَّخَذَ الْأَصْنَامَ عَلَىٰ صُوَرِهِمْ وَطَبَائِعِهِمْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ أَسْبَابِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَلِهَذَا كَانَ الْخَلِيلُ إمَامُ الْحُنَفَاءِ: مُخَاطِبًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْكَوَاكِبَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ مَعَ إشْرَاكِهِمْ وَاعْتِرَافِهِمْ بِأَصْلِ الْجَمِيعِ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَأُولَئِكَ هُمْ الصَّابِئُونَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ مَلَكَهُمْ نمروذ. وَعُلَمَاؤُهُمْ الْفَلَاسِفَةُ مِنْ الْيُونَانِيِّينَ وَغَيْرُهُمْ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرْضِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا وَجَزَائِرِ الْبَحْرِ قَبْلَ النَّصَارَىٰ وَكَانُوا بِهَذِهِ الْبِلَادِ فِي أَيَّامِ بَنِي إسْرَائِيلَ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ بَنِي إسْرَائِيلَ فَيَغْلِبُونَ تَارَةً وَيُغْلَبُونَ تَارَةً وسنحاريب وبختنصر وَنَحْوُهُمَا: هُمْ مُلُوكُ الصَّابِئَةِ بَعْدَ الْخَلِيلِ. والنمروذ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ. فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ الرَّدِّ لِمَقَالَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيهَا: مِنْ إثْبَاتِ الْوِلَادَةِ لِلَّهِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ لَا يَفْهَمُ دَلَالَةَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إلَىٰ شَيْئَيْنِ: إلَىٰ تَصَوُّرِ مَقَالَتِهِمْ بِالْمَعْنَىٰ لَا بِمُجَرَّدِ اللَّفْظِ وَإِلَىٰ تَصَوُّرِ مَعْنَىٰ الْقُرْآنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا. فَتَجِدُ الْمَعْنَىٰ الَّذِي عَنَوْهُ قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَىٰ ذِكْرِهِ وَإِبْطَالِهِ [١].

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ج ١ / ص ١٩٠).

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتقرير أصول الإيمان:

ومن احتساب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضا علىٰ السحرة والمنجمين عبدة الكواكب: قيامه بِأَصْلِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَمُخَاصِمَةُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وقد ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ إِرَادَةَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَخْذِ أَرْبَعَةٍ مِنْ الطَّيْرِ. فَقَرَّرَ أَمْرُ الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَهُمَا اللَّذَانِ يَكْفُرُ بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا كُفَّارُ الصَّابِئَةِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَنَحْوِهِمْ الَّذِينَ بُعِثَ الْخَلِيلُ إِلَىٰ نَوْعِهِمْ. فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ وُجُودَ الصَّانِعِ؛ وَفِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ صِفَاتِهِ؛ وَفِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ خَلْقَهُ وَيَقُولُ: إِنَّهُ عِلَّةٌ؛ وَأَكْثَرُهُمْ يُنْكِرُونَ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ. وَهُمْ مُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ الْعُلْوِيَّةَ وَالْأَصْنَامَ السُّفْلِيَّةَ. وَالْخَلِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَدَّ هَذَا جَمِيعَهُ:

١. فَقَرَّرَ رُبُوبِيَّةَ رَبِّهِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

٢. وَقَرَّرَ الْإِخْلَاصَ لَهُ وَنَفَىٰ الشِّرْكَ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا.

٣. وَقَرَّرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَاسْتَقَرَّ فِي مِلَّتِهِ مَحَبَّتُهُ لِلَّهِ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ بِاتِّخَاذِ

(١) الآية ٢٥٨ سورة البقرة..

اللَّهِ لَهُ خَلِيلًا.

٤. ثمَّ إِنَّهُ نَاظَرَ الْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَةِ مَنْ لَا يُوصَفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ. فَقَالَ لِأَبِيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[1].

فَإِبْرَاهِيمُ دَعَا إِلَىٰ الْفِطْرَةِ: وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ وَالْإِقْرَارُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ مَنْ سَلَبَهَا. فَلَمَّا عَابَهُمْ بِعِبَادَةِ مِنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ قَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾[2] وَلَمَّا عَابَهُمْ بِعِبَادَةِ مَنْ لَا يُغْنِي شَيْئًا فَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ قَالَ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾[3] فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ لِقَلْبِهِ وَجِسْمِهِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ عَنْ ذَلِكَ. وَهُوَ أَمْرُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. فَمَنْفَعَةُ الدِّينِ الْهُدَىٰ؛ وَمَضَرَّتُهُ الذُّنُوبُ وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الْمَغْفِرَةُ. وَلِهَذَا جَمَعَ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ. وَمَنْفَعَةُ الْجَسَدِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ؛ وَمَضَرَّتُهُ الْمَرَضُ وَدَفْعُ الْمَضَرَّةِ الشِّفَاءُ. وَأَخْبَرَ أَنَّ رَبَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَأَنَّهُ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَإِحْيَاؤُهُ فَوْقَ كَمَالِهِ بِأَنَّهُ حَيٌّ. وَأَنَّهُ فَطَرَ السَّمَوَاتِ

(١) الآية-٤٣سورة مريم.

(٢) الآيتان٣٨-٣٩سورة إبراهيم.

(٣) الآيات ٧٨-٨٣سورة الشعراء.

وَالْأَرْضَ يَقْتَضِي إِمْسَاكَهَا وَقِيَامَهَا الَّذِي هُوَ فَوْقَ كَمَالِهِ بِأَنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ عَنْ النُّجُومِ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ فَإِنَّ الْآفِلَ هُوَ الَّذِي يَغِيبُ تَارَةً وَيَظْهَرُ تَارَةً فَلَيْسَ هُوَ قَائِمًا عَلَىٰ عَبْدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا سِوَىٰ اللَّهِ مِنْ الْكَوَاكِبِ وَنَحْوِهَا وَيَتَّخِذُونَهَا أَوْثَانًا يَكُونُونَ فِي وَقْتِ الْبُزُوغِ طَالِبِينَ سَائِلِينَ وَفِي وَقْتِ الْأُفُولِ لَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُمْ وَلَا مُرَادُهُمْ. فَلَا يَجْتَلِبُونَ مَنْفَعَةً وَلَا يَدْفَعُونَ مَضَرَّةً وَلَا يَنْتَفِعُونَ إذْ ذَاكَ بِعِبَادَةِ. فَبَيَّنَ مَا فِي الْآلِهَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ النَّقْصِ وَبَيَّنَ مَا لِرَبِّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ الْكَمَالِ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْفَاطِرُ الْعَلِيمُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْهَادِي الرَّازِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ. وَسَمَّىٰ رَبَّهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ الدَّالَّةِ عَلَىٰ نُعُوتِ كَمَالِهِ فَقَالَ: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] وَقَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فَوَصَفَ رَبَّهُ بِالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الْمُنَاسِبِ لِمَعْنَىٰ الْخُلَّةِ.[3].

(١) الآية ١٢٩ سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٦ سورة إبراهيم.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

المبحث الثاني: احتساب موسي الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والكافرين

لقد ذكر الله قصة موسىٰ في القرآن كثيرا، بل إن قصة موسىٰ هي أكثر قصص القرآن ذكرا في القرآن الكريم، لما فيها من العجائب والبصائر، ولما فيها من الآيات والتذكرة لعباد الله الموحدين أتباع النبي المصطفىٰ الهادي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث عنه وعن قومه كثيرا ويسلي نفسه بذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما آذاه ذلك الخارجي قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحم الله أخي موسي أوذي بأكثر من هذا فصبر.

قال شيخ الإسلام: إن موسىٰ وأخاه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وفرعون وملائه وسحرته يمثلون الصراع بين الحق والباطل: إن ربنا تعالىٰ ثنىٰ قِصَّةَ مُوسَىٰ مَعَ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُمَا فِي طَرَفَيْ نَقِيضٍ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ فِي غَايَةِ الْكُفْرِ وَالْبَاطِلِ حَيْثُ كَفَرَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِالرِّسَالَةِ وَمُوسَىٰ فِي غَايَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَاسِطَةً مِنْ خَلْقِهِ فَهُوَ مُثْبِتٌ لِكَمَالِ الرِّسَالَةِ وَكَمَالِ التَّكَلُّمِ وَمُثْبِتٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَا اسْتَحَقَّهُ مِنْ النُّعُوتِ وَهَذَا بِخِلَافِ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْكُفَّارِ فَإِنَّ الْكُفَّارَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَجْحَدُونَ وُجُودَ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ أَيْضًا لِلرُّسُلِ مِنْ التَّكْلِيمِ مَا لِمُوسَىٰ؛ فَصَارَتْ قِصَّةُ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ أَعْظَمَ الْقِصَصِ وَأَعْظَمُهَا اعْتِبَارًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُصُّ عَلَىٰ أُمَّتِهِ عَامَّةَ لَيْلِهِ عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَكَانَ يَتَأَسَّىٰ بِمُوسَىٰ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ

وَلَمَّا بُشِّرَ بِقَتْلِ أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ الصَّابِئَةِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ؛ وَلِهَذَا كَانَ يَعْبُدُ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[١] وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مُسْتَيْقِنًا لَهُ لَكِنَّهُ كَانَ جَاحِدًا مَثْبُورًا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ الْآيَةَ[٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[٣] الْآيَةَ[٤].

ومما ذكر وكرر وبسط في القرآن احتسابه علىٰ السحرة والكافرين، فقد احتسب علىٰ فرعون الذي كفر بالله، بل وأنكر وجوده مع أن قلبه مستيقن به تعالىٰ، عارف حق المعرفة أن تلك الآيات التي مع موسي لا يقدر عليها إلا القوي القادر المالك القاهر سبحانه، واجه موسىٰ فرعون أولا في اتهامه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالسحر واحتسب عليه في ذلك، ثم احتسب ثانيا علىٰ سحرته الذين حشرهم من أطراف مملكته، فوعظهم وزجرهم ثم ناظرهم، وأبطل سحرهم وهزمهم فغلبوا وخروا سجدا مؤمنين به وبأخيه هارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وفي هذا المبحث عرض لمعالم احتسابه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من خلال مطلبين:

---

(١) الآية ١٢٧ سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٣-١٤ سورة النمل..

(٣) الآيتان ١٠١-١٠٢ سورة الإسراء.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٧١).

المطلب الأول: احتساب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ فرعون وملائه.

المطلب الثاني: احتساب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة.

المطلب الأول: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون وملائه

إن فرعون علا في الأرض وعم فساده وشره؛ ظلم العباد وجعل الناس شيعا يستضعف طائفة يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم، ثم كان مع هذا كافرا صادا عن سبيل الله بل نازع الله في ربوبيته وادعاها، وهو الأمر الذي ما تحدث به عاقل، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك، غير أنه استخف قومه فأطاعوه، وراح يتباهي ويستدل على ربوبيته العليا بنعم الله التي أغدقها عليه، فذهب يقول: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] وراح يعتدي بلسانه على نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويزعم أنه لا يكاد يبين، مع أن هذه المحاورة التي في سورة الشعراء من أول قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] تثبت أن العيي الجاهل هو فرعون، وتثب لكل عاقل بيان موسى المبين، وحججه الدامغة، وإجاباته الموجزة القاصمة والتي لم يستطع أن يرد عليها فرعون إلا بقوله لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونيين وليس المقام مقام بسط القصة، إذ أن مرادنا في هذه المجموعة إبراز جانب الاحتساب على السحرة.

وسيعرض هذا المطلب احتساب موسى على فرعون وملائه، الذين اتهموا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه ساحر، ووصفوا آياته بالسحر، وذلك ليقوى عزم

(١) الآية ٥١ سورة الزخرف..

(٢) الآيات ١٨-٢٨ سورة الشعراء.

المحتسبين علىٰ هؤلاء السحرة وهم يرون ذلك النبي الكريم، يواجه فرعون بأوتاده وجنوده وعتاده، وكبره وعتوه وفرعون لا يقدر أن يفعل معه شيئا، ولا أن يمسه بسوء، وأنت أيها المحتسب علىٰ هؤلاء علىٰ درب موسىٰ وإخوانه تسير، وما يبلغ الساحر اليوم معشار ما كان عند فرعون، بل إن الساحر ذليل مطارد، يطارده الناس جميعا، ولا يمارس أعماله في خفاء، وإذا عرف أخذ سواء في دولة مسلمة أو غيرها، لفساده العقيدة، أو لضرره الخلق فالساحر الآن بفضل الله ضعيف واهن القوىٰ إنه اضعف من بيت عنكبوت.

ويتجلي احتساب موسىٰ علىٰ فرعون وملائه من خلال ما يلي:

يروج السحر عند تناسخ العلم وانعدام المنكرِ المحتسبِ:

قال ابن كثير: وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا. واعتقد من اعتقد منهم، وأوهم من أوهم منهم، أن ما جاء موسىٰ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، من قبيل ما تشعبذه سحرتهم؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات، كما أخبر تعالىٰ عن فرعون حيث قال: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

إن السحر يروج عند عدم القائم بأمر الله الداعي إلىٰ توحيده، فيستخف بهم أهل الباطل، ويموهون عليهم، وعند الجهل بتوحيد الله والجهل بالشرك ينتشر

(١) الآيات ٥٨-٦٠ سورة طه.

السحرة، فعند غياب الاحتساب علىٰ هؤلاء ينتشرون وينخدع الناس بهم، كما استخف فرعون قومه.

فرعون يتهم موسى بالسحر ويعده بأن يصنع مثل ما صنع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال ابن كثير قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾[1] أي: تتلألأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون -بشقائه- إلىٰ التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر. فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم علىٰ مخالفته، والكفر به. فقال ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[2]؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم علىٰ دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليَّ فيه ماذا أصنع به؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[3] أي: أخِّره وأخاه حتىٰ تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحَّار عليم] يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد. فأجابهم إلىٰ ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالىٰ[4] قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

---

(١) الآية ٣٣سورة الشعراء.

(٢) الآية ٣٥سورة الشعراء.

(٣) الآيتان ٣٦-٣٧سورة الشعراء.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٦ / ص ١٣٩.

يَٰمُوسَىٰٓ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسىٰ حين أراه الآية الكبرىٰ، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به علىٰ الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ أي: يومًا نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ مُوسَىٰ ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وهو يوم عيدهم ونَوروزُهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله علىٰ ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: جميعهم ﴿ضُحٗى﴾ أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلىٰ وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل «ليلا» ولكن نهارًا ضحىٰ. قال ابن عباس: وكان يوم الزينة يوم عاشوراء. وقال السدي، وقتادة، وابن زيد: كان يوم عيدهم. وقال سعيد بن جبير: يوم سوقهم. ولا منافاة. قلت: وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده، كما ثبت في الصحيح.

---

(١) الآيات ٥٧-٥٩ سورة طه.

وقال مجاهد، وقتادة: ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ مَنْصَفًا. وقال السدي: عدلا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ [مستوىٰ] يتبين الناس ما فيه، لا يكون صَوَب ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوٍ حتىٰ يُرىٰ[١].

فالسحرة والمتعاونون معهم والقاصدون بابهم قوم بهت لا يتورعون عن الكذب، فالمحتسب يتأمل هنا وينظر إلىٰ إمام من أئمتهم فرعون الذي استخدم السحر لمحاربة الله ورسوله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كيف افترىٰ علىٰ النبي الكريم الموحد الداعي إلىٰ التوحيد الذي يحذر من الشرك بأنه ساحر، فعلىٰ المحتسب أن يأخذ لهذا الأمر عدته، بالصبر والاستعانة بالله تعالىٰ وإعداد عدته لمنازلة هؤلاء فإنهم مخذولون بإذن الله مهما كثر عددهم، وأكاذيبهم سيظهرها الله عَزَّوَجَلَّ، وينصر المحتسب الموحد.إنهم قوم بهت..

لقد قال الله في فِرْعَوْنُ وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢] وَقَالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[٣]. فَمُوسَىٰ

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٢٩٩) قال وهب بن مُنَبِّه: قال فرعون: يا موسىٰ، اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه. قال موسىٰ: لم أومر بهذا، إنما أمرت بمناجزتك، إن أنت لم تخرج دخلت إليك. فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو. قال فرعون: اجعله إلىٰ أربعين يومًا. ففعل.

(٢) الآية ١٤ سورة النمل.

(٣) الآيتان ١٠١-١٠٢ سورة الإسراء.

وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ يَقُولُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾. فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْآيَاتِ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ خَلْقِ اللَّهِ عِنَادًا وَبَغْيًا لِفَسَادِ إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ لَا لِعَدَمِ عِلْمِهِ.(١).

قال ابن كثير: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾(٢) أي: قال الملأ -وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون- موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه رَوْعه، واستقر علىٰ سرير مملكته بعد ذلك، قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور كذبه وافترائهم، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾(٣) فلما تشاوروا في شأنه، وائتمروا فيه، اتفق رأيهم علىٰ ما حكاه الله تعالىٰ عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾(٤). قال ابن عباس: ﴿أَرْجِهْ﴾ أخّره. وقال

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٢ / ص ١١١).
(٢) الآيتان ١٠٩-١١٠ سورة الأعراف.
(٣) الآية ٦ سورة القصص.
(٤) الآيتان ١١١-١١٢ سورة الأعراف.

قتادة: احبسهُ. ﴿وَأَرۡسِلۡ﴾ أي: ابعث ﴿فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾ أي: في الأقاليم ومعاملة ملكك، ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي: من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم[١].

لقد اتهم الملأ من قوم فرعون موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالسحر اتباعا لفرعون، وتقليدا له واتباعا لهواه ومزيدا في اضلاله، وهذه من أشد الأمور علىٰ المؤمن أن يوصف بهذا الباطل ولقد أراد هؤلاء أن يسووا بين نبي الله الذي يأمر بالتوحيد والإيمان، وعبادة الله ومحاسن الأخلاق، وبين السحرة الذين يدعون إلىٰ الشرك والضلال وعبادة العباد، ومساويء الأخلاق، ولذلك أخبر موسىٰ أن الفلاح قرينه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فكيف يكون ساحر والساحر لايفلح لذلك استنكر وصفهم له بالسحر فقال اسحر هذا ولا يفلح الساحرون، هذه الآيات التي قهرتكم قهرا، وأذهبت عقولكم وهزمتكم ونصرتني كيف تكون سحرا ولو كانت كذلك ما أفلحت أبدا كحالكم أنتم.

السحرة وطالبي السحر وقلب الأمور:

لقد قلب فرعون المستنصر بالسحر وأهله وقومه الذين غوت عقولهم وضلت الأمر وأرادوا إلباس الحق ثوب الباطل وأرادوا أن ينشروا بين الناس إن ذلك المصلح الجليل جاء ليفسد، وأرادوا الانتقام من أهله لينفروهم أيضا ويصرفوهم عنه، ويظنوا أن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو سبب القتل والبلاء، ولكن باليقين في الله والصبر نصر الله موسىٰ وقومه وخذل أهل الباطل المستعينين بالسحر.

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٥٦).

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

يخبر تعالىٰ عما تمالأ عليه فرعون وملؤه، وما أظهروه لموسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقومه من الأذىٰ والبغضة: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: لفرعون ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ ﴾ أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلىٰ عبادة ربهم دونك، يالله للعجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسىٰ وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون، ولكن لا يشعرون؛ ولهذا قالوا: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ قال بعضهم: «الواو» هنا حالية، أي: أتذره وقومه يفسدون وقد ترك عبادتك؟[2].

(١) الآيات ١٢٧-١٢٩ سورة الأعراف.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣/ ص ٤٢٦).

المطلب الثاني: احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة

كما احتسب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ فرعون ودعاه إلىٰ ربه، ونهاه عن الشرك، ورد علىٰ اتهامه إياه بالسحر، وعلىٰ وصف آياته أنها سحر، بأن الساحر لا يفلح وإنكاره عليه ذلك، وبيانه لفرعون أن هذه الآيات ليست سحرا وأنك موقن في قرارة نفسك أنها من عند الله، احتسب كذلك علىٰ السحرة فوعظهم وحذرهم وخوفهم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم تواعدوا علىٰ يوم يلتقي فيه الحق والباطل ليفصل الرب الجليل الأكبر بينهما، فجاء موسىٰ بآيته الكبرىٰ، وجاء السحرة بسحرهم العظيم، وفي هذا المطلب عرض موجز لهذا الأمر. هذا وقد ذكر تعالىٰ قصة السحرة مع موسىٰ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، في سورة الأعراف وفي سورة (يونس)، وفي سورة طه، وفي سورة الشعراء.

السحرة طلاب دنيا فهم عبيدها الأذلاء:

إن السحرة طلاب دنيا وقد طلبوها من غير الطريق الذي شرعه الله تعالىٰ لنيلها وإن الذي يؤثر الدنيا علىٰ ربه والدار الأخرة مخذول في الدنيا وخاسر في الآخرة، أما المحتسب فهو يرجو الله والدار الآخرة فهو فائز في الآخرة رابح، ثم إن الدنيا تأتيه وهي راغمة فيعيشها متمتعا بما فيها قد نال فوق ما يتمني ونال فيها وبها رضا ربه، وقد ظهر طلب السحرة للدنيا من اشتراطهم الأجر من فرعون لمحاربتهم رسول رب العالمين مالك الملك من عنده خزائن كل شيء.

قال تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1] يخبر تعالىٰ عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن غلبوا موسىٰ ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا. فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا، ويجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده.

السحرة طلبوا الأجر فزادهم الجاه والمنزلة عندهم ومناهم بذلك[2].

ثقة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بربه وغرور السحرة:

إن السحرة قد غرتهم أنفسهم الأمارة بالسوء وغرهم بالله الغرور، غرهم الشيطان الذي يعينهم علىٰ الضلال وغرتهم الحياة الدنيا التي طلبوها من شر الطرق وأوعرها، ومن شر المكاسب وأخبثها.فكان ربنا الجليل العظيم القدير الكبير القاهر هو مولىٰ موسىٰ وكان الشيطان مولىٰ هؤلاء فلما التقىٰ الفريقان اعتمد موسىٰ علىٰ مولاه فنصره وترك الشيطان أوليائه لقد ترك السحرة وترك فرعون وملائه بلا معين ولا نصير: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[3].

قال ابن كثير: فلما توثقوا من فرعون لعنه الله: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ

(١) الآيتان ١١٣-١١٤ سورة الأعراف.
(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢١١.
(٣) الآية ١١ سورة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[1][2].

نظرا لتمكنهم في السحر قالوا لموسىٰ هذا القول فإنهم رأوا انهم غالبون ألقوا أولا أم أخرا وهذه ثقتهم بالشياطين، أما موسىٰ فقد رد في ثقة في ربه بأن القوا والموحد المحتسب ينبغي ألا يهتز من ثقة السحرة في شياطينهم، بل يكون أعظم منهم ثقة، اذ لا نسبة أصلا بين قوة من يعتمد عليه الموحد المحتسب ومن يعتمد عليه الساحر، فالله يغيث عبده في الشدائد أما الشيطان فإنه يترك وليه وهو أحوج ما يكون إليه ويخذله في أشد الساعات طلبا لنصرته، أن الله لا يترك وليه، أما الشيطان فلا ينصر وليه إذا احتاج إليه، وخاصة في تلك المواقف الجليلة التي يكون فيها اللقاء بين الحق والباطل حاسما، وهذا درس عظيم ينبغي أن يعيه الموحد المحتسب. قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾[3]؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾[4].

فأراد موسىٰ أن تكون البَدَاءة منهم، ليرىٰ الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق

(١) الآيتان ١١٥-١١٦ سورة الأعراف.
(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢١١.
(٣) الآية ٨٠ سورة يونس.
(٤) الآيتان ٦٥-٦٦ سورة طه.

بعده فيدمغ باطلهم [١].

لقد سعىٰ فرعون يجمع السحرة من مملكة مصر ومن هم تحت ولايته، واشترط فرعون أن يكون السحرة من السحرة العارفين العالمين بالسحر المتقنين له المتميزين فيه؛ ولهذا لما ﴿أَلْقَوْا سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

قال ابن كثير: هذه مبارزة من السحرة لموسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في قولهم: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ أي: قَبْلك. كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾[٣] فقال لهم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَلْقُوا۟﴾ أي: أنتم أولا قبلي. والحكمة في هذا -والله أعلم- ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خيلوا إلىٰ الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٢٨٦.
(٢) الآية ١١٦ سورة الأعراف.
(٣) الآية ٦٥ سورة طه.

صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[1][2].

قال ابن كثير: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3] يخبر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ عبده ورسوله موسىٰ، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالىٰ فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ أي: تأكل ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾ أي: ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل. قال ابن عباس: فجعلت لا تَمُرّ بشيء من حبالهم ولا من خُشُبهم إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخروا سجدا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[4].

وقال محمد بن إسحاق: جعلت تبتلع تلك الحبال والعصىٰ واحدة، واحدة حتىٰ ما يُرَىٰ في الوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسىٰ فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ لو كان هذا ساحرا ما غُلبنا. وقال القاسم بن أبي بَزَّة: أوحىٰ

---

(١) الآيات٦٦-٦٩سورة طه.

(٢) إن الساحر لا يفلح لافىٰ الدنيا ولافىٰ الآخرة ويتضمن هذا أنه لم يهنأ ويفوز بمطلوبه وينجو من مهروبه لا في الأخرة ولا في الدنيا، فهو لم يهنأ بتلك الأموال التي جمعها، إن الشياطين أخذته مطية فأفسدت عليه بيته وزوجه وولده وأخلاقه ، هذا في الدنيا. وفىٰ الآخرة بأنه لا خلاق له ولا نصيب في الأخرة وذلك لفساد معتقده وفساد أخلاقه، لأنه باع نفسه للشيطان، وسيأتىٰ الحديث عن الساحر مفصلاً بعد سنرىٰ كيف يعيشون كيف ينامون وما هي صفة بيوتهم وأماكن إقامتهم التي تنتشر بها القاذورات.

(٣) الآيتان١٢١-١٢٢سورة الأعراف.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

الله إليه أن ألق عصاك، فألقىٰ عصاه، فإذا هي ثعبان فاغرٌ فَاهُ، يبتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجدا، فما رفعوا رءوسهم حتىٰ رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما.[١].

يخبر تعالىٰ عما توعد به فرعون، لعنه الله، السحرة لما آمنوا بموسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما أظهره للناس من كيده ومكره في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾[٢]. أي: إن غَلَبَه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، كقوله في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وهو يعلم وكلّ من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل؛ فإن موسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بمجرد ما جاء من «مَدْين» دعا فرعون إلىٰ الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة علىٰ صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر، ممن اختار هو والملأ من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس علىٰ ذلك، وعلىٰ الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسترا وتدليسا علىٰ رعاع دولته وجَهَلتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[٣] فإن

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٥٨).
(٢) من الآية ١٢٣ سورة الأعراف.
(٣) الآية ٥٤ سورة الزخرف.

قوما صدّقوه في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[١] من أجْهَل خلق الله وأضلهم[٢].

وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قال: التقىٰ موسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأميرُ السحرة، فقال له موسىٰ: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق. وفرعون ينظر إليهما، قالوا: فلهذا قال ما قال.

وقوله: ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ أي: تجتمعوا أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولة، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما أصنع بكم. ثم فسر هذا الوعيد بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ يعني: يقطع يد الرّجُل اليمنىٰ ورجْله اليسرىٰ أو بالعكس. و ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: علىٰ الجذوع. قال ابن عباس: وكان أولَ من صلب، وأولَ من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون.

وقول السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله علىٰ ما تدعونا إليه، وما أكرهتنا عليه من

---

(١) الآية ٢٤ سورة النازعات.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٤٢٦).

السحر، أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم علىٰ عذابك لنخلص من عذاب الله، لما قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ أي: عمنا بالصبر علىٰ دينك، والثبات عليه، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ أي: متابعين لنبيك موسىٰ، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. وقالوا لفرعون: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾[1]: فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة.قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَيْر، وقتادة، وابن جُرَيْج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء. [2].

قال تعالىٰ: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[3]وذلك أن فرعون -لعنه الله- أراد أن يَتَهَرَّج علىٰ الناس، ويعارض ما جاء به موسىٰ، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكَس عليه النظام، ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، و﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[4] فظن فرعون أن يستنصر بالسحَّار، علىٰ رسول عالم الأسرار،

---

(١) الآيات٧٢-٧٥ سورة طه.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ / ص ٢٦٩).

(٣) الآية٨٢سورة يونس.

(٤) الآيتان٤٦ - سورة الشعراء ٤٨.

فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار. قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾[١]؛ وإنما قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا -وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾[٢]، فأراد موسىٰ أن تكون البَدَاءة منهم، ليرىٰ الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ ولهذا لما ﴿أَلْقَوْا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[٣][٤].

من احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تخويفه السحرة من عذاب الله:

لقد حرص موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ نصح السحرة وهدايتهم، وكما نصح لفرعون كثيرا، تقدم لهؤلاء بالنصيحة، وقد كان لها أثرها لصدق موسىٰ نبي الله الكليم علىٰ هدايتهم، ولسلامة فطرة هؤلاء ولإرادة ربنا بهم تلك المنزلة العالية، وهذا دأب المحتسب أنه يحب الهداية للعباد، حريص علىٰ إيمانهم واعتقادهم، حريص علىٰ دينهم وعلىٰ دنياهم، ليس مراده الغلبة لحظ نفسه ولا لدنيا فانية بل عمله لله جل جلاله وهنا كانت قلوب السحرة قبله متعلقة بالدنيا لكنها لما أبصرت الحق قبلته وتعلقت به. وفي موقف موسىٰ هنا تعليم للمحتسب أن

(١) الآيتان ٧٩-٨٠ سورة يونس.
(٢) الآيتان ٦٥، ٦٦ سورة طه.
(٣) الآية ١١٦ سورة. الأعراف.
(٤) تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٢٨٦).

يكون هذا شأنه وأن يدعو إلىٰ التوحيد وينبذ شرك السحرة وضلالهم والنتائج علىٰ الله وستكون حسنة في دنياه وأخراه.

قال تعالىٰ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إلىٰ وقت ومكان معلومين، تولىٰ، أي: شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته، الذي كان منتشرا فأرسل الله موسىٰ بالعصا واليد والآيات الآخرىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ أي: اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون علىٰ سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسىٰ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يتوكأ علىٰ عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، فيقولون: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[2] ﴿ قَالَ لَهُم

(١) الآيات ٦٠-٦٤ سورة طه.

(٢) الآيتان ٤١ -٤٢ سورة الشعراء..

﴿مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ أي: لا تُخَيِّلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها[1]، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم علىٰ الله، ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ أي: يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية له، ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ قيل: معناه: أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول: بل هو ساحر. وقيل غير ذلك، والله أعلم.وقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ أي أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن

(١) في تفسير ابن كثير – (ج ٤ / ص ٢٨٦). يقول موسىٰ عليه السلام إنما صنعتموه إنكم سحرتم أعين الناس، فالسحرة زمن موسىٰ عليه السلام يفعلون أشياء لا حقائق لها فهم سحروا أعين الناس، وليس مقصود ابن كثير أنه لا يوجد سحر كيف والله قال وجاءوا بسحر عظيم. وإنما مراد ابن كثير الذىٰ تتلمذ علىٰ شيخ الإسلام. أن يذكر أن تلك الحبال والعصىٰ لم تتغير عن حقيقتها، وبنفسه لا يحرك ساكنًا ولا يسكن متحركًا ولا يقلب حقيقة ولا ذاتًا وذاتًا إلىٰ ذات أخرىٰ. وهذه ليست بمستغربة علىٰ أحوال السحرة [مدداً وأموالاً]، فإن السحرة والكهان من همهم أمرين: المال والرفعة والمكانة ليشار إليهم بالبنان وهذا معلوم مفهوم في كلام فرعون، ففرعون إنسان خطير ويعرف حقائق الأمور بل من خطره معرفته بهؤلاء السحرة – والسحرة شراذم الخلق – ادعىٰ الربوبية واستخف قومه فأطاعوه واستغل أولئك السحرة في استخفاف قومه ودليل ذلك قوله: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ فأجابهم ﴿نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. وهنا أمر وملحظ لابد أن ينتبه له المحتسبون، وهو أنهم لا بد وأن يكونوا محيطين بالجديد في أمر خفة اليد، فلقد كان هناك رجل درس في أمريكا خفة اليد، وكان من ضمن ألاعيبه أنه يأكل الجمر، ولقد أقامت زوجته دعوىٰ عليه بأنه ساحر والتقيته ولما قالوا يأكل الحجر، قلت لهم إن كان محقًا في أكله الحجر فأنا آتية بحجر من عندىٰ ويأكله، لكن الحقيقة أن هذا الرجل يستخدم جمراً أمريكيًا وهو إذا نفخ فيه أو تعرض للهواء انطفئ من تلقاء نفسه. فلما سمع ذلك منىٰ قفز من علىٰ كرسيه ليسجد لله، وليعرف الناس أنه ليس بساحر.

هذا الرجل وأخاه -يعنون: موسىٰ وهارون- ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا علىٰ الناس، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم. وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظَّمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وتفردا بذلك، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم.

وقد جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش. وعن علي في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾قال: يصرفا وجوه الناس إليهما.وقال مجاهد: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ قال: أولي الشرف والعقل والأسنان. وقال أبو صالح: ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أشرافكم وسرواتكم. وقال عكرمة: بخيركم. وقال قتادة: وطريقتهم المثلىٰ يومئذ بنو إسرائيل، كانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله: يريدان أن يذهبا بها لأنفسهما[1]. وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ أي خاف علىٰ الناس أن يَفْتَتِنوا بسحرهم ويغتروا بهم[2] قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحىٰ الله تعالىٰ

(١) تفسير ابن كثير (ج ٤ / ص ٢٨٦).

(٢) إن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يخف من أولئك السحرة، بل إن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان خائفاً أن يرتد الناس ويفتنوا من أولئك عن السحرة، ولو كان خائفاً منهم ما تصدىٰ لآلاف السحرة كما روىٰ عن السلف، وعلىٰ رأسهم ذلك الطاغوت الذىٰ ادعىٰ الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ولكن

إليه في الساعة الراهنة أن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: عصاه، فإذا هي ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ وذلك أنها صارت تِنِّينًا عظيما هائلا ذا عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتىٰ لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلىٰ ذلك عيانًا جَهْرة، نهارًا ضحوة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1].

وهذا من معالم الاحتساب في قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعلم الموحد المحتسب علىٰ السحرة وشياطينهم أنهم مهما بهرجوا ومهما هولوا ومهما عظموا أنفسهم وعملهم فإنهم خاسرون اقترنت بهم الخيبة واقترن بهم الخسران فما صنعوا إلا

هؤلاء المحتسبين أحباب الله ورسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين يقومون بحقه ويبذلون الغالىٰ والنفيس من أجل توحيد الحكيم العليم فإنه لأعظم ما تنفق الأعمر وتبذل فيه الأموال توحيد الجبار جلا جلاله، لقد كان موسىٰ خائفًا من إفساد المفسدين، وهؤلاء أنبياء الله ورسله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولىٰ العزم من الرسل، أرسلهم الله رحمة للعالمين، وكان خوفه رحمة بعباد الله. يريد أن يعبدهم لله ويخرجهم إلىٰ نور التوحيد، كما أن أولئك السحرة أعوان للشيطان وهمهم الأكبر إرضاء ربهم وسيدهم فرعون أن يجلبوا أكبر عدد من الناس يدخلون مع فرعون والشيطان إلىٰ النار وبئس القرار، فالله يقول لا تخف إنك أنت الأعلىٰ وذلك بالتوحيد في انتصارك علىٰ الكفر والسحرة، لا تخف يا موسىٰ ثم أمره فقال ألق إن السحرة ضعفاء فهم أولياء الشيطان والله قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢). قال محمد بن كعب: كانوا ثمانين ألفًا، وقال القاسم بن أبي بزَّة: كانوا سبعين ألفًا.وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفًا.و عن أبي ثمامة: كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفًا.وقال محمد بن إسحاق: كانوا خمسة عشر ألفًا. وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفًا.وعن ابن عباس قال: كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء..

كيدا، وكيدهم لا يفلح أبدا، وكيف يفلح والله قال عن وليهم ان كيد الشيطان كان ضعيفا.

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسىٰ ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر علىٰ هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سُجَّدًا لله وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1][2]. عندما أبصر السحرة ما فعل موسىٰ من انقلاب عصاه إلىٰ حية تلقف ما يأفكون، ورأوا بأم أعينهم، وهم أهل الخبرة بعلوم السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن ما فعله ليس من قبيل السحر فعند ذلك سجدوا لله وقالوا ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. لم يغتروا لما أعد لهم من الترغيب، ولم يرجعوا عن الإيمان والهداية بالترهيب، بل قالوا أقض ما أنت قاض. ولهذا قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَير: كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة. قال ابن أبي حاتم: قال الأوزاعي: لما خرَّ السحرة سُجَّدًا رُفعت لهم الجنة حتىٰ نظروا إليها. وقال ابن أبي حاتم: وذُكر عن سعيد بن سلام: حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سليمان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ قال: رأوا منازلهم تبني لهم وهم في سجودهم. وكذا قال عكرمة

(١) الآيتان ٤٧، ٤٨ سورة الشعراء.

(٢) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢).

والقاسم بن أبي بَزَّة).[١].

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾[٢]. يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل، حين رأىٰ ما رأىٰ من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأىٰ الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغُلِب كل الغلب -شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلىٰ استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهددهم وأوعدهم وقال ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أي: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك، وافتتم عليّ في ذلك. وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بَهْت وكذب: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسىٰ، واتفقتم أنتم وإياه عليّ وعلىٰ رعيتي، لتظهروه. وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي علىٰ ضلالة، وأنتم مع موسىٰ وقومه علىٰ الهدىٰ. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقىٰ فيه. فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في

(١) تفسير ابن كثير (ج ٥ / ص ٣٠٢).
(٢) الآيات ٧١-٧٣ سورة طه.

الله عَزَّوَجَلَّ، و﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: لن نختارك علىٰ ما حصل لنا من الهدىٰ واليقين. ﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ﴾ يحتمل أن يكون قسمًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا علىٰ البينات.يعنون: لا نختارك علىٰ فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت. ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي: فافعل ما شئت وما وَصَلَت إليه يدك، { إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أي: إنما لك تَسَلُّط في هذه الدار، وهي دار الزَّوال ونحن قد رغبنا في دار القرار. (١) ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ أي: ما كان منا من الآثام، خصوصًا ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالىٰ ومعجزة نبيه.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ أي: خير لنا منك ﴿ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ أي: أدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنيتنا. وهو رواية عن ابن إسحاق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.وقال محمد بن كعب القُرَظِي: ﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ ﴾ أي: لنا منك إن أطيع، ﴿ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ أي: منك عذابًا إن عُصِيَ.وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضًا.قال ابن كثير: والظاهر أن فرعون -لعنه الله- صمم علىٰ ذلك وفعله بهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسَوْا شهداء.

قال ابن كثير: قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ ﴾

(١) تفسير ابن كثير ج ٥ / ص ٣٠٤ وما بعدها بتصرف.

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[1]. الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد، فقالوا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ أي: يلقىٰ الله يوم القيامة وهو مجرم، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾[2].

قال ابن تيمية: (وقَدْ قَصَّ سُبْحَانَهُ قِصَّةَ مُوسَىٰ وَأَظْهَرَ بَرَاهِينَ مُوسَىٰ وَآيَاتِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَظْهَرِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ حَتَّىٰ اعْتَرَفَ بِهَا السَّحَرَةُ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَنَاهِيك بِذَلِكَ فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ حَقَّ مُوسَىٰ؛ وَأَتَىٰ بِالْآيَاتِ الَّتِي عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ؛ وَابْتَلَعَتْ عَصَاهُ الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ الَّتِي أَتَىٰ بِهَا السَّحَرَةُ بَعْدَ أَنْ جَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ وَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوا النَّاسَ ثُمَّ لَمَّا ظَهَرَ الْحَقُّ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ مِنْ الدَّلَائِلِ الْبَيِّنَاتِ الْيَقِينِيَّةِ الْقَطْعِيَّةِ وَعَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنَا؛ وَهُوَ خَالِقُنَا وَرَبُّنَا الَّذِي لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ لَنْ نُؤْثِرَك عَلَىٰ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ وَعَلَىٰ خَالِقِ الْبَرِيَّةِ ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ

(١) الآيات ٧٤-٧٦ سورة طه.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (ج ٣ / ص ٤٢٦).

﴿ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْهَا مِنْ الِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ نَوْعًا غَيْرَ النَّوْعِ الْآخَرِ[1].

وإن من معالم الاحتساب في قصة موسىٰ أن المحتسب علىٰ السحرة منصور شرعا، ومؤيد بنصر الله وتسخير الكون لنصرته بإذن الله، وفي احتساب موسىٰ علىٰ فرعون وسحرته ما يظهر هذا واضحا، فقد هزمهم بحججه وآياته الشرعية ودعوته إلىٰ التوحيد ثم بما معه من آيات ومعجزات، ثم نصره الله قدرا وكونا فأهلك فرعون وقومه.وقد استدل بعض اليهود بتأييد الله ونصره لموسىٰ علىٰ بعض المبتدعة الذين كانوا يدافعون عن فرعون ويعذرونه قال ابن تيمية: حَدَّثَنِي بَهَاءُ الدِّينِ عَبْدُ السَّيِّدِ الَّذِي كَانَ قَاضِي الْيَهُودِ وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلَامُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَكَانَ قَدْ اجْتَمَعَ بِالشِّيرَازِيِّ أَحَدِ شُيُوخِ هَؤُلَاءِ وَدَعَاهُ إلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ وَزَيَّنَهُ لَهُ فَحَدَّثَنِي بِذَلِكَ فَبَيَّنْت لَهُ ضَلَالَ هَؤُلَاءِ وَكُفْرِهِمْ وَأَنَّ قَوْلَهُمْ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ فِرْعَوْنَ. فَقَالَ لِي: إنَّهُ لَمَّا دَعَاهُ حَسَنٌ الشِّيرَازِيُّ إلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ لَهُ: قَوْلُكُمْ هَذَا يُشْبِهُ قَوْلَ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: نَعَمْ وَنَحْنُ عَلَىٰ قَوْلِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ عَبْدُ السَّيِّدِ إذْ ذَاكَ لَمْ يُسْلِمْ بَعْدُ فَقَالَ: أَنَا لَا أَدَعُ مُوسَىٰ وَأَذْهَبُ إلَىٰ فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُ وَلِمَ؟ قَالَ لِأَنَّ مُوسَىٰ أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ. فَانْقَطَعَ فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ الْقَدَرِيِّ الَّذِي نَصَرَ اللَّهُ بِهِ

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (ج ٤ / ص ٢٠٥).

مُوسَىٰ لَا بِكَوْنِهِ كَانَ رَسُولًا صَادِقًا[١].

حفظ الله للمحتسبين:

ومن معالم الاحتساب التي يأخذه المحتسب من قصة موسىٰ حفظ الله من كيد السحرة، ولقد حفظ الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من فرعون ومعه السحرة، حتىٰ أن فرعون ليقول: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فلمن يقول ذروني، ومن ذا الذي يمسك به وهو فرعون ذو الأوتاد، وهل يحتاج إذنا من أحد ليقتل موسىٰ لكنها عبارة تحكي عجز من يحادد الله ورسله وقوة من ينصر الله ودينه..

إن الله ينصر المحتسبين الذين تمسكوا بالهدىٰ، ويخذل السحرة الذين يخالفون الهدىٰ ودين الحق. فالرسل نصروا لكونهم تمسكوا بالهدىٰ وكذلك من سار علىٰ طريقهم.

وهي سنة الله مع أوليائه المحتسبين علىٰ من احتسب علىٰ السحرة أعوان الشياطين – ذرونىٰ أقتل موسىٰ ويدع ربه. لقد قذف الله الرعب في قلب فرعون وما استطاع أن يمس موسىٰ بأذىٰ، مع أن القوة والجنود والعتاد والعدد كان مع فرعون ، ولم يكن مع موسىٰ إلا الله عَزَّوَجَلَّ ثم أخيه.

وإن المحتسب الناظر في قضية احتساب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة يجد أن المحتسب مؤيد من الله، بل إنه بالاحتساب علىٰ هؤلاء يتغير كل شئ حتىٰ السنن الكونية ، ولقد كان ذلك في حياة الأنبياء لما قاموا بدعوة التوحيد

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (ج ١ / ص ١٧٧).

نصرهم الله ونصرهم وتغيرت سننه فلا ماء أغرق ولا نار أحرقت ولا سكين قطعت ولا كيد كائد أفلح مع عيسىٰ بل رفعه الله إليه، ولا خوف ولا حزن لمن خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه من رؤية الكفار وقد وصلوا إلىٰ الغار: لا تحزن إن الله معنا ما ظنك بأثنين الله ثالثهما.

المبحث الثالث: احتساب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والشياطين

إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنبياء الله الكرام، أقام عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوة التوحيد كما فعل إخوانه من الأنبياء والمرسلين، لقد نشر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ التوحيد في مملكته حتىٰ تجلىٰ ذلك واضحا في قول طائر صغير وهو الهدهد الذي جاء بتلك الغيرة العجيبة علىٰ التوحيد): ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[1]، ولما سمع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا القول ما تواني عن دعوة أولئك إلىٰ الله تعالىٰ، فكتب رسالته الموجزة العظيمة يدعوهم إلىٰ توحيد الله والاستسلام له: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[2]، ولقد أعد لهم جنودا لا قبل لهم بها إذا لم يوحدوا وما زال يدعوهم رغبا ورهبا حتىٰ قالت التي تملكهم: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

---

(١) الآيات ٢٣-٢٦ سورة النمل.

(٢) الآيتان ٣٠-٣١ سورة النمل.

(٣) الآية ٤٤ سورة النمل.

ذلك النبي آتاه الله ملكا عظيما، عجيبا، فحشر الله له جنوده من الإنس والجن والطير وسخر له الريح ومكنه من الجن وملكهم له، ولما رأىٰ اليهود في زمانه تلك العجائب نسبوه إلىٰ السحر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذلك فعلت ذرياتهم حتىٰ أولئك الذين كانوا علىٰ عهد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدافع الله عن نبيه ودفع عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين أنه حاشاه وهو نبي كريم أن يتعاطىٰ السحر فيكفر بالله تعالىٰ، وإنما الذي علم الناس السحر ونشره هم الشياطين، ولقد احتسب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ أولئك الشياطين وجمع كتب السحر وهدد من يتعاطاه أو يبث الأخبار التىٰ تنشره وتدعو الناس إليه بالقتل كما قال بعض السلف، وأنه حاشاه أن يتعاطىٰ السحر وكيف يفعل وهو نبي كريم، يدعو أول ما يدعو إلىٰ توحيد الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].وفي هذا المبحث عرض لمعالم الاحتساب في قصته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان.

المطلب الثاني: احتساب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة والشياطين.

(١) من الآية١٠٣سورة البقرة.

المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان

إن السحر شرك بالله العظيم، وقد نسب قوم السحر لنبي الله سليمان فدافع الله عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين أن الذين نشروا السحر هم الشياطين الذين توعدوا بني آدم بالإغواء وحلفوا للرب تعالىٰ أن يضلوهم أجمعين، وكان السحر من الطرق التي أخرج بها الشياطين الناس من الهدىٰ إلىٰ الضلال، وبرأ الله نبيه الداعي إلىٰ التوحيد من ذلك فقال تعالىٰ: وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل علىٰ الملكين ببابل هاروت وماروت، وفي هذا المطلب ذكر لبيان السلف الصالح لهذا الأمر.

١. **قول ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لقد بين ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن السحرة هم من علم الناس السحر، وأن بقايا ما بالعراق مما حكاه له بعض القادمين منها إنما هو من هذا الميراث الخبيث، وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بريء من هذا ببراءة الله له.

أخرج الطبري عن عمران بن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال له ابن عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن عليا خارج إليهم! ففزع فقال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه! أما إني أحدثكم؛ من ذلك: إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي

أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث منه صدق، كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان، فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم علىٰ كنزه الممنع الذي لا كنز مثله؟ تحت الكرسي! فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر! فتناسخها الأمم -حتىٰ بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق- فأنزل الله عذر سليمان: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

٢. **قول قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر قتادة براءة سليمان من السحر وتعليمه فقال في تفسيره للآية: (إن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه وما كان ذلك عن مشورة سليمان ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه)[2].

٣. **قول ابن جريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جريج: تلت الشياطين السحر علىٰ اليهود علىٰ ملك سليمان، فاتبعته اليهود علىٰ ملكه، يعني اتبعوا السحر علىٰ ملك سليمان.وبنحو هذا قال ابن

(١) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٥).
(٢) نفس المرجع السابق.

إسحاق، والربيع، ومجاهد وجمع من العلماء[١]، ذكروا ما ذكره الله في القرآن من أن الشياطين هي من علمت الناس السحر، وأوحته إليهم وعلمته إياه في زمن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأما هو فقد احتسب علىٰ هؤلاء كما سيأتي بيانه.

(١) نفس المرجع السابق.

المطلب الثاني: احتساب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على السحرة والشياطين

لما أكرم الله عبده النبي سليمان بهذا الملك العظيم العجيب، وسخر له كل شيء، وكان هناك عجائب من تسخير الجن، واستعمالهم في الإتيان من قاع البحار بألوان اللؤلؤ والمرجان، وما يبنونه من أبنية عظيمة، وكان من العجائب كلامه الطير.

انتشر في ذلك الوقت بعض السحرة الذين كانوا يكتبون بعض الأعمال والأسحار، وكان سليمان كإخوانه من رسل الله المبعوثين ليعبدوا العباد لله جَلَّ جَلَالُهُ، قد خشي عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ أمته واحتسب علىٰ أولئك السحرة، فجمع كل ما كتب من السحر ووضعه تحت قدمه حتىٰ لا يستطيع أن يصل إليه أحد، وكي لا ينتشر ذلك السحر وذلك الكفر بالله، وتوعد من يقوم بهذا محتسبا عليهم أنه سيضرب عنقه كما جاء عن بعض السلف.وسنذكر ما ذكره علماء السلف في ذلك:

١. **قول قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر الطبري عن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه، فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتبع تلك الكتب، فأتىٰ بها فدفنها تحت كرسيه، كراهية أن

يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾[١].

٢. **قول سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلىٰ الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر! فأنزل الله جل ثناؤه علىٰ لسان نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ براءة سليمان. فقال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية، فأنزل الله براءة سليمان علىٰ لسان نبيه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ[٢]..

وقد ذكر الطبري عدة آثار عن ابن إسحاق ومجاهد وغيرهم يذكرون هذا المعنىٰ، وهذا هو الحق الذي هوخليق به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أن يتتبع ويجمع تلك الكتب التي فيها السحر والكهانة التي أوحتها الشياطين للبشر الذين أرادوا أن

(١) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٠).
(٢) تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٣) باختصار.

يصنعوا مثل تلك الآيات النبوية الخارقة التي مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتلك فرصة اهتبلتها الشياطين، وألقت للناس الأشرار أن تلك العجائب التي مع سليمان إنما هي سحر، وعلموهم هذا السحر، فلما علم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قام ينهىٰ عن هذا الشرك العظيم، ويجمعه ويدفنه، وقد توعد بالقتل من يتعاطىٰ السحر، أو يتكهن، أو يعتقد أن الشياطين تعلم الغيب[١].

والمحتسب يتعلم من احتسابه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعمل جاهدا علىٰ محو تلك الكتب من بين الناس حسا ومعنىٰ، فعليه أن يعدم ما يجده من هذه الكتب إن قدر، وأن يرفع أمر من ينشرها إلىٰ ولي الأمر أو من له سلطة في ذلك، كما عليه أن يبين ضرر هذه الكتب وأهلها وفساد معناها، ونشرها الخراب دينا ودنيا، فهي تنشر الشرك وتنشر كل المفاسد، كما ينبغي علىٰ المحتسب أن يمنع ترويج هذه الكتب وغيرها من أعمال السحر والكهانة والإعلان عنها، وأن يعاقب من يصنع هذا، لأن هذا الترويج قد ينطلي علىٰ بعض الضعفاء والجهلاء خاصة في زماننا هذا الذي تلعب فيه التقنية في الإعلانات دورا خطيرا، ويلعب بعقول الناس وقلوبهم، ويتاجرون بآلامهم، ففي احتساب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ توجيه للمحتسبين علىٰ أولئك السحرة واولئك الكهان الكاذبين المدعين إطلاع الغيب، فإن الشياطين الذين يلقون إلىٰ الكهنة ذلك، ما علموا بموت سليمان وهم بين يديه، وما دلهم علىٰ موته إلا تلك الدابة الصغيرة، فالجن التي

(١) راجع تفسير الطبري (ج ٢ / ص ٤١٠وما بعدها باختصار.

لم تعلم بموت سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي بين يديه تنظر إليه، ولم تستطع أن تنفع نفسهافكيف تقدر علىٰ نفع غيرها، إن الشياطين لا تعلم الغيب وبالتالي فالكهان والسحرة كذلك، بل هم أضعف من أوليائهم، وهم كذبة بخبر الله وبالتجربة وبالعقل.وهي لا تقدر علىٰ ضر من تحصن بذكر الرحمن الرحيم، تلك الأذكار التي ارشد اليها الهادي البشير النذير صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث: احتساب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السحرة والكهان

لما كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبىٰ بعده إلىٰ قيام الساعة فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم المحتسبين في هذا الباب، إذ احتسب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحرة، كما احتسب علىٰ أخوان السحرة، فأحتسب علىٰ الكهان فحذر من إتيانهم، وذكر الوعيد الشديد لمن جاءهم مصدقا أو مكذبا، كما بين خبث كسبهم، وبين حقارتهم، وهوانهم وضعف ما عندهم حين قال هم ليسوا بشيء، وقد احتسب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ التنجيم عملياً كما تجلىٰ ذلك حين نزل عليه وعلىٰ أصحابه المطر بالحديبية فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1]، كما حذر من التعلق بشئ كتميمة وغيرها، كما احتسب علىٰ الشياطين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد احتسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ هؤلاء جميعا، وبين لأصحابه ولأمته خطر هؤلاء جميعاً وحذرهم من هذه المسالك، وبين لهم كيف يجتنبون ذلك وكيف يقضون علىٰ فساد هؤلاء جميعاً وكشف في احتسابه باطل هؤلاء جميعاً.

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الأَذَانِ، بَاب يَسْتَقْبِلُ الإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ حديث رقم٨٠١، ومسلم فيكِتَاب الْإِيمَانِ بَاب بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ حديث رقم ١٠٤.

وفي هذا المبحث سنلقي الضوء علىٰ هذه الجوانب، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحر والسحرة.

المطلب الثاني: احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الكهانة والكهان.

المطلب الثالث احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المنجمين.

المطلب الرابع احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الشياطين.

المطلب الأول: احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السحرة

احتسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحر والسحرة، ذلك أنه سحر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في الصحيح، وكان سحره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحكم بالغة منها أنه بسحره علم الأمة كيف تتقي السحر، وكيف تحتمي منه وتتحصن، وكيف تعصم نفسها من شر السحر، ومن كيد السحرة، وذلك لأن الحدث إذا كان مرتبطا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت العناية به أكثر، ومدراسته أتم، وقد ارتبطت بسحره أحداث من مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلبه الشفاء من ربه بالدعاء، وسؤال الله عن هذا الداء واستفتاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه في ذلك ونزول ملكين للإجابة عن سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه، وذهابه للبئر التي فيها السحر واستخراجه، كل ذلك جعل عناية الأمة بهذا الحدث أكبر، ذلك أن خطر السحر لا يعلمه إلا الله، وهذا من معالم احتسابه أيضا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانه لأمته كيف يحافظون علىٰ عقائدهم، كما أن من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيانه لأتباعه كيف يحافظون علىٰ أبدانهم. كما بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعف هؤلاء السحرة للناس وأرشد الأمة إلىٰ أعظم ما يحل به السحر وهو توحيد الله تعالىٰ والدعاء كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثم دعا ثم دعا، وإن من تمام توحيد العبد وتوكله وثقته في ربه، ومن بركات الدعاء أن يسخر الله من يكتشف السحر أو يحله بتقدير منه تعالىٰ، ودون تدبير ممن أصيب بلك الداء.

١. أخرج البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّىٰ كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ قَالَ سُفْيَانُ وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ السِّحْرِ إِذَا كَانَ كَذَا فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ وَفِيمَ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ قَالَ وَأَيْنَ قَالَ فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ» قَالَتْ فَأَتَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ حَتَّىٰ اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: «هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا أَيْ تَنَشَّرْتَ فَقَالَ: «أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ شَرًّا»(١). وفي رواية: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلاَّ أَخْرَجْتَهُ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا»(٢) وفي رواية: فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ(٣) وفي رواية: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ(٤).

وقد تجلىٰ احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يلي:

التحذير من السحر وبيان عظيم إثمه:

بوب البخاري في صحيحه بَاب الشِّرْكُ وَالسِّحْرُ مِنْ الْمُوبِقَاتِ، وأورد فيه

(١) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ حديث رقم٥٣٢٣.
(٢) رواه البخاري في كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ حديث رقم ٥٩١٢.
(٣) رواه البخاري في كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، بَاب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ حديث رقم ٣٠٢٨.
(٤) رواه مسلم في كِتَاب السَّلاَمِ، بَاب السِّحْرِ حديث رقم ٤٠٥٩.

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ**»(١).

بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطورة إتيان الكهان والسحرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتىٰ عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علىٰ محمد**»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال من أتىٰ ساحرا أو كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وإذا كان حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصريح ورد في الكهان فإن السحرة أشد منهم ضررا، وأعظم خطرا، فيدخلون في هذا من باب قياس الأولىٰ، وذلك لأن كل ساحر كاهن وليس كل كاهن ساحراً(٤). وقد ذكر الإمام أحمد أن كل ساحر

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب الشِّرْكُ وَالسِّحْرُ مِنْ الْمُوبِقَاتِ حديث رقم ٥٣٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم٩١٧١- (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

(٣) السنن الكبرىٰ للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٥)وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (ج ٣ / ص ٩٨)برقم٣٠٤٨.

(٤) أورد الترمذي حديثا في نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود ووعظهم في السحر، صحح الترمذي إسناده وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ بِنَا إِلَىٰ هَذَا النَّبِيِّ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ لَا تَقُلْ نَبِيٌّ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ فَأَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَقَالَ لَهُمْ: «**لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ وَلَا تَسْحَرُوا وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ وَلَا تَوَلَّوْا يَوْمَ الزَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ**» فَقَبَّلُوا

كاهنا.

هذا وأحوال الآتين للسحرة والكهان مختلفة فهم ليسوا علىٰ مهيع واحد فهم إما:

١. سائل مصدق وهذا كفر بما أنزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. سائل غير مصدق لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، وهذا من يسأل عبثًا، أو لعبًا ومثل هذا كثير: يسأل أو يقف مع قنوات السحر وصفحاته علىٰ مواقع التواصل ومن يسأل قارئ الفنجان أو من يخط بالرمل أو الحصىٰ أو من يتصل بالهاتف علىٰ قنوات تنشر هذا الخبث غير مصدق ولا مؤمن بذلك ولا معتقد فيهم، أو من يقف عند بعض الكهان علىٰ قارعة طريق كما يحدث في بعض البلدان، فهناك من يقف بلا غرض ولا هدف بل قد يقول له ذلك الكاهن اعطني كفك فيعطيه كفه أو ينظر له في ورق كوتشينة، والنهي عن ذلك أيضا من أعظم أبواب الاحتساب تأسيا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. سائل محتسب، وقد امتحن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن الصياد فقال: خبئت لك يا ابن الصياد خبيئًا، ومن هذا يؤخذ جواز أن يمتحن المحتسب الذىٰ يحتسب علىٰ السحرة والكهان لنفسه لا لغيره، ويطلع علىٰ كتب القوم، أو علىٰ

يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ قَالَ: «**فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي**» قَالُوا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا بِأَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ.قال الترمذي حسن صحيح وضعفه الألباني. في ضعيف الترمذي، انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي - (ج ٦ / ص ٢٣٣). والحديث رواه الترمذي في كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ، بَاب مَا جَاءَ فِي قُبْلَةِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ حديث رقم ٢٦٥٧.

برامجهم أو أحوالهم، وذلك ليتمكن من تحذير الأمة من ذلك الخطر الداهم والشر المستطير، وكذلك امتحانهم وسواء أكان في ذلك محتسباً في إنكار منكرهم لينتهوا أو ليقام عليهم حد الله تعالىٰ، أو فعل ذلك محتسباً وطالباً كشف حالهم للأمة دعوة إلىٰ الله وتحذيراً من شرهم.

وقد أخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن السحر شرك، بل من يتعلق بأي أمر وسبب من أسباب السحر يكون ذلك شركا، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلاثَةٌ مِنَ السِّحْرِ: الرُّقَىٰ، وَالتِّوَلُ، وَالتَّمَائِمُ»[١].

قال ابن حجر: وَالتَّمَائِم جَمْع تَمِيمَة وَهِيَ خَرَز أَوْ قِلَادَة تُعَلَّق فِي الرَّأْس، كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَع الْآفَات، وَالتِّوَلَة شَيْء كَانَتْ الْمَرْأَة تَجْلِب بِهِ مَحَبَّة زَوْجهَا، وَهُوَ ضَرْب مِنْ السِّحْر، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشِّرْك لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا دَفْع الْمَضَارّ وَجَلْب الْمَنَافِع مِنْ عِنْد غَيْر اللَّه[٢].

فالتمائم جمع تميمة، وهىٰ خرزة أو قلادة كان يعلقها أهل الجاهلية ويعتقدون أنها تدفع الآفات، ولقد بين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن هذا شرك، فكيف بمن يعلق تميمة قد ملئت بالطلاسم والرموز، وكتبت فيها استغاثات بالشياطين وكفر برب العالمين.

---

(١) أخرجه المعجم الكبير للطبراني٧٧٢٩ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم ٣٣١ (ج ١ / ص ٣٣٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٥٨).

تهوين أمر السحرة والكهان وبيان أنهم ليسوا بشيء:

أخرج البخاري من حديث عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»[١].

إن هذا من أبرز معالم احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث بين قدرهم للناس وأنهم ليسوا بشيء، لقد سحقهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سحقا وأزال من الصدور تعظيمهم، وقلل القليل وقبح القبيح، فهم لا يملكون نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله، فهؤلاء الذين هم ليسوا بشيء كيف للمسلم أن يأتيهم طالبا منهم نفعا أو كشف ضر وفي هذا تحذير من الانخداع بهؤلاء وبيان لقدرهم، وهو أنهم لا قدر لهم[٢].

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الْمَعَارِيضُ حديث رقم٥٧٤٥، ومسلم في كِتَاب السَّلَامِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ حديث رقم٤١٣٥.

(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف لو يرىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجري في زماننا هذا، من تعلق الناس بقارئ الكف والفنجان ومتابعتهم القنوات الفضائية والسوشيال ميديا وما تعج به من قراءة الكف والطالع اليكترونيًا كما سنبينه إن شاء الله في باب الكهانة والاحتساب عليها. هذا بيان لاحتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحثه أمته وتبينه للأمة أن السحرة والكهان ضعاف وليسوا بشيء، وإن الله جل وعلا يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفًا، فالساحر يستعين بالضعيف، والذىٰ يلجأ إلىٰ الساحر ليسحر يستعين بمن هو أضعف منه فحالهم ضعف في ضعف في ضعف، ودلالة ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين حالهم وأن مقاومتهم ومحاربتهم يسيرة فقال: من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر.وسنبين ذلك مفصلاً عند الحديث عن كيفية التحصن.

وقد ذكرنا هذا الحديث للدلالة علىٰ هوان السحرة وإن كان واردا في الكهان لقول أحمد إن كل ساحر كاهنا، وليس كل كاهن ساحر، فما ورد في الكهان دخل فيه السحرة.وإن من هوانهم وأنهم ليسوا بشيء أنهم لا يفلحون أينما ولوا وكيف يفلحون والله يقول ولا يفلح الساحر حيث أتي، وهذه سنة من سننه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الماضية فأي نفع يأتي به الساحر بعد ذلك ذلك الذي لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة، فإنهم لا قدر لهم وكذلك لا قدرة لهم مع موحد يعرف ربه ويتحصن بذكره وهدي نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بيان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته كيفية التحصن من السحر ويسر ذلك.

إن من معالم احتسابه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحرة أن بين لأمته كيف تتحصن من السحر، وأن ذلك أمر سهل ميسور مقدور لكل مسلم بفضل الله تعالىٰ، وهذا التحصن بالأوراد والأذكر الشرعية، وكذلك بالتصبح بسبع تمرات من عجوة:

أ. عن عَائِشَة: «أَنَّهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشه يَنْفُث بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَمْسَح بِهِمَا وَجْهه».

ب. وعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا

.

أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[١].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»[٢].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»[٣].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَىٰ قَدَمِهِ فَقُلْتُ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»[٤].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خُلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا»[٥].

وقال البخاري: وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ{الْوَسْوَاسِ} إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ

(١) رواه البخاري في كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ حديث رقم ٤٦٣٠.
(٢) رواه مسلم في كِتَاب صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ حديث رقم ١٣٤٨.
(٣) رواه الترمذي في كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ حديث رقم٢٨٢٨.
(٤) رواه النسائي في كِتَاب الاِفْتِتَاحِ، بَاب الْفَضْلِ فِي قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ حديث رقم ٩٤٤.
(٥) رواه النسائي في كِتَاب الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، بَاب فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ حديث رقم ٣٤٩٩.

فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَىٰ قَلْبِهِ[١].

لقد حرص النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ المعوذتين وأمر بهما واخبر عن كفايتهما العبد المسلم من كل شيء، فإنهما يصلحان لكل شيء فإنه يتعوذ بهما عند لقاء الأعداء، ويتعوذ بهما من شر الغاسق إذا وقب ومن شر كل بلاء، ومن شر النفاثات في العقد ومن شرور الظلمة والمعتدين، إن التعوذ بالمعوذتين منهج حياة، ففيهما اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ، والعوذ هو اللجوء إلىٰ ربنا جَلَّجَلَالُهُ.

ج. في البخاري من حَدِيث اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَانَ يُعَوِّذ الْحَسَن وَالْحُسَيْن بِكَلِمَاتِ اللَّه التَّامَّة، مِنْ كُلّ شَيْطَان وَهَامَّة**»[٢].

وفي صحيح مسلم عن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قال سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَقُولُ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[٣].

وَعِنْد أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْ سُهَيْل بْن أَبِي صَالِح عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُل مِنْ أَسْلَمَ «جَاءَ رَجُل فَقَالَ: لُدِغْت اللَّيْلَة فَلَمْ أَنَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ

(١) رواه البخاري في كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب بَاب قَوْلُهُ: اللَّهُ الصَّمَدُ.
(٢) رواه البخاري في كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَاب بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، حديث رقم ٣١٢٠.
(٣) رواه مسلم في كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَاب فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ حديث رقم ٤٨٨١.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْت حِين أَمْسَيْت أَعُوذ بِكَلِمَاتِ اللَّه التَّامَّات مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرّك»[١]. وإنه لينبغي أن نحرص علىٰ التعوذ بكلمات الله التامات في كل محل، وعند الخوف من أي شئ وفىٰ كل محل، ولو جعلناها منهجاً نعلمها أبنائنا عند الخروج وعند الأسفار في البرارىٰ والصحارىٰ والقفار، لمنع شر كثير، أيها المسلم الموحد والمحتسب المجاهد لو أنك قلت أعوذ بكلمات الله التامات إذا هبطت طائرتك بلداً وفىٰ مطارها أو إذا دخلت بلداً معتقداً جازماً لم يضرك شئ، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوىٰ. علمه شديد القوىٰ. لم يضرك شيء حتىٰ ترتحل.

د. الدعاء.

إن من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بين لأمته كيف يقامون السحرة إذا سحروا مسلما وذلك بتوكله علىٰ الله وتوجهه اليه تعالىٰ بالدعاء قَالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تتحدث عن تضرع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربه في كشف ضر السحر: (لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا)[٢] قالَ النَّوَوِيّ: فِيهِ اِسْتِحْبَاب الدُّعَاء عِنْد حُصُول الْأُمُور الْمَكْرُوهَات وَتَكْرِيره الِالْتِجَاء إِلَىٰ اللَّه تَعَالَىٰ فِي دَفْع ذَلِكَ[٣].

وفىٰ الدعاء انطراح بين يدىٰ الله وإفراده بالوحدانية وأنجمه وأقربه في

(١) رواه أبو داود في كِتَاب الطِّبِّ، كَيْفَ الرُّقَيحديث رقم ٣٣٩٩.
(٢) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب السِّحْرِ، حديث رقم ٥٣٢١.
(٣) فتح الباري لابن حجر: (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

ثلث الليل الآخر وبين الآذان والإقامة وفىٰ آخر ساعة من الجمعة فإن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين لأمته أنه لما سحر دعاء ثم دعا وأن يتخذ المسلم ما يكون به إجابة الدعاء من نرسل لعمل صالح وحبذا لو كان بينه وبين الله.

قال ابن القيم: قال مطرف بن عبدالله: تذاكرت جماع الخير؟فإذا الخير كثير: الصيام، والصلاة، وإذا هو في يد الله تعالىٰ، وإذا أنت لا تقدر علىٰ ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك؛ فإذا جماع الخير: الدعاء[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سببًا للخير الذي قضاه له، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه. كما أن الله تعالىٰ إذا أراد أن يشبع عبدًا أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد الله أن يتوب علىٰ عبد ألهمه أن يتوب فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة، والمشيئة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها، كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح، ووجود الولد بالوطء، والعلم

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ج١ ص: ٢١١تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

(٢) مجموع الفتاوىٰ: ابن تيمية ج٥ ص٤٢٦.

بالتعليم، فمبدأ الأمور من الله، وتمامها على الله][١].

وقال ابن القيم في الفوائد: إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا دونه[٢].

وفي الجواب الكافي): من ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٣].

٥. التصبح بسبع تمرات عجوة:

أورد البخاري في كتاب الطب بَاب الدَّوَاءِ بِالْعَجْوَةِ لِلسِّحْرِ حديث عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَنْ اصْطَبَحَ كُلَّ يَوْمٍ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ** وَقَالَ غَيْرُهُ **سَبْعَ تَمَرَاتٍ**[٤].

إنه على كل محتسب يقارع هؤلاء يقوم بالاحتساب أن يحرص على التصبح بسبع تمرات فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذلك وهو سيد المتحصنين، أما من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ج١ ص٨٩.
(٢) الفوائد: ابن القيم ص ٨٨دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
(٣) الداء والدواء: لابن القيم ص٦٥تحقيق محمد أجمل إصلاحي، إشراف د بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٩م.
(٤) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، الدَّوَاءِ بِالْعَجْوَةِ لِلسِّحْرِ، حديث رقم ٥٣٢٦.

عجوة المدينة – عالية المدنية، أو من عجوة من أي موضع كما قال ابن باز أرجو أن يكون ذلك أيضا- أو تمر كما جاء في المسند، وعلىٰ المحتسب أن يوصىٰ الناس بذلك وأن يعلمهم ذلك وأن يرشدهم إليه.

استخراج السحر من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السحرة:

إن من احتسابه علىٰ السحرة وإفساد سعيهم، وابطال أعمالهم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد أمته إلىٰ استخراج السحر وإبطاله بحرقه أودفنه.

قال البخاري: بَاب هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ وساق حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَأَتَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ حَتَّىٰ اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ **هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** قَالَ فَاسْتُخْرِجَ[1].

ففي الحديث استخراج السحر، ثم بعد إما حرق وإما دفن للعمل السحري، وبه يبطل سعي السحرة الفجار. استخراج السحر وفكه وحله بالطرق الشرعية، تأسيًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه. وسيأتىٰ الحديث عن ذلك مفصلاً في باب السحر وإن فك السحر من أجل الأعمال وأفضلها، لما فيه من تفريج الكرب عن المسلم، فإن من فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة – وهذا أعظم ما يسعىٰ إليه المحتسب ويحرص عليه، فإن أولئك السحرة لا يرتبون في مؤمن إلا ولاذمة فكم من عزيز أذلوه ومن غنىٰ أفقروه وكم من بيت هدموه وكم من أسرة قد شتتوا شملها – كل ذلك بإذن الله – لكن هؤلاء أعوان

(١) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، باب هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ، حديث رقم ٥٣٢٣.

للشيطان ومركز من مراكز الأذىٰ والشرك بالله جَلَّ وَعَلَا ألم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أتىٰ كاهنـًا أو عرافـًا فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

هذا هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في احتسابه علىٰ السحرة علمه أمته كيما يسلم لها دينها واعتقادها، وتسلم لها دنياها، فتتقي الشرك بترك الذهاب لهؤلاء، كما أن علىٰ الأمة ألا تخشاهم وأن تخشىٰ الله أما هم فليسوا بشيء ولماذا يخشىٰ الإنسان المعدوم أو من شبهه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمعدوم وهو الصادق المصدوق.

وإن أعظم ما علىٰ المحتسب فعله مجاهدة هؤلاء وإنكار منكرهم ونزع الخوف من قلوب الناس عامة وربطهم بالغفور المنان. وتبين أمرهم وكشف حالهم وهتك أستارهم وقد يخرج بعض السحرة في صورة المعالج، وأنه من أهل القرآن المعالجين ويلبس لباس الراق فيكتب في وريقات بعض الرموز وأرقام وخواتم يدلس بها في الناس وأنها سريانية – أو اسم الله الأعظم فأعظم ما بذلت فيه الأعمار كشف ذلك وأفراد الله بالتوحيد. وسيأتىٰ بيان ذلك في موضعه عند الحديث عن علامات السحرة والكهان.

(١) سبق تخريجه وهو صحيح.

المطلب الثاني: احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهان والكهانة

الكهانة محاولة من أتباع الشياطين لاستكناه الغيب، ومحاولة إقناع الناس أن بمقدور بعض العباد إخبار الناس بما ينتظرهم ليستكثروا من الخير قبل أن يفقدوه ويستعدوا للسوء قبل نزوله، والله قال لأعظم الناس طاعة، وأقربهم إليه زلفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكملهم عقلا، وأعمقهم علما، وأصفاهم نفسا، وأطهرهم قلبا، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾[2]، وقالت عائشة وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]، لكن قوما تعاونوا مع الشيطان وتقربوا إليهم فألقوا إليهم شيئا من الغيب النسبي، الذي أطلع الله عليه بعض ملائكته فيتحدث الملائكة به فيتلقف الشيطان ما يتلقف ويلقيها إلىٰ الكاهن فيكذب علىٰ العباد، وقد احتسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ هؤلاء الكهان وعرف الناس بهم وحذر الأمة منهم، وبين حالهم، واحتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من خلال ما يلي:

---

(١) الآية ١٨٨ سورة الأعراف.

(٢) من الآية ٥٠ سورة الأنعام.

(٣) رواه مسلم في كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب مَعْنَىٰ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ، حديث رقم ٢٥٩.

- حرم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إتيانهم، وحذر منه بأشد عبارات التحذير.
- بين خبث كسبهم، وحرمة ما يأخذونه على كهانتهم.
- بين كذبهم، ووضح سبب تعلق الناس بهم، وهو أنهم يصدقون أحيانا فبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس أن الغالب على حديثهم الكذب فكيف تعلقوا بالصدق الذي لا يكاد يذكر ولم يعتبروا بالكذب الغالب في أخبارهم.
- كره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تشبه بهم حتى في كلامهم فأنكر على من سجع ليبطل الحق، فقال أسجعا كسجع الكهان.
- أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم ليسوا بشيء وأنهم والعدم سواء.
- اختبر ما عندهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمليا وبين للصحابة هوانهم، وجهلهم، وضحالة ما عندهم، وذكر تلبيس الشياطين عليهم.

وفي هذا المطلب بسط لهذا الاحتساب النبوي على أولئك الكهان، تحذيرا للأمة من الكهانة الجديدة، التي باتت تأخذ صورا حديثة، ويراد لها أن تنطلي على عباد الله.

تحريم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المسلمين إتيان الكهان:

الْكَاهِن: هُوَ الَّذِي يَدَّعِي مُطَالَعَة عِلْم الْغَيْب، وَيُخْبِر النَّاس عَنْ عن الغيوب ما كان وما سيكون من مسروق وغيره مخلطا فيه الصدق بالكذب معتمدا ما يلقيه رئيوه من الجن[1]. وقد كانت الكهانة في العرب، قال جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ

(١) شرح النووي على مسلم (ج ٥ / ص ٤١٨)وانظر مجموع الفتاوى ج١ ص١٢٥.

الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ[١]. وكان مسيلمة الكذاب يتكهن وكان له رئي من الجن، وقد سألوه كيف يأتيك صاحبك وكان يسحر أيضًا وكان الأسود العنسىٰ يتكهن أيضًا وكان يسحر أيضًا.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: كَانَ فِي الْعَرَب كَهَنَة يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كَثِيرًا مِنْ الْأُمُور، مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُم أَنَّ لَهُ رِئْيًا مِنْ الْجِنّ يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَار، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي اِسْتِدْرَاك ذَلِكَ بِفَهْمٍ أُعْطِيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّىٰ: عَرَّافًا وَهُوَ الَّذِي يَزْعُم مَعْرِفَة الْأُمُور بِمُقَدِّمَاتِ أَسْبَاب اِسْتَدَلَّ بِهَا، كَمَعْرِفَةِ مَنْ سَرَقَ الشَّيْء الْفُلَانِيّ، وَمَعْرِفَة مَنْ يُتَّهَم بِهِ الْمَرْأَة، وَنَحْو ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي الْمُنَجِّم كَاهِنًا[٢].

وفي فتح الباري: وَالْكَاهِن لَفْظ يُطْلَق عَلَىٰ الْعَرَّاف، وَالَّذِي يَضْرِب بِالْحَصَىٰ، وَالْمُنَجِّم،. وَقَالَ فِي « الْمُحْكَم »: الْكَاهِن الْقَاضِي بِالْغَيْبِ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْكَهَنَة قَوْم لَهُمْ أَذْهَان حَادَّة وَنُفُوس شِرِّيرَة وَطِبَاع نَارِيَّة، فَأَلِفَتْهُمْ الشَّيَاطِين لِمَا بَيْنهمْ مِنْ التَّنَاسُب فِي هَذِهِ الْأُمُور، وَسَاعَدَتْهُمْ بِكُلِّ مَا تَصِل قُدْرَتهمْ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ الْكَهَانَة فِي الْجَاهِلِيَّة فَاشِيَة خُصُوصًا فِي الْعَرَب لِانْقِطَاعِ النُّبُوَّة فِيهِمْ. وَهِيَ عَلَىٰ أَصْنَاف: مِنْهَا مَا يَتَلَقَّوْنَهُ مِنْ الْجِنّ، فَإِنَّ الْجِنّ كَانُوا يَصْعَدُونَ إِلَىٰ جِهَة السَّمَاء فَيَرْكَب بَعْضهمْ بَعْضًا إِلَىٰ أَنْ يَدْنُو الْأَعْلَىٰ بِحَيْثُ يَسْمَع الْكَلَام

(١) رواه البخاري في كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب قَوْلِهِ: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِط.

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (ج ٥ / ص ٤١٨).

فَيُلْقِيه إِلَىٰ الَّذِي يَلِيه، إِلَىٰ أَنْ يَتَلَقَّاهُ مَنْ يُلْقِيه فِي أُذُن الْكَاهِن فَيَزِيد فِيهِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَام وَنَزَلَ الْقُرْآن حُرِسَتْ السَّمَاء مِنْ الشَّيَاطِين، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُب، فَبَقِيَ مِنْ اِسْتِرَاقهمْ مَا يَتَخَطَّفهُ الْأَعْلَىٰ فَيُلْقِيه إِلَىٰ الْأَسْفَل قَبْل أَنْ يُصِيبهُ الشِّهَاب، إِلَىٰ ذَلِكَ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾. وَكَانَتْ إِصَابَة الْكُهَّان قَبْل الْإِسْلَام كَثِيرَة جِدًّا كَمَا جَاءَ فِي أَخْبَار شِقّ وَسُطَيْح وَنَحْوهمَا، وَأَمَّا فِي الْإِسْلَام فَقَدْ نَدَرَ ذَلِكَ جِدًّا حَتَّىٰ كَادَ يَضْمَحِلّ وَلِلَّهِ الْحَمْد. ثَانِيهَا مَا يُخْبِر الْجِنِّيّ بِهِ مَنْ يُوَالِيه بِمَا غَابَ عَنْ غَيْره مِمَّا لَا يَطَّلِع عَلَيْهِ الْإِنْسَان غَالِبًا، أَوْ يَطَّلِع عَلَيْهِ مَنْ قَرُبَ مِنْهُ لَا مَنْ بَعُدَ. ثَالِثهَا مَا يَسْتَنِد إِلَىٰ ظَنّ وَتَخْمِين وَحَدْس، وَهَذَا قَدْ يَجْعَل اللَّه فِيهِ لِبَعْضِ النَّاس قُوَّة مَعَ كَثْرَة الْكَذِب فِيهِ. رَابِعهَا مَا يَسْتَنِد إِلَىٰ التَّجْرِبَة وَالْعَادَة، فَيُسْتَدَلّ عَلَىٰ الْحَادِث بِمَا وَقَعَ قَبْل ذَلِكَ، وَمِنْ هَذَا الْقِسْم الْأَخِير مَا يُضَاهِي السِّحْر، وَقَدْ يَعْتَضِد بَعْضهمْ فِي ذَلِكَ بِالزَّجْرِ وَالطَّرْق وَالنُّجُوم، وَكُلّ ذَلِكَ مَذْمُوم شَرْعًا[1]. وقد نهىٰ النبي ﷺ عن إتيان الكهان، أخرج مسلم من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ

(١) فتح الباري لابن حجر (ج ١٦ / ص ٢٩١).

تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ **ائْتِنِي بِهَا** فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا **أَيْنَ اللَّهُ** قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ **مَنْ أَنَا** قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ **أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**[1].

قال النووي: قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّان قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ**): قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ إِتْيَان الْكَهان؛ لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي مُغَيَّبَات قَدْ يُصَادِف بَعْضهَا الْإِصَابَة؛ فَيُخَاف الْفِتْنَة عَلَى الْإِنْسَان بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاس كَثِيرًا مِنْ أَمْر الشَّرَائِع، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة بِالنَّهْيِ عَنْ إِتْيَان الْكُهَّان وَتَصْدِيقهمْ فِيمَا يَقُولُونَ. وَالْفَرْق بَيْن الْعَرَّاف وَالْكَاهِن، أَنَّ الْكَاهِن إِنَّمَا

(١) رواه مسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم ٨٣٦.

يَتَعَاطَىٰ الْأَخْبَار عَنْ الْكَوَائِن فِي الْمُسْتَقْبَل، وَيَدَّعِي مَعْرِفَة الْأَسْرَار، وَالْعَرَّاف يَتَعَاطَىٰ مَعْرِفَة الشَّيْء الْمَسْرُوق، وَمَكَان الضَّالَّة وَنَحْوهمَا، وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: كَانَ فِي الْعَرَب كَهَنَة يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كَثِيرًا مِنْ الْأُمُور، مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُم أَنَّ لَهُ رِئْيًا مِنْ الْجِنّ يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَار، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي اِسْتِدْرَاك ذَلِكَ بِفَهْمٍ أُعْطِيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّىٰ: عَرَّافًا وَهُوَ الَّذِي يَزْعُم مَعْرِفَة الْأُمُور بِمُقَدِّمَاتٍ أَسْبَاب اِسْتَدَلَّ بِهَا، كَمَعْرِفَةِ مَنْ سَرَقَ الشَّيْء الْفُلَانِيّ، وَمَعْرِفَة مَنْ يُتَّهَم بِهِ الْمَرْأَة، وَنَحْو ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي الْمُنَجِّم كَاهِنًا، قَالَ: وَالْحَدِيث يَشْتَمِل عَلَىٰ النَّهْي عَنْ إِتْيَان هَؤُلَاءِ كُلّهمْ، وَالرُّجُوع إِلَىٰ قَوْلهمْ وَتَصْدِيقهمْ فِيمَا يَدَّعُونَهُ. قال النووي: هَذَا كَلَام الْخَطَّابِيّ وَهُوَ نَفِيس[1].

ومن احتسابه على الكهان بيان الوعيد الشديد الذي يتراوح بين الكفر لمن صدق وعدم قبول الصلاة لمن سأل غير مصدق، بل لاعب عبث كما مر بيانه.

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أتىٰ عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وهذا من احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهان فقد نهى عن ذلك وحذر الأمة من اتيانهم وبين ان اتيانهم كفر.

(١) شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٥ / ص ٤١٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم٩١٧١- (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

وعن ابن عباس، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس منا من تسحر أو تسحر له، أو تكهن أو تكهن له، أو تطير أو تطير له**»(١) وهذا وعيد شديد أيضا لمن عمل بالكهانة لنفسه أو غيره وهو من احتسابه علىٰ الكهانة والكهان.

وعن نافع عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ **مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**(٢).

وهذا من احتسابه على الكهانة والكهان اذ حذر من إتيانهم لمجرد السؤال عن أي شيء حتى وان لم يكن مصدقا

ويدخل فيه حتىٰ من يجلس في مجالسهم وإن لم يكن كاهنا ولا متكهنا فإن الجالس معهم مشارك لهم، وتلك قاعدة مقررة لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾(٣) وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقعد علىٰ مائدة يدار عليها الخمر**.

ومن احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحريم كسبهم:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ**

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني - (ج ٩ / ص ٤٦٦) ٤٤١٣ -وصححه الألباني في الصحيحة٢١٩٥.

(٢) رواه مسلم في كِتَاب السَّلَامِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤١٣٧.

(٣) من الآية١٤٠سورة النساء.

وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ[١]. وَ(حُلْوَانِ الْكَاهِنِ) فَهُوَ مَا يُعْطَاهُ عَلَىٰ كِهَانَته، قَالَ الْهَرَوِيُّ وَغَيْره: أَصْله مِنْ الْحَلَاوَة شُبِّهَ بِالشَّيْءِ الْحُلْو مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَأْخُذهُ سَهْلًا بِلَا كُلْفَة، وَلَا فِي مُقَابَلَة مَشَقَّة..

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ تَحْرِيم حُلْوَانِ الْكَاهِن؛ لِأَنَّهُ عِوَض عَنْ مُحَرَّم.

قَالَ الْخَطَّابِيّ: وَحُلْوَان الْعَرَّاف أَيْضًا حَرَام.وقَالَ الْبَغَوِيُّ: اِتَّفَقَ أَهْل الْعِلْم عَلَىٰ تَحْرِيم حُلْوَانِ الْكَاهِن، وَهُوَ مَا أَخَذَهُ الْمُتَكَهِّن عَلَىٰ كِهَانَته، لِأَنَّ فِعْل الْكِهَانَة بَاطِل لَا يَجُوز أَخْذ الْأُجْرَة عَلَيْهِ. وَقَالَ الْمَاوَرْدِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الْأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة: وَيَمْنَع الْمُحْتَسِب النَّاس مِنْ التَّكَسُّب بِالْكِهَانَةِ وَاللَّهْو، وَيُؤَدِّب عَلَيْهِ الْآخِذ وَالْمُعْطِي.[٢].

وهذا من معالم احتسابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه بين خبث كسبهم وأنه سحت فأي رجل مؤمن بالله حقا يطعم طعامهم أويأخذ صدقتهم أويقبل هديتهم، أو يزوجهم ويرضىٰ لابنته أن تطعم الحرام، أو يرضىٰ لابنه أن ينكح منهم أو أن يطعم عند آكلي السحت.

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْبُيُوعِ، بَاب ثَمَنِ الْكَلْبِ حديث رقم ٢٠٨٣، ومسلم في كِتَاب الْمُسَاقَاةِ، بَاب تَحْرِيمِ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ حديث رقم ٢٩٣٠..

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم: ج ٢ / ص ٢٩٨.

ومن احتسابه على الكهان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كره حتى مشابهتهم في سجعهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَىٰ فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا فَاخْتَصَمُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَضَىٰ أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ كَيْفَ أَغْرَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ[1] لقد كان شأن الكهان في زمانه السجع كما ورد في أخبار سطيح وغيره في السيرة، فخاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته سلوك هذا السبيل وخاف انتشار طريقة الكهان حتىٰ لا يختلط الأمر بين الكهان وبين المقلدين لهم، فخاف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ عقيدة الأمة ونبهها إلىٰ ترك هذا.

ومن احتسابه بيانه كذب الكهان على الكلام المخطوف الذي توحيه إليهم الشياطين:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَىٰ الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا

(١) رواه البخاري في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب الْكِهَانَةِ حديث رقم ٥٣١٧، ومسلم في كِتَاب الْقَسَامَةِ، بَاب دِيَةِ الْجَنِينِ حديث رقم ٣١٨٥..

مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ[١].

وقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضا: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَيْسُوا بِشَيْءٍ** قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**[٢].

وعن عبد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا** قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ**

(١) رواه البخاري في كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، بَاب ذِكْرِ الْمَلاَئِكَةِ، حديث رقم ٢٩٧١.

(٢) رواه البخاري في كِتَاب الأَدَبِ، بَاب قَوْلِ الرَّجُلِ لِلشَّيْءِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَهُوَ يَنْوِي أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، حديث رقم٥٧٤٥.

يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ[١].

ومن احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكهان، مناظرتهم، واختبارهم، واستطلاع أحوالهم وكشف حقيقتهم وضعفهم وذلك في ذهابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن صياد:

عن عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّىٰ وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ **تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ** فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَضَهُ وَقَالَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ فَقَالَ لَهُ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ** ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا** فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ** وَقَالَ سَالِمٌ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ إِلَىٰ النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ يَعْنِي فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ أَوْ زَمْرَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ

(١) رواه مسلم في كِتَاب السَّلَامِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤١٣٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ يَا صَافِ وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ وَقَالَ شُعَيْبٌ فِي حَدِيثِهِ فَرَفَصَهُ رَمْرَمَةٌ أَوْ زَمْزَمَةٌ وَقَالَ إِسْحَاقُ الْكَلْبِيُّ وَعُقَيْلٌ رَمْرَمَةٌ وَقَالَ مَعْمَرٌ رَمْزَةٌ[1] قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ خَسَأْتُ الْكَلْبَ بَعَّدْتُهُ ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ مُبْعَدِينَ، وقد أورده البخاري الحديث مختصرا في بَاب ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ كِتَاب الْقَدَرِ[2] لقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعف هؤلاء وخيبتهم، وبعدهم من الخير والحق، وتأمل كيف أن ابن صياد لم يستطع أن يتبين ما خبأه رسول الله له وهي كلمة دخان فلم يقدر أن يقوم بشيء أمام سيد المحتسبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل إنه من ضعفه وأنه هو والعدم سواء أنه لم يستطع أن يتبين الكلمة مع ان الشيطان أوحىٰ لها نصفها فقال: دخ وعجز ان يتبين حتىٰ بعقله الحرفين الآخرين، ولكن الله أخزاه، وكذلك الشأن مع كل موحد، وكذلك مع كل محتسب علىٰ هؤلاء الكذبة علىٰ الله المعتدين علىٰ العقيدة الذين يعتدون علىٰ عقيدة تفرده سبحانه بعلم الغيب.

ولله در البخاري فقد أخرج الحديث في باب قوله أن الله يحول بين المرء وقلبه، فقد حال بين هذا الكاهن الكذاب وبين علم هذه الكلمة التي من أربعة أحرف، فكيف يدعي علمه بما فوق ذلك. إن الشياطين لا يعلمون

(١) رواه البخاري في كِتَاب الأَدَبِ، بَاب قَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ اخْسَأْ، حديث رقم ٥٧٠٧.
(٢) حديث رقم ٦١٢٨.

الغيب، ويعرفون بعض الأمور دون بعض فأبن صياد عرف جزء مما خبأه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك فإننا حين كنا نرسل متعاونًا للإيقاع بالسحرة والكهان نجعله يذكر بعض الحق فإنه لو طلب اسم الأم مثلاً وكان اسمها صباح فقلنا سعاد فإنه يعرف أنه كذب أما إذا ذكرنا بعض الاسم وغيرنا بعضه فقلنا صبحية مثلا فإنه لا يعرف فهم لا يعلمون الغيب ولا يعطون المعلومات كاملة وذلك لأن الله هو علام الغيوب المحيط بأوله وآخره وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل في باب السحرة والكهان.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضا: أَنَّهُ قَالَ انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ فَحُدِّثَ بِهِ فِي نَخْلٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّخْلَ طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَابْنُ صَيَّادٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْرَمَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا صَافِ هَذَا مُحَمَّدٌ فَوَثَبَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ[1].

قال ابن حجر: وَفِي قِصَّة اِبْن صَيَّاد اِهْتِمَام الْإِمَام بِالْأُمُورِ الَّتِي يُخْشَىٰ مِنْهَا الْفَسَاد وَالتَّنْقِيب عَلَيْهَا، وَإِظْهَار كَذِب الْمُدَّعِي الْبَاطِل وَامْتِحَانه بِمَا يَكْشِف حَاله وَالتَّجَسُّس عَلَىٰ أَهْل الرَّيْب[2].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ لَقِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الِاحْتِيَالِ.
(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج ٩ / ص ٢٩٣).

وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ هُوَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ مَا تَرَىٰ** قَالَ أَرَىٰ عَرْشًا عَلَىٰ الْمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تَرَىٰ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَىٰ الْبَحْرِ وَمَا تَرَىٰ** قَالَ أَرَىٰ صَادِقَيْنِ وَكَاذِبًا أَوْ كَاذِبَيْنِ وَصَادِقًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لُبِسَ عَلَيْهِ دَعُوهُ**(١).

فقد اختبره هنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين تلبيس الشيطان عليه وعجز الشيطان أن يمده بالإجابة الصحيحة.

وقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الكاهن قد يصدق حين اختبر ابن صياد عمليا فعن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ **مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ** قَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ **صَدَقْتَ**(٢).

ومن احتسابه بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انهم ليسوا بشيء.

لقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هؤلاء لا قدر لهم في الحقيقة، وأنهم والعدم سواء، قال ابن حجر: لَهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ « أَيْ لَيْسَ قَوْلهمْ بِشَيْءٍ يُعْتَمَد عَلَيْهِ. وقد أوضح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يشكل من أخبار يصدقون فيها فحين قيل له: إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَنَا أَحْيَانَا بِشَيْءٍ فَيَكُون حَقًّا، وهَذَا أَوْرَدَهُ السَّائِل إِشْكَالًا عَلَىٰ عُمُوم قَوْله «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**» لِأَنَّهُ فُهِمَ أَنَّهُمْ لَا يُصَدَّقُونَ أَصْلًا فَأَجَابَهُ صَلَّىٰ اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ

(١) رواه مسلم في كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَاب ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ، حديث رقم ٥٢٠٨.
(٢) رواه مسلم في كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَاب ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ، حديث رقم.٥٢١٢.

سَبَب ذَلِكَ الصِّدْق، وَأَنَّهُ إِذَا اِتَّفَقَ أَنْ يُصَدَّق لَمْ يَتْرُكهُ خَالِصًا بَلْ يَشُوبهُ بِالْكَذِبِ. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكلمة هذه الْكَلِمَة مِنْ الْحَقّ هي الْكَلِمَة الْمَسْمُوعَة مِنْ الْجِنّ أَوْ الَّتِي تَصِحّ مِمَّا نَقَلَتْهُ الْجِنّ ومما يَخْطَفهَا الْجِنِّيّ قَوْله (فَيَقَرّهَا) أي الْجِنِّيّ يُلْقِي الْكَلِمَة إِلَىٰ وَلِيّه بِصَوْتٍ خَفِيّ مُتَرَاجِع لَهُ زَمْزَمَة وَيُرْجِعهُ لَهُ، فَلِذَلِكَ يَقَع كَلَام الْكُهَّان غَالِبًا عَلَىٰ هَذَا النَّمَط. قَوْله: (فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَة كَذْبَة)[١].

وهذا يبين خطورة الكهانة، ويكشف عن ضررها البالغ علىٰ دين الناس، وفيه محاولة زعزعة إيمان القلوب بتفرد الملك سبحانه بعلم الغيب، إذ قد يصدق هؤلاء موافقة وقدرا، أو تتحقق كلمة الشيطان التي صدق فيها، فيقع في النفوس الريب. ودفع هذه الشبه من أهم المهمات، قال النووي: وفروض الكفاية أقسام منها ما يتعلق بأصل الدين وهو إقامة الحجة العلمية ومعناها أنه كما تجب إقامة الحجة القهرية بالسيف يجب أن يكون في المسلمين من يقيم البراهين ويظهر الحجج ويدفع الشبهات ويحل المشكلات ومنها ما يتعلق بالفروع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد منه الأمر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته فهو فرض كفاية فإن نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب.[٢].

إن كثيراً من الناس يهابون السحرة والكهان، وأن هؤلاء السحرة والكهان

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٤).

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي ج ٤ / ص ٣ تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

ما أن يقبض علىٰ أحد منهم حتىٰ تخور قواه ويذهب عزمه وبأسه وجبروته وأنه لينهار ويسقط حتىٰ لا تقوىٰ رجلاه علىٰ حمله، وإنه حين يعلم أنه مرفوع للقضاء مبكىٰ ويصيح وأن بعضهم ليقضىٰ حاجته علىٰ نفسه حتىٰ عن منهم لمن يتبول علىٰ نفسه أو يتبرز -وتراهم بعد ما كان يحيط بهم من العلو والعز بالناس صار ذليلاً- وكما يبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حال هؤلاء فينبغىٰ علىٰ كل مسلم أن يعيش حال هؤلاء وضعفهم كل في موطنه وموضعه فعلىٰ الخطباء أن يتحدثوا علىٰ المنار وعلىٰ المحفظين أن يتحدثوا في حلقات القرآن وعلىٰ الطبيب أن يعين ذلك كل في موضعه كشف لأسرارهم وتبيناً لىٰ لهم وهذا نهج نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

المطلب الثالث:احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنجمين

إن النجوم خلق من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، مسخرات بأمره طائعة له، مسبحة بحمده، جعلها الله زينة للسماء ورجوما للشيطان وعلامات يهتدي بها السراة، ومواقيت يعلم بها العباد عدد السنين والحساب، هذا ما ذكره ربنا في كتابه وبينه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن قوما علقوا قلوبهم بها وجعلوها لغير ذلك، وعلقوا بها قلوب طائفة من عباد الله وزعموا أن لها تصرفا في الكون وانها تنفع وتضر وتعطي وتمنع وتسعد وتشقي وتضحكي وتبكي وتميت وتحيي، **ولقد احتسب النبي المصفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أولئك المنجمين من خلال أمور:**

ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الكواكب والشمس والقمر من آيات الله.

وان العباد عليهم إذا رأوا تغيرا فيهما أن يلجأوا إلىٰ مسخر هذه الآيات ومدبرها عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ.**(١).

و وعن عبد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب الصَّلاَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ حديث رقم ٩٨٥، ومسلم في كِتَاب الْكُسُوفِ، بَاب مَا عُرِضَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلاَةِ الْكُسُوفِ حديث رقم ١٥٠٨..

فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ)[١].

بين النبي أن من يتعامل مع النجوم على سبيل أنها تنفع وتضر أنه ساحر.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ. [٢].

حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التعلق بها على هذا النحو وأن هذا كفر بالخالق الجليل وقد نصح لأمته عمليا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم في كِتَاب السَّلاَم، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤١٣٦.

(٢) رواه أبو داود في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب فِي النُّجُومِ، حديث رقم ٣٤٠٦، وصححه الألباني في الصحيحة حديث رقم٧٩٣.السلسلة الصحيحة: (ج ٢ / ص ٢٩٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَصَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ[١].

نفي النبي صلى الله تأثير الكواكب، وبين أن المسلم لابد أن يعتقد هذا، يعتقد ألا تأثير للكواكب ولا عمل لها في حياة العباد وأنها لا تملك لهم نفعا ولا ضرا، وأنها مسخرة مربوبة للرب القدير سبحانه

قال أبو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَا عَدْوَىٰ وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ[٢].

ونظرا لأهمية هذا الأمر ذكره العلماء الذين ألفوا في الحسبة، وبينوا طريقة الاحتساب علىٰ هؤلاء، وقد عقد محمد القرشي رَحِمَهُٱللَّهُ بابا كاملا في كتاب معالم القربة في طلب الحسبة في الاحتساب علىٰ هؤلاء فقال: (الْبَابُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: فِي الْحِسْبَةِ عَلَىٰ الْمُنَجِّمِينَ وَكُتَّابِ الرَّسَائِلِ) أَمَّا الْمُنَجِّمُونَ فَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَىٰ النَّهْيِ بِالِاشْتِغَالِ بِهَذَا الْعِلْمِ لِقَوْلِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { مَنْ أَتَىٰ حَزَّارًا فَصَدَّقَهُ فِي مَقَالِهِ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ}.

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح..

.

(٢) رواه مسلم في كِتَاب السَّلاَمِ، بَاب لاَ عَدْوَىٰ وَلاَ طِيَرَةَ، حديث رقم ٤١١٨.

وساق حديث الحديبية السابق.

ثم قال: فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا عِلْمٌ لَيْسَ يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَىٰ شَيْءٍ بَلْ جَعَلُوهُ أُحْبُولَةً لِأَخْذِ الرِّزْقِ، وَحِينَئِذٍ يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ كُتَّابِ الرَّسَائِلِ أَنَّهُمْ لَا يَجْلِسُوا فِي دَرْبٍ، وَلَا زُقَاقٍ، وَلَا فِي حَانُوتٍ بَلْ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَإِنَّ مُعْظَمَ مَنْ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ النِّسْوَانِ، وَقَدْ صَارَ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَجْلِسُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ وَالْمُنَجِّمِينَ مَنْ لَا لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَهُمْ مِنْ الشَّبَابِ وَغَيْرِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَىٰ حُضُورِ امْرَأَةٍ تَكْشِفُ نَجْمَهَا أَوْ تَكْتُبُ رِسَالَةً أَوْ حَاجَةً لَهَا فَيُشَاكِلُهَا وَيَتَمَكَّنُ مِنْ الْحَدِيثِ مَعَهَا بِسَبَبِ جُلُوسِهِ وَجُلُوسِهَا وَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَىٰ أَشْيَاءَ لَا يَلِيقُ ذِكْرَهَا فَإِذَا كَانُوا عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ كَانَ أَمْرُهُمْ أَسْهَلَ مِنْ جُلُوسِهِمْ فِي حَانُوتٍ أَوْ دَرْبٍ أَوْ غَيْرِهِ وَيُلْزِمُهُمْ بِالْقَسَامَةِ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُبُونَ لِأَحَدٍ مِنْ النَّاسِ شَيْئًا مِنْ الرُّوحَانِيَّاتِ مِثْلُ مَحَبَّةٍ وَتَهْيِيجٍ وَنَزِيفٍ وَرَمَدٍ وَعَقْدِ لِسَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ السِّحْرَ حَرَامٌ فِعْلُهُ وَمَتَىٰ وَجَدَ أَحَدًا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَزَّرَهُ لِيَرْتَدِعَ بِهِ غَيْرُهُ .....إلىٰ أن يقول: وَمَتَىٰ وَجَدَ أَحَدًا مِنْهُمْ خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ وَكَتَبَ مَا مُنِعَ مِنْهُ أَقَامَهُ الْمُحْتَسِبُ وَأَدَّبَهُ، فَإِنْ تَابَ أَعَادَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَزَّرَهُ. [1].

فظهر من هذا كله أهمية الاحتساب علىٰ المنجمين، وأنه من أعظم القربات، وأجل الأعمال، وأعظمها نفعا للعباد في دينهم ودنياهم، وسنذكر ذلك في باب السحر والتنجيم مفصلا.

(١) معالم القربة في طلب الحسبة: ج ١ / ص ٢٣٩.

المطلب الرابع: احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الشياطين

إن الشياطين هم أصل الشر ومنبعه وهم المعينون لكل ساحر وكاهن وفاجر وهم أعداء بني آدم وهم عصاة لله عَزَّوَجَلَّ مشركون به صادون عن سبيله يدعون الناس إلىٰ معصية الله والكفر به، وهم مخذولون فإن المعصية تضعف صاحبها وتجلب عليه البؤس فكيف بهؤلاء الذين يكفرون بالله ورسله ويدعون الناس إلىٰ كل موبقة لا ريب أنهم ضعاف وقد قال ربنا إن كيد الشيطان كان ضعيفا ويقول هو يوم القيامة لاوليائة وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فهذا شأنه الدعوة والوعد الكاذب قال تعالىٰ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا لكنه بهذه الوعود المخلفة وهذه والأماني الكاذبة يضل كثيرا قال تعالىٰ انه ليس له سلطان علىٰ الذين امنوا وعلىٰ ربهم يتوكلون انما سلطانة علىٰ الذين يتولونه يوالذين هم به يشركون.

من هنا فقد احتسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الشياطين فبين لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرق الوقاية من هؤلاء وهي سهلة ميسورة علىٰ من يسره الله تعالىٰ ومن وجوه احتسابه علىٰ الشياطين ما يلي:

بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يسلم به المسلم أذا خرج من بيته:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ **بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ**

وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَنَحَّىٰ لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ[١].

بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحصن المسلم بآية الكرسي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ

(١) رواه أبو داود في كِتَاب الْأَدَبِ، باب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حديث رقم ٤٤٣١.

شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَىٰ الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ[١].

بيان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للمسلم كيف يحفظ بيته من الشياطين.

إن من احتسابه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ الشياطين أنه أرشد العباد إلىٰ أذكار تكون بها بيوتهم آمنة محصنة من شر هؤلاء الشياطين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ[٢].

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْوَكَالَةِ، بَاب إِذَا وَكَّلَ رَجُلاً فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا.
(٢) رواه مسلم في كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَاب آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حديث رقم ٣٧٦٢.

بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلم كيف يحفظ نفسه يومه وليلته من الشيطان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ(١).

بيان أثر الأذان والإقامة في هروب الشياطين:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ فَلَا يَزَالُ بِالْمَرْءِ يَقُولُ لَهُ اذْكُرْ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّىٰ لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّىٰ(٢).

وفضائل الأذان وطرده للشياطين جاء في أحاديث عدة: منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَىٰ النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ

(١) رواه البخاري في كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، بَاب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، حديث رقم ٣٠٥٠.
(٢) رواه البخاري في كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب يُفْكِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ حديث رقم ١١٤٦، ومسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب السَّهْوِ فِي الصَّلَا حديث رقم ٨٨٤..

أَدْبَرَ حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّىٰ يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ[١].

و عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ذَهَبَ حَتَّىٰ يَكُونَ مَكَانَ الرَّوْحَاءِ قَالَ سُلَيْمَانُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ الرَّوْحَاءِ فَقَالَ هِيَ مِنْ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا. [٢].

وعن رَوْحٌ عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَىٰ بَنِي حَارِثَةَ قَالَ وَمَعِي غُلَامٌ لَنَا أَوْ صَاحِبٌ لَنَا فَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ قَالَ وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَىٰ الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّىٰ وَلَهُ حُصَاصٌ[٣] ومن المجربات في شأن الأذان أنه اذا كان ثمة مشاحنة بين الرجل وزوجه فأذن الأذان توقفت المشكلة وهدأت الأمور، وسكنت النفوس لأن الشيطان الذي ينفخ في كير المشكلة ولىٰ.

---

(١) السابق.

(٢) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلاَةِ، بَاب فَضْلِ الأَذَانِ وَهَرَبِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، حديث رقم ٥٨١.

(٣) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلاَةِ، بَاب فَضْلِ الأَذَانِ وَهَرَبِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، حديث رقم ٥٨٤.

نصيحة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته بآخر سورة البقرة وأنها كفاية.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ(١). ومن أعاجيب فقه البخاري أن يورد هذا الحديث مرة في كتاب المغازي.

نصيحته أمته بقراءة سورة البقرة لحفظ البيوت من الشياطين.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيُّ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ(٢).

وصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمعوذات.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خُلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ قُلْ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ قُلْ قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب شُهُودِ الْمَلاَئِكَةِ بَدْرًا حديث رقم ٣٧٠٧، ومسلم في كِتَاب صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ حديث رقم ١٣٤٠..

(٢) رواه مسلم في كِتَاب صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب اسْتِحْبَابِ صَلاَةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، حديث رقم ١٣٠٠.

تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا[١].

وقد جاء في فضل المعوذات وكفايتها من شر كل ذي شر الكثير من الاحاديث وقد مر بعضها لكن نذكر ببعضها لتعظم العناية بهذه المعوذات التي ما تعوذ المتعوذون بمثلها:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٢].

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَىٰ قَدَمِهِ فَقُلْتُ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٣].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خُلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ قُلْ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ قُلْ قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ حَتَّىٰ خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا[٤].

وقال البخاري: وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ

(١) رواه النسائي في كِتَاب الِاسْتِعَاذَةِ، بَاب حديث رقم ٥٣٣٤.
(٢) سبق تخريجه وهو في صحيح مسلم.
(٣) سبق تخريجه وهو صحيح أخرجه النسائي.
(٤) سبق تخريجه وهو صحيح أخرجه النسائي..

فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَىٰ قَلْبِهِ[١].

أرأيت أخي المسلم كيف احتسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أولئك الشياطين، وكيف دل أمته علىٰ تلك السبل الميسره لدحر الشياطين، وكبتها بإذن الله تعالىٰ، وانظر كيف بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعف الشياطين، وأنه بالأذان وحده والحمد لله يولي وله ضراط.

إن المتأمل يجد حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ إرشاد أمته إلىٰ التحصن من الشياطين تحصين أنفسهم وتحصين بيوتهم، ويجد أن أذكار التحصين اشتملت علىٰ توحيد الله فكل الأدعية هي توحيد لله، فالناظر في حديث دعاء الخروج: بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن استعان بالله أعانه الله واسم الله به يحفظ كل شيء قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها. ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[٢] وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال علىٰ الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا

(١) رواه البخاري في كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب بَاب قَوْلُهُ: اللَّهُ الصَّمَدُ.
(٢) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلاَةِ، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، حديث رقم ٧٥١.

عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع. وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلىٰ السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، وقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه منتهيا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

ويعتني الموحد والمحتسب أيضاً بآية الكرسىٰ، وهىٰ حصن عظيم وكلمة توحيد والتي من داوم علىٰ تلاوتها بعد الصلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا

(١) من الآية ١٩١ سورة آل عمران.٧٥١.

الموت، ويحفظ الإنسان بها من الجن، وإذا أوىٰ إلىٰ فراشه فقرأها حفظه الله، فلا يزال عليه من الله حافظ ثم هناك حفظ آخر وهو أنه لا يقر به شيطان، فآية الكرسي حفظ من كل شئ مؤذ من سبع وغير ذلك، فعظائم الأمور لا تتم إلا بالتوحيد، وبالتوحيد تزال الهموم والغموم.

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري.

٣. صحيح مسلم.

٤. سنن أبي داود.

٥. سنن الترمذي.

٦. سنن النسائي.

٧. مسند أحمد.

٨. المعجم الكبير: الطبراني.

٩. المعجم الأوسط للطبراني.

١٠. سنن البيهقي.

١١. الأدب المفرد للبخاري.

١٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود: الألباني.

١٣. صحيح الترغيب والترهيب: الألباني.

١٤. سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني ج١ص٤٩١مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

١٥. صحيح الجامع: الألباني.

١٦. صحيح وضعيف سنن الترمذي.

١٧. حديث اجعل لنا ذات أنواط دراسة حديثية عقدية د عبد الله بن عيسىٰ الأحمدي بدون بيانات.

١٨. أحكام القرآن: أبوبكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..

١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج ٢ / ص ٢٨٦) تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي وزارة الإرشاد الكويتية، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.

٢١. التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور جـ ١٤ ص ١١٨ الدار التونسية، الطبعة الأولىٰ.

٢٢. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن: أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤مـ.

٢٥. الحسبة لابن تيمية: ابن تيمية، دار الكتب العلمية.

٢٦. الحسبة: أحمد مصطفىٰ المراغي، تصحيح: محمد عبد الرحمن الشاغول، الجزيرة للنشر والتنوزيع، ٢٠٠٠ م.

٢٧. الداء والدواء: لابن القيم ص٦٥تحقيق محمد أجمل إصلاحي، إشراف د بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٩م.

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

٢٩. روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي ج ٤ / ص ٣ تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

٣٠. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣١. شرح النووي علىٰ مسلم: للنووي المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ».

٣٣. الفوائد: ابن القيم ص ٨٨دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

٣٤. القاموس المحيط: تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

٣٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت الطبعة الأولىٰ..

٣٦. مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٣٧. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ج١ ص: ٢١١تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

٣٩. معالم القربة في طلب الحسبة: محمد بن محمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد المطيعي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٤٠. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية،

١٤٠٤هـ=١٩٨٣م.

البحث الثاني

الاحتساب
على السحرة والكهان والمنجمين
عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادىٰ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنه لا يخفىٰ علىٰ من تأمل كتاب الله تعالىٰ خطر السحر، وضرر السحرة وسوء أثرهم في الدين والدنيا، كما لا يخفىٰ عليه ما توعدهم به ربنا من خسران الدنيا والآخرة، وكذلك يرىٰ ذلك من تأمل سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما لا يخفىٰ علىٰ من سمع شكاوىٰ كثير من الناس مما لحقهم من ضرر السحرة.

لقد حذر القرآن الكريم من السحر، وبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة، وحذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كذلك، وبين سوء منقلب أهله، وعلمنا كيف نتحصن من شر السحر والسحرة، لقد فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، احتسب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، علىٰ السحرة والكهان والمنجمين، والمعلوم أن أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم صفوة هذه الأمة ، وهم خير أصحاب النبيين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصحابة هم أشد الناس اتباعاً للنبىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقتفاء لآثاره وهديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد اتخذوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إماماً فما يرفع قدمه إلا ويضعون

أقدامهم علىٰ ذلك الأثر، وما يرفع أحدهم قدمه إلا بأثر، ولا يضعه إلا بأثر وفىٰ هذا الباب العظيم، وهو باب الاحتساب علىٰ السحرة واخوانهم، كانوا كذلك، فقد تتبعوا هدي نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واحتسبوا علىٰ السحر والسحرة، فحذروا من السحر، وبينوا أنه شرك وخروج عن دين الله، وقاموا علىٰ السحرة فكانوا ما بين محتسب عليهم بالقول والتحذير، وما بين ناقل لأحاديث البشير النذير صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما بين ولي أمر قاطع لأعناق السحرة؛ لينقطع شرهم علىٰ الأمة، وما بين معاقب لمن قصدهم أو طلب سحراً منهم، ولقد احتسبوا(رضوان الله عليهم) علىٰ الكهانة والكهان، فحذروا من الكهانة، وبينوا خطرها، كما هونوا من أمرها كما فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن هوانها عليهم أنهم تركوها (رضوان الله عليهم)، وحذروا منها، وما جاء عنهم من ذكر أخبارها إنما قصوه ليتبين الناس حقيقتها، تماما كما كانوا يتحدثون عن أفعالهم في الجاهلية من: الشرك وعبادتهم الأوثان، كما أنهم حين قصوا ذلك إنما ساقوا من أخبارها ما فيه عظة: من كلام فيه تصديق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان دافعاً لإيمانهم ، كما احتسبوا علىٰ التنجيم والمنجمين، وبينوا أن النجوم والكواكب من مخلوقات الله المسخرة، بين الشرع المطهر عملها، وبين أنها ليس لها سلطان علىٰ حياة الناس، كما احتسب الصحابة علىٰ الشياطين، وقد كان عندهم من قوة الإيمان ما جعلهم يأسرون الشيطان كما جرىٰ مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث صدقك

وهو كذوب[١].

إن الصحابة هم خيار الأمة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «خير الناس قرنيٰ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٢]» فهم خير الناس في الإيمان والعلم والعمل والدعوة

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَىٰ الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ.والحديث في صحيح البخاري (كتاب الزكاة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلىٰ أجل مسمىٰ جاز ٣/ ١٠١رقم٢٣١١).

(٢) صحيح البخاري (كتاب الشهادات، باب: لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد: ٣/ ١٧١رقم٢٦٥٢) ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٣).من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والجهاد، وفىٰ كل شيء رضوان الله عليهم، ولذا استحقوا أن ينالوا رضىٰ الله جل ثناؤه فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، بل جعل اتباع سبيلهم شرطا لنيل الرضا ودخول الجنات، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، وفىٰ هذا البحث بيان لاحتساب الصحابة الأطهار، وجهادهم للسحرة الأشرار، والكهان الفُجار، وهو جهاد عظيم فيه حماية لدين الله تعالىٰ، ونهىٰ عن الشرك.

وسيقوم هذا البحث علىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: احتساب الصحابة علىٰ السحر والسحرة.

المبحث الثانىٰ: احتساب الصحابة علىٰ الكهانة والكهان وأعوانهم من الشياطين.

المبحث الثالث: احتساب الصحابة علىٰ التنجيم والمنجمين.

ونسأل الله أن أن يرزقنا حسن التآسىٰ بنبيه ﷺ، وبهؤلاء الصحابة الأطهار، وأن يجمعنا بنبينا ﷺ وبهم في جنات النعيم، وأن يجعل هذا البحث دافعًا إلىٰ مزيد حب لهم، وشكر لجهادهم في هذا الباب المتناثر في كتبنا العظيمة العتيقة.

---

(١) الآية ١٠٠ سورة التوبة.

وإننا لنرجو أن يكون هذا البحث قياماً ببعض حقوق هذا الجيل المبارك الذىٰ لم يدخر جهداً في نصرة هذا الدين، ولم يترك باباً من أبواب خدمة هذا الدين إلا ولجه، ولاسهماً من سهام الإسلام إلا وأطلقه، فرضي الله عنهم، وشكر سعيهم، وصلىٰ وسلم وبارك علىٰ من رباهم، فكل فضل نألوه فبفضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل علم للخير رفعوه فهو رائدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجزىٰ أصحابه الكرام البررة عنا عن الإسلام والمسلمين خيراً.

المبحث الأول: احتساب الصحابة الإطهار على السحر والسحرة الأشرار

احتسب الصحابة الأطهار (رضوان الله عليهم) علىٰ السحر وعلىٰ السحرة الأشرار، وسلكوا إلىٰ ذلك سبلاً، فمنهم من احتسب عليهم بقوله محذراً الأمة من شرهم، ومنهم من احتسب بإقامة أمر الله فيهم، وفىٰ هذا المبحث نلقىٰ الضوء علىٰ هذا الإحتساب من خلال مطلبين: -.

المطلب الأول: الاحتساب الفعلىٰ للصحابة علىٰ السحرة.

المطلب الثانىٰ: الاحتساب القولىٰ علىٰ السحر والسحرة.

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على السحر والسحرة

لقد أدرك الصحابة (رضوان الله عليهم) خطر السحرة، وأنهم أعضاء فاسدة في المجتمع المسلم، وأنهم سوس ينخر في عظام المجتمع المسلم، وأن هذه الأعضاء التي وقع فيه السوس إذا بقيت دون مقاومة أو ردع أهلكت الحرث والنسل، وأشاعت الفساد، ونشرت الكفر والضلال، وعملوا علىٰ اجتثاث هذا الفساد، وعلىٰ بتر تلك الأعضاء التي لو تركت كانت سببًا في عطب جسد الأمة كله. وقاموا باجتثاث هذا الفساد الذىٰ يسرىٰ في جسد الأمة في خفاء، وفىٰ هذا المطلب سنتناول احتساب هؤلاء الكرام، سنذكر احتساب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحكم موقعه علىٰ رأس هرم دولة الإسلام، وإصداره أمراً بقتل كل ساحر وساحرة، وتم تنفيذ أمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل أمير مصر قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك للساحر، وتصرف ابن مسعود في قطعة خيطا ربطته أمرأته ، وبيع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لجاريتها.

احتساب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على السحرة:

في بدء أثر عمر: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصًا علىٰ إيمان العباد، حريصًا علىٰ عقائدهم، حريصًا علىٰ أن يكونوا قريبين من الله تعالىٰ.. يظهر ذلك من مواقف عديدة فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال لأبي هريرة: من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله فبشره بالجنة، فلقىٰ عمر فلما قال له ذلك ضربه حتىٰ

سقط أبو هريرة علىٰ الأرض[١]، فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خائفًا من اتكالهم علىٰ مثل هذه الأحاديث الجليلة[٢]، فيكون ذلك سببًا في تركهم لأعمال صالحة

(١) عن أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزِعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ أَثَرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَلِّهِمْ.أخرجه مسلم في كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا، حديث رقم٤٦.

(٢) وردت أحاديث كثيرة في فضل من نطق بلا إله إلا الله، ولابد أن تفقه في ضوء الأحاديث الأخرىٰ التي جمعت نصوص القضية، من الكفر بما يعبد من دون الله، ومن القيام بحق لا إله إلا الله وأعمالها، وترك ما حرم الله تعالىٰ، وعدم الاتكال علىٰ مجرد النطق، ومن الأحاديث الدالة علىٰ فضل لا إله إلا الله:

١- عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ

كثيرة.

كما أنه حافظ علىٰ عقائد الناس من أن يتطرق إليها ما تطرق إلىٰ عقائد الأمم من قبل، فإنه لما رأىٰ الناس يأتون شجرة صلىٰ عندها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر بقطعها [١] لئلا يجر ذلك إلىٰ الغلو فيها، وعبادتها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ. رواه البخاري كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ حديث رقم٤٢. ومسلم كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث رقم٢٨٥.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. رواه البخاري كِتَاب الْعِلْمِ باب الْحِرْصِ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، حديث رقم٩٧.).

٣- وفي حديث عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ. رواه البخاري في كِتَاب الصَّلَاةِ بَاب الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ، حديث رقم٤٠٧، ورواه مسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ (بَاب الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ.

٤- في حديث الشفاعة الطويل قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. صحيح البخاري كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم٦٩٥٦، ومسلم كِتَاب الْإِيمَانِ بَاب أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا).

٥- عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ. صحيح مسلم كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حديث رقم٣٤.

(١) في صحيح البخاري من حديث طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ

قال للحجر الأسود قولته المشهورة : والله إنىٰ أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنىٰ رأيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك[1] لقد كان ناصحاً للأمة حريصاً علىٰ دينها من أسلم، وكان كذلك في وزاته للنبىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وللصديق أبي بكر، فلما ولىٰ أمر الأمة وصار مسئولاً عنها ازدادت عنايته.

ومن موقعه كأمير للمؤمنين، وخليفة للأمة وحريصاً علىٰ أمر دينها احتسب علىٰ أولئك السحرة، فالذىٰ كان يخشىٰ علىٰ الأمة الاتكال علىٰ فضل الله وجزيل ثوابه فتترك العمل، والذىٰ كان خائفاً من غلو الأمة في الشجرة وفىٰ الحجر، كيف يترك أولئك السحرة الذين يكفرون بالله تعالىٰ، ويعتبدون للشياطين لتخدمهم وتستخدمهم في إضلال الناس، كيف يترك أولئك السحرة الذين يتعبدون لغير الله، بل يتعبدون لشر خلق الله وهم الشياطين، ويعبدون الناس لهم..

لقد احتسب علىٰ أولئك السحرة وكان احتسابه رادعاً وزاجراً، لقد أمر

يُصَلُّونَ قُلْتُ مَا هَذَا الْمَسْجِدُ قَالُوا هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ سَعِيدٌ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا فَقَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ.أخرجها البخاري في كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، حديث رقم٣٨٤٥.

(١) عن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَبَّلَ الْحَجَرَ وَقَالَ لَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ. رواه البخاري كِتَاب الْحَجِّ، بَاب تَقْبِيلِ الْحَجَرِ، حديث رقم١٥٠٦، ورواه مسلم كِتَاب الْحَجِّ، بَاب اسْتِحْبَابِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الطَّوَافِ، حديث رقم٢٢٢٨.

بإقامة أمر الله فيهم، فأمر بقتل السحرة، فهو أمير المؤمنين ورأس دولة الإسلام وهو حريص علىٰ دين الأمة ودنياها وهؤلاء مفسدون لدين الأمة ودنياها، فهم آكلون لأموال الناس بالباطل وهو كان من العدل بحيث لا يسمح لأحد أن يأكل حق أحد وإن كان صغيراً في بيع أو شراء فكيف بمن يأكل أموال الناس بالكفر والضلال والسحر، والسحرة الأشرار يفسدون البيوت وينشرون الفساد وهو الذىٰ كان يعس ليلاً متفقداً بيوت المسلمين مراعيًا لها خائفًا عليها، وهذا درس لولاة الأمور يبين لهم جانبًا من الحفاظ علىٰ الدولة المسلمة ضد سوس ينخر فيها، يفسد عقيدتها وأخلاقها ويفسد أموالها ونظامها، ويقوض بنيانها، ويشيع الفساد في أرجائها فأولئك السحرة أولىٰ بالسيف والقتل من القتلة وقطاع الطرق وغيرهم من أهل الضلال فهم من أول ما يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فالسحرة جرثومة الفساد والضلال والكفر.

عن عمرو بن دينار، أنه سمع بجالة[2]، يحدث أبا الشعثاء وعمرو بن أوس

---

(١) الآية٣٣ سورة المائدة.

(٢) هو بجالة بن عبدة التميمي العنبري أدرك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولم يره وكان كاتبا لجزء بن معاوية في خلافة عمر ثبت ذلك في الجزية من صحيح البخاري وبجالة بفتح أوله وتخفيف الجيم وأبوه بفتحتين علىٰ الصحيح الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ١١٤)وفي تقريب

الثقفي عام حج مصعب بن الزبير وهو جالس إلىٰ درج زمزم سنة سبعين قال: كنت كاتبا لجزء بن معاوية[١] عم الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر وكاهن، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وامنعوهم من الزمزمة، قال: فقتلنا ثلاثة سواحر، وفرقنا بين كل رجل من المجوس وحرمته في كتاب الله وصنع طعاما كثيرا فدعا مجوس وعرض السيف علىٰ فخذه فأكلوا بغير زمزمة وألقوا وقر بغل أو بغلين من ورق ولم يكن عمر يأخذ من المجوس الجزية حتىٰ شهد عنده عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخذها من مجوس هجر[٢].

قال ابن حجر: ووَقَعَ فِي رِوَايَة سَعِيد بْن مَنْصُور الْمَذْكُورَة مِنْ الزِّيَادَة «وَاقْتُلُوا كُلّ سَاحِر وَكَاهِن[٣].

فقد ظهر جليا من هذا احتساب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ أولئك السحرة، وبينت تلك الآثار أن عماله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بادروا إلىٰ تنفيذ أمره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يتوانوا في

التهذيب - (ج ١ / ص ١٢١) بجالة بفتح الموحدة بعدها جيم بن عبدة بفتحتين التميمي العنبري البصري ثقة من الثانية خ د ت س.

(١) هو جزء بن معاوية بن حصين بن عبادة بن سعدٍ التميمي، عم الأحنف بن قيس، وهو من التابعين. الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص ١٢).

(٢) الحديث بهذا اللفظ: أخرجه الإمام أحمد في مسنده(٣/ ١٩٦رقم١٦٥٧)، وأخرجه أبوداود في كتاب كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس: ٣/ ١٦٨رقم٣٠٤٣، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». (إرواء الغليل: ٥/ ٨٩رقم١٢٤٩).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٢/ ١١٩رقم٢١٨٠) ذكره ابن حجر في الفتح وسكت عنه: ج٦ص٢٩٦.

ذلك، وقد ذكر بجالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قتلوا علىٰ إثر قدوم الكتاب ثلاث سواحر.

قيس بن سعد الأمير وقتله الساحر الذي يفشي اسرار الدولة:

وَرَوَىٰ سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَمِيرًا عَلَىٰ مِصْرَ فَجَعَلَ يَفْشُو سِرَّهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُفْشِي سِرِّي؟ فَقَالُوا: سَاحِرٌ هَهُنَا فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِذَا نَشَرْت الْكِتَابَ عَلِمْنَا مَا فِيهِ، فَأَمَّا مَا دَامَ مَخْتُومًا فَلَيْسَ نَعْلَمُهُ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ[1]..

كان قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميراً علىٰ مصر، فكان يحدث معه شيء غريب وهو أنه كان يكتب الكتاب الخاص بأمور الدولة وشئون الحكم فيجد الكتاب قد كشف وعرفه الناس، فبحث وطلب كشف ذلك حثيثًا حتىٰ علم أن هناك ساحر يكشف أسرار الدولة المسلمة ويعرضها للأخطار، إذ في كتب الأمير ولا بد ما يتعلق بالحرب والخطط العسكرية، وفيها ما يكون بينه وبين الخليفة، وفيها ما يكون من أمور سرية تقوم عليها سلامة الدولة، فأحضر الساحر وسأله وقرره فأقر وكشف له ما يصنعه الجن مع ذلك الساحر وهو أنه إذا فتح الأمير الكتاب نقل الجن محتواه إلىٰ الساحر، فاحتسب علىٰ ذلك الساحر فقتله، لأن في هذا سلامة عقائد الناس، وفيها سلامة الدولة، إذ كشف أسرارها يعرضها للمخاطر، ويكشف الترتيب أمام الأعداء بل قد يؤلب العامة فإن كثيراً من أمور الدولة لو كشفت لما فهمها كثير من الناس، وكم عرض هذا الساحر

(١) سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري.

ولا شك من مسلم للأذىٰ حين تكشف أمور نجاها في الأسرار، وكم يكشف ظهور المسلمين وحالة جيوشهم ، مما يمكن فهم أعدائهم، فقطع دابر رجل من الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. وهذا درس لكل مسئول في موقعه ألا يتعاون في الاحتساب علىٰ هؤلاء فقيس أمير ونائب لأمير المؤمنين وهو منوط به الحفاظ علىٰ هذه البلد، فكما يحافظ عليها فيمنع ذلك الجرائم ويقيم الحدود علىٰ الجناة من قتله ولصوص وزناه ومحاربين، أقام حكم الله علىٰ ذلك الساحر المفسد الذىٰ يكشف أسرار دولة الإسلام. فعلىٰ كل من ولاة الله ولاية في بلاد المسلمين ومنحه سلطاناً أن يقطع دابر هذا الشرك وهذا الفساد.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واحتسابها في أمر السحر:

لقد احتسبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ جارية لها سحرتها، وكانت أمنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أحسنت إلي هذه الجارية حتىٰ أنها دبرتها، لتعتق بعد موتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكن هذه الجارية كانت ذات نفس خبيثة قابلت الإحسان بالإساءة فبدلاً من شكرها أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عملت لها سحراً لتموت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتكون الجارية بعيدة عن الشبهة لكن الله فضحها وكشف أمرها وسألتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأقرت بالسحر، ولعل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استتابتها فتابت وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممن ترىٰ ذلك مع الساحر، أو لاشتباه ما حدث لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ادرؤوا الحدود بالشبهات، وأمنا من أرحم الناس وهىٰ زوج الرحمة المهداة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهىٰ ابنة أرحم الأمة بالأمة.

ولكن أوصت بأن تباع بشر قوم يعاملون المماليك، وذلك لتخاف وتعلم أنها إذا أخطأت أذاقوها العذاب الأليم فتخاف من فعل أي خطأ فيكون ذلك رادعاً لها عن العودة لمثلها ويكون ذلك خير لها، إذا كانت نفسها ضعيفة، وإن هؤلاء المفسدون من السحرة قوم جبناء حريصون علىٰ الدنيا ومتاعها ولو علموا أنهم يضامون في هذه الدنيا فإنهم لا يقدمون علىٰ ذلك، كما أنهم لو علموا أن هناك من يعرف حقيقة أمرهم وطبيعة فعلهم فإنهم لايعقلون ذلك.

عن عمرة قالت: مرضت عائشة فتطاول مرضها، قالت: فذهب بنو أخيها إلىٰ رجل فذكروا مرضها، فقال: إنكم تخبروني خبر امرأة مطبوبة، قال: فذهبوا ينظرون، فإذا جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فدعتها، فسألتها، فقالت: ماذا أردت؟ قالت: أردت أن تموتي حتىٰ أعتق، قالت: فإن لله علي أن تباعي من أشد العرب ملكة، فباعتها، وأمرت بثمنها فجعل في مثلها[1].

وفي مصنف عبد الرزاق عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة أعتقت جارية لها عن دبر منها، ثم إنها سحرتها واعترفت بذلك، قالت: أحببت العتق، فأمرت بها عائشة ابن أخيها أن يبيعها من الاعراب ممن يسئ ملكتها، قالت: وابتع بثمنها رقبة فأعتقها، ففعل.

وفي رواية في المصنف أيضا: مرضت عائشة فطال مرضها، فذهب بنو

(١) هذا الحديث والذي بعده: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(٩/ ١٤٠رقم١٦٦٦٧) قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.(صحيح الأدب المفرد(٨١رقم١٦٢/ ١٢٠).

أخيها إلىٰ رجل، فذكروا مرضها، فقال: إنكم لتخبروني خبر امرأة مطبوبة، قال: فذهبوا ينظرون فإذا جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فسألتها فقالت: ما أردت مني؟ فقالت: أردت أن تموتي حتىٰ أعتق، قالت: فإن لله علي أن تباعي من أشد العرب ملكة، فباعتها، وأمرت بثمنها أن يجعل في غيرها..

نقول وفي الحديثِ: بَيانُ أنَّ القَدَرَ لا يُؤثِّرُ فيه سِحْرٌ، ولا شَيءٌ يجري إلَّا بأمْرِ اللهِ، فإن السحر لم يحقق مراد المرأة ولم تمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والمرأة لم تعتق.

وفيه: مَشْروعيَّةُ مُعاقبةِ المُسيءِ بقَدْرِ إساءَتِهِ، وعَدمِ الأخذِ بالعَفوِ.

وفيه: أنَّ مَن استعجَلَ شيئًا قبلَ أوانِه عُوقِبَ بحِرمانِه.

وجاء في تفسير القرطبي قال ابن المنذر: وقد روينا عن عائشة.أنها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب.قال ابن المنذر: وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلاما يكون كفرا.وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن كان عمد ذلك، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك. قال ابن المنذر: وإذا اختلف أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسألة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة، وقد يجوز أن يكون السحر الذي أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن

تكون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا. فإن احتج محتج بحديث جندب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(حد الساحر ضربه بالسيف)** فلو صح لاحتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذي يكون سحره كفرا، فيكون ذلك موافقا للاخبار التي جاءت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث...)** قلت: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين ولا يقين مع الاختلاف. والله تعالىٰ أعلم.وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة أن السحر لا يتم إلا مع الكفر ولاستكبار، أو تعظيم الشيطان فالسحر إذا دال علىٰ الكفر علىٰ هذا التقدير، والله تعالىٰ أعلم.وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ويقول تعمدت القتل، وإن قال لم أتعمده لم يقتل، وكانت فيه الدية كقتل الخطأ، وإن أضربه أدب علىٰ قدر الضرر.

قال ابن العربي: وهذا باطل من وجهين، أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته: أنه كلام.

مؤلف يعظم به غير الله تعالىٰ، وتنسب إليه المقادير والكائنات.

الثاني: أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ به وبتعليمه، وهاروت وماروت يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وهذا تأكيد للبيان.

احتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، لان السحر باطن لا يظهره صاحبه فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر مرتدا، قال مالك: فإن

جاء الساحر أو الزنديق تائبا قبل أن يشهد عليهما قبلت توبتهما، والحجة لذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ فدل علىٰ أنه كان ينفعهم إيمانهم قبل نزول العذاب، فكذلك هذان. [١].

فقه الشيخ الشنقيطى رَحِمَهُ ٱللَّهُ لآثار الصحابة في شأن الساحر:

وقد تناول العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآثار في أضواء البيان بالدراسة فكان مما قاله: التحقيق في هذه المسألة إن شاء الله تعالىٰ أن السحر نوعان كما تقدم؟ منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقتل كفراً؟ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من بدل دينه فاقتلوه ». وأظهر القولين عندي في استتابته أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته. وقد بينت في كتابي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) في سورة «آل عمران»[٢] أن أظهر القولين دليلًا أن الزنديق تقبل توبته؟ لأن الله لم يأمر نبيه ولا أمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتنقيب عن قلوب الناس؟ بل بالاكتفاء بالظاهر. وما يخفونه في سرائرهم أمره إلىٰ الله تعالىٰ. خلافًا للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصحابه القائلين بأن الساحر له حكم الزنديق. لأنه مستسرّ بالكفر والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائبًا قبل الاطلاع عليه. وأظهر القولين عندي: أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر وأنها كفرت بسحرها قتلت كما

(١) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٨).
(٢) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٨).

يقتل الرجل. لأن لفظة «من» في قوله: «من بدل دينه فاقتلوه» تشمل الأنثىٰ علىٰ أظهر القولين وأصحهما إن شاء الله تعالىٰ. ومن الأدلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾[١] الآية. فأدخل الأنثىٰ في لفظة «من»، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ ﴾[٢] الآية، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ ﴾[٣] الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وأما إن كان الساحر عمل السحر الذي لا يبلغ بصاحبه الكفر، فهذا هو محل الخلاف بين العلماء. فالذين قالوا يقتل ولو لم يكفر بسحره قال أكثرهم: يقتل حداً ولو قتل إنساناً بسحره، وانفرد الشافعي في هذه الصورة بأنه يقتل قصاصاً لا حداً.

وهذه حجج الفريقين ومناقشتها:

أما الذين قالوا مطلقاً إذا عمل بسحره ولو لم يقتل به أحداً فاستدلّوا بآثار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبحديث جاء بذلك إلا أنه لم يصح.

فمن الآثار الدالة علىٰ ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد في باب الجزية): حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان قال: سمعت عمراً قال: كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثهما بجالة سنة سبعين عام

(١) الآية ١٢٤ سورة النساء..
(٢) الآية ٣٠ سورة الأحزاب..
(٣) الآية ٣٠ سورة الأحزاب..

حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند جرج زمزم قال: كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس قال: فقتلنا في يوم واحد ثلاث سواحر وفرقنا بين المحارم منهم. ورواه أيضًا أحمد وأبو داود. واعلم أن لفظة «اقتلوا كل ساحر» الخ في هذا الأثر ساقطة في بعض روايات البخاري، ثابتة في بعضها، وهي ثابتة في رواية مسدد وأبي يعلىٰ. قاله في الفتح. ومن الآثار الدالة علىٰ ذلك أيضًا ما رواه مالك في الموطأ عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت. قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[1] فأرىٰ أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه انتهىٰ من الموطأ. ونحوه أخرجه عبد الرزاق. ومن الآثار الدالة علىٰ ذلك ما رواه البخاري في تاريخه الكبير: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد الواسطي، عن خالد الحذاء عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجل يعلب فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. حدثني عمرو بن محمد، حدثنا هشيم عن خالد عن أبي عثمان عن جندب البجلي: أنه قتله. حدثنا موسىٰ قال حدثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان: قتله جندب بن كعب. وفي (فتح المجيد

(١) الآية ١٠٢ سورة البقرة..

شرح كتاب التوحيد) للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أشار لكلام البخاري في التاريخ الذي ذكرنا، ورواه البيهقي في الدلائل مطولاً، وفيه: فأمر به الوليد فسجن. فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة انتهىٰ منه.

فهذه آثار عن ثلاثة من الصحابة في قتل الساحر: وهم عمر وابنته أم المؤمنين حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، وجندب ولم يعلم لهم مخالف من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ويعتضد ذلك بما رواه الترمذي والدارقطني عن جندب قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « حد الساحر ضربه بالسيف » وضعف الترمذي إسناد هذا الحديث وقال: الصحيح عن جندب موقوف، وتضعيفه بأن في إسناده إسماعيل بن مسلم المكي وهو يضعف في الحديث. وقال في (فتح المجيد) أيضاً في الكلام علىٰ حديث جندب المذكور: روىٰ ابن السكن من حديث بريدة أن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يضرب ضربة واحدة فيكون أمة وحده**» ا ه منه. وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر تضعيفه بإسماعيل المذكور: قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن عن جندب مرفوعاً ا ه. وهذا يقويه كما ترىٰ.

فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحداً من الصحابة أنكرها علىٰ من عمل بها مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور هي حجة من قال بقتله مطلقاً. والآثار المذكورة والحديث فيهما الدلالة علىٰ أنه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر. لأن الساحر الذي قتله جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان سحره من نحو الشعوذة والأخذ بالعيون، حتىٰ إنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك. وقول

عمر «اقتلوا كل ساحر» يدل علىٰ ذلك لصيغة العموم. وممن قال بمقتضىٰ هذه الآثار وهذا الحديث: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في أصح الروايتين، وعمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز. وغيرهم، كما نقله عنهم ابن قدامة في (المغني) خلافاً للشافعي، وابن المنذر ومن وافقهما.

واحتج من قال: بأنه إن كان سحره لم يبلغ به الكفر لا يقتل بحديث ابن مسعود المتفق عليه «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث...**» الحديث، وقد قدمناه مراراً. وليس السحر الذي لم يكفر صاحبه من الثلاث المذكورة. قال القرطبي منتصراً لهذا القول: وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، والله أعلم.

واحتجوا أيضاً بأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باعت مدبرة لها سحرتها، ولو وجب قتلها لما حل بيعها. قاله ابن المنذر وغيره. وما حاوله بعضهم من الجمع بين الأدلة المذكورة بحمل السحر علىٰ الذي يقتضي الكفر في قول من قال بالقتل، وحمله علىٰ الذي لا يقتضي الكفر في قول من قال بعدم القتل لا يصح. لأن الآثار الواردة في قتله جاءت بقتل الساحر الذي سحره من نوع الشعوذة كساحر جندب الذي قتله، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام، كما تقدم إيضاحه. فالجمع غير ممكن. وعليه فيجب الترجيح، فبعضهم يرجح عدم القتل بأن دماء المسلمين حرام إلا بيقين. وبعضهم يرجح القتل بأن أدلته خاصة

ولا يتعارض عام وخاص. لأن الخاص يقضي علىٰ العام عند أكثر أهل الأصول كما هو مقرر في محله.

قال مقيده عفا الله عنه: والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل. لدلالة النصوص القطعية، والإجماع علىٰ عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح. وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتجرؤ علىٰ دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي. والعلم عند الله تعالىٰ، مع أن القول بقتله مطلقاً قوي جداً لفعل الصحابة له من غير نكير.[1].

احتساب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقطع الخيط عن أهله:

من المعلوم استخدام السحرة للخيوط والعقد في السحر، ولما رأىٰ عجوزا عقدت لزوجته ذلك الخيط قطعه وحذر من ذلك تحذيرا شديدا.ففي سنن ابنْ ماجه عن يَحْيَىٰ بْنِ الْجَزَّارِ عَنْ ابْنِ أُخْتِ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زَيْنَبَ قَالَتْ كَانَتْ عَجُوزٌ تَدْخُلُ عَلَيْنَا تَرْقِي مِنْ الْحُمْرَةِ وَكَانَ لَنَا سَرِيرٌ طَوِيلُ الْقَوَائِمِ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ تَنَحْنَحَ وَصَوَّتَ فَدَخَلَ يَوْمًا فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَهُ احْتَجَبَتْ مِنْهُ فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَىٰ جَانِبِي فَمَسَّنِي فَوَجَدَ مَسَّ خَيْطٍ فَقَالَ مَا هَذَا فَقُلْتُ رُقًىٰ لِي فِيهِ مِنْ الْحُمْرَةِ فَجَذَبَهُ وَقَطَعَهُ فَرَمَىٰ بِهِ وَقَالَ لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءَ عَنْ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ قُلْتُ فَإِنِّي

(١) أضواء البيان - (ج ٤ / ص ١٢٣).

خَرَجْتُ يَوْمًا فَأَبْصَرَنِي فُلَانٌ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتِي تَلِيهِ فَإِذَا رَقَيْتُهَا سَكَنَتْ دَمْعَتُهَا وَإِذَا تَرَكْتُهَا دَمَعَتْ قَالَ ذَاكِ الشَّيْطَانُ إِذَا أَطَعْتِهِ تَرَكَكِ وَإِذَا عَصَيْتِهِ طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي عَيْنِكِ وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَيْرًا لَكِ وَأَجْدَرَ أَنْ تُشْفَيْنَ تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِكِ الْمَاءَ وَتَقُولِينَ أَذْهِبْ الْبَاسْ رَبَّ النَّاسْ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا[1].

الْحُمْرَة لَوْن مَعْرُوف وَوَرَم مِنْ جِنْس الطَّوَاعِين قُلْت فَلَعَلَّ الْمُرَاد هَاهُنَا هُوَ الْمَعْنَىٰ الثَّانِي.

قَوْله (أَغْنِيَاء عَنْ الشِّرْك)يُرِيد أَنَّهُ لَا حَاجَة لَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا مَا هُوَ شِرْك.

وَالرُّقَىٰ جَمْع رُقْيَة وهي الْعُوذَة وَالْمُرَاد مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ الْأَصْنَام وَالشَّيَاطِين لَا مَا كَانَ بِالْقُرْآنِ وَنَحْوه.

وَالتَّمَائِم جَمْعَ تَمِيمَة أُرِيدَ بِهَا الْخَرَزَات الَّتِي يُعَلِّقهَا النِّسَاء فِي أَعْنَاق الْأَوْلَاد عَلَىٰ ظَنّ أَنَّهَا تُؤَثِّر وَتَدْفَع الْعَيْن.

وَالتِّوَلَة بِكَسْرِ التَّاء وَفَتْح الْوَاو وَاللَّام نَوْع مِنْ السِّحْر يَجْلِب الْمَرْأَة إِلَىٰ زَوْجهَا.

شِرْك أي مِنْ أَفْعَال الْمُشْرِكِينَ أَيْ لِأَنَّهُ قَدْ يُفْضِي إِلَىٰ الشِّرْك إِذَا اِعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا حَقِيقَة وَقِيلَ الْمُرَاد الشِّرْك الْخَفِيّ بِتَرْكِ التَّوَكُّل وَالِاعْتِمَاد عَلَىٰ اللَّه سُبْحَانه

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه(كتاب الطب، باب تعليق التمائم: ٢/ ١١٦٦رقم٣٥٣٠)، صححه الشيخ الألباني: في (السلسلة الصحيحه رقم٣٣١، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه رقم٣٥٣٠).

وَتَعَالَىٰ وَفِي الزَّوَائِد رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ بَعْضه وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَك [١].

احتساب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باستخراج سحر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما سحر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضع لبيد السحر في البئر أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه من استخرج هذا السحر، ونرىٰ أن هذا من احتساب الصحابة أيضا، وكذلك الصحابي الذي استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ردم البئر التي هي مكان يضع فيه ذلك الساحر سحره،.

ويوجه هذا المسلمين إلىٰ بذل ما يمكنهم لدفع اذىٰ السحرة بالبحث في الاماكن التي هي مظان لوضع السحرة وقاصديهم الأعمال فيها فيستخرجونها فيكشفون عن مسلم كربة ويصرفون عنه اذىٰ بإذن الله وإن هذا ليدخل أيضا تحت قوله صل الله عليه وسلم إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فليفعل، جاء في فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٦) وَقَعَ فِي حَدِيث اِبْن عَبَّاس عِنْد اِبْن سَعْد « فَبَعَثَ إِلَىٰ عَلِيّ وَعَمَّار فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا الْبِئْر » وَعِنْده فِي مُرْسَل عُمَر بْن الْحَكَم « فَدَعَا جُبَيْر بْن إِيَاس الزُّرَقِيّ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَىٰ مَوْضِعه فِي بِئْر ذَرْوَان فَاسْتَخْرَجَهُ » قَالَ وَيُقَال الَّذِي اِسْتَخْرَجَهُ قَيْس بْن مُحْصَن الزُّرَقِيّ، وَيُجْمَع بِأَنَّهُ أَعَانَ جُبَيْرًا عَلَىٰ ذَلِكَ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَعِنْد اِبْن سَعْد أَيْضًا « أَنَّ الْحَارِث بْن قَيْس قَالَ: يَا رَسُول اللَّه أَلَا يَهُور الْبِئْر » فَيُمْكِن تَفْسِير مَنْ أُبْهِمَ بِهَؤُلَاءِ أَوْ بَعْضهمْ، وَأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ تَوَجَّهَ فَشَاهَدَهَا

(١) راجع حاشية السندي علىٰ ابن ماجه - (ج ٦ / ص ٤٥٤) بتصرف..

بِنَفْسِهِ [١].وَوَقَعَ فِي حَدِيث زَيْد بْن أَرْقَم عِنْد اِبْن سَعْد وَصَحَّحَهُ الْحَاكِم « فَوَجَدَ الْمَاء وَقَدْ اِخْضَرَّ «وَهَذَا يُقَوِّي قَوْل الدَّاوُدِيِّ. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: كَأَنَّ مَاء الْبِئْر قَدْ تَغَيَّرَ إِمَّا لِرَدَاءَتِهِ بِطُولِ إِقَامَته، وَإِمَّا لِمَا خَالَطَهُ مِنْ الْأَشْيَاء الَّتِي أُلْقِيَتْ فِي الْبِئْر. قُلْت: وَيَرُدّ الْأَوَّل أَنَّ عِنْد اِبْن سَعْد فِي مُرْسَل عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب أَنَّ الْحَارِث بْن قَيْس هَوَّرَ الْبِئْر الْمَذْكُورَة وَكَانَ يَسْتَعْذِب مِنْهَا وَحَفَرَ بِئْرًا أُخْرَى فَأَعَانَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرهَا[٢]. وفي هذا الكلام ما يبين احتساب مجموعة من الصحابة في هذا الجانب هم: عَلِيّ وَعَمَّار و جُبَيْر بْن إِيَاس الزُّرَقِيّ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى مَوْضِعه فِي بِئْر ذَرْوَان وقَيْس بْن مُحْصَن الزُّرَقِيّ، والْحَارِث بْن قَيْس الذي قال: يَا رَسُول اللَّه أَلَا يَهُور[٣] الْبِئْر».

.

(١) فتح الباري لابن حجر – (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر – (ج ١٦ / ص ٢٩٦).

(٣) يهور: انصدع من خلفه، وهو ثابت بعد مكانه فهو هائر هار، فإذا سقط شيء من أعلى جوف أو ركية في قعرها قيل تهور وتدهور.العين: للخليل ج١ص ٢٧٩.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على السحر والسحرة

تعليق علىٰ الاحتساب القولىٰ، كما احتسب الصحابة «رضوان الله عليهم» علىٰ السحر احتساباً عملياً وكما احتسبوا علىٰ السحر احتساباً عملياً، كذلك احتسبوا احتساباً قولياً فحذروا من السحر، وبينوا سوء عاقبته، وأفتوا بقتل الساحر، وحذروا من وسائل السحر وأدواته، كالنظر في النجوم، وككتابة حروف أبي جاد.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتفسيره الجبت بالسحر:

قَالَ عُمَرُ الْجِبْتُ السِّحْرُ وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ عِكْرِمَةُ الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ شَيْطَانٌ وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ[(١)]. فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحتسب علىٰ السحر فيبين أن ما جاء ذمه في كتاب الله في قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت أن الجبت هو السحر، وهذا ما لا يرضاه مؤمن بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من كمال نصحه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيانه خطورة السحر وأنه هو الجبت الذي ذمه الله.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتحذيره من استخدام أبي جاد في السحر:

عن ابن عباس قال: إن قوما ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد قال: أرىٰ أولئك قوما لا خلاق لهم[(٢)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٥/ ٢٤٠ رقم٢٥٦٤٨) الحكم علىٰ الإسناد: إسناده حسن. والله أعلم.

قال ابن حجر: وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ اِبْن عَبَّاس الزَّجْرُ عَنْ عَدِّ أَبِي جَاد وَالْإِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَة السِّحْر.[١].

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٤٦).

المبحث الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الكهانة والكهان وأعوانهم من الشياطين ومردة الجان

إن أول ركن من أركان الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأول ركن إفراد الله بما يختص به سبحانه، إنه أول الواجبات، إنه توحيد الله ، ومن توحيده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إيمان العبد بتفرده سبحانه بعلم الغيب، وقد قال الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فالغيب المطلق لا يعمله إلا عالم الغيب والشهادة سبحانه، لكن هناك أمور يعملها بعض خلق الله، ويجهلها آخرون، وهذا ما يعرف بالغيب النسبيٰ، فهناك أمور لم تعد غيباً مطلقا، بل أطلع الله الملائكة عليها، وأطلع الملائكة بعضهم بعضاً عليها فسمعها الجن، ولكن علمها غائب عن الأنس فينزل الشيطان الذيٰ استرق السمع فيحدث بها الإنسيٰ، فيكذب معها الإنسيٰ فيعتقد الناس فيه أنه يعلم الغيب لجهلهم بدين الله عَزَّوَجَلَّ، ولسذاجة تفكيرهم، تلك هي حقيقة الكهانة ، ولذا يقول العلماء هي ادعاء علم الغيب، إذ ما ألقاه الشيطان إليٰ الإنسيٰ ليس هو الغيب الذيٰ كفرو الله به، بل علمه خلق كثير من خلقه، ولكن لما كان الكاهن يجعل الناس يوهم الناس بعلمه الغيب، ويجعلهم يعتقدون فيه ذلك، يعتقدون مشاركته لله بهذا الذيٰ يختص به جاء الوعيد الشديد من (النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) علىٰ الكهانة حتىٰ أنه جعل السائل المصدق للكاهن كافراً به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما أنزل إليه وجعل السائل العابث اللاهىٰ مردود الصلاة أربعين

يومـًا. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أتىٰ عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علىٰ محمد(١). وعن نافع عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً(٢). هذا حال السائل فكيف حال الكاهن نفسه.

هذا شأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الكهان وعلىٰ، دربه سار الصحابة الكرام، فحذروا من الكهانة، وبينوا خطرها وضررها، وجاءوا يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، ويطلبون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حل إشكال وهو إخبارهم بأمور يجدها الناس بعد حين صدقـًا فبين لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصل الأمر فلم ينخدعوا بعد بما يقوله الكهان، وحذروا منهم، وحكوا حكايات حدثت لهم في الجاهلية ليكشفوا للناشئة والمسلمين الجدد حقيقة الكهانة، وأنهم لهوانها وهوان أصحابها تركوها وذلك حتىٰ لا يخدع الناشئة بذلك، وقد حاربوا ادعياء النبوة الذين كانت لهم توابع من الجن، ولم يهابوهم، بل نصرهم الله عليهم كما حدث مع الأسود والعنسىٰ وقتل الكرام في زمن الصحابة له وأن شيطانه لم يغن عنه شيئـًا، وأن كهانته لم تنجه، ولقد احتسبوا علىٰ ذلك كله رضوان الله عليهم كما أنهم قاوموا الشياطين وكان من الأعاجيب أن الله مكنهم من هؤلاء

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم٩١٧١- (ج ١٩ / ص ٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٠٤٧ - (ج ٣ / ص ٩٨).

(٢) رواه مسلم في كِتَاب السَّلاَمِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤١٣٧.

الشياطين فأسروهم حتىٰ افتدت الشياطين منهم بالعلم النافع الذىٰ أقرهم عليه الرسول الهادىٰ[١] وهذا من عجائب ذلك الجيل الميمون المبارك.

وفىٰ هذا البحث سنعرض لاحتسابهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الكهان وأعوانهم من الشياطين من خلال مطلبين:

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام علىٰ الكهان والكهان اللئام.

المطلب الثانىٰ: احتساب الصحابة علىٰ الشياطين.

والله نسأل الهداية والتوفيق والقبول.

(١) مضت قصة أبي هريرة وأسره الشيطان وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ما فعل أسيرك البارحة.

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام على الكهانة والكهان اللئام

كانت الكهانة منتشرة عند العرب وكان لكل قبيلة كاهن، وكان سدنة الأصنام كهانا لهم رئي من الجن، وكانت معهم شياطين تضلهم وتضل العباد وتخاطب الناس من الأوثان والقرابين، قال النووي: كَانَتْ الْكِهَانَة فَاشِيَة فِي الْعَرَب[١]

(١) هناك قصص كثيرة مشهورة في كتب السير، وإن لم تكن جارية علىٰ قواعد المحدثين في سلامة النقل، لكنها مشهورة ومذكورة في جل كتب السيرة، نذكر بعضها حكاية واستأناسا وليس استدلالا، فمنها: قصة هند لما ذهبت إلىٰ كاهن اليمن معروفة في السيرة النبوية وهي قصة تبين شأن الكهانة عندهم ومفزعهم إلىٰ الكهان عن حميد بن وهب قال: كانت هند بنت عتبة بن ربيعة قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة تغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه، وهند فيه، وخرج لبعض حاجاته، وأقبل رجل ممن كان يغشىٰ ذلك البيت فولجه، فلما رأىٰ المرأة ولىٰ هاربًا، فأبصره الفاكه، فانتهىٰ إليها، فوجدها راقدة فضربها برجله، وقال: من هذا الذي كان عندك. قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتىٰ أنبهتني، فقال لها؛ الحقي بأهلك، وتكلم فيها الناس، فخلا بها أبوها عتبة بن ربيعة، فقال لها: يا بنية، إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بذلك، فإن يكن الرجل صادقًا، دسست إليه من يقتله فتنقطع عنا القالة، وإن يكن كاذبًا حاكمته إلىٰ بعض كهان اليمن!! قال: فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية؛ أنه كاذبٌ، فقال عتبة للفاكه: إنك قد رميت ابنتي بأمرٍ عظيمٍ، فحاكمني إلىٰ بعض كهان اليمن.

فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنسُ بهن فلما أشرفوا علىٰ بلاد الكاهن، تنكر حال هند وتغير وجهها، فقال لها عتبة: يا بنية، إني قد رأيتُ ما بكِ من تغير الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فقالت: لا، واللّه يا أبتاه، ما ذاك لمكروه، ولكني أعرفُ أنكم ستأتون بَشَراً يخطئ ويصيب، فلا آمنه أن يَسِمَنِي بِسِيمَاءَ تكون عليَ سُبة في العرب آخر الدهر، فقال لها أبوها: إني سوف أستخبره لك قبل أن ينظر في أمرك، فصفر لفرسه حتىٰ أدلىٰ ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأَوْكَأَ عليها بسير، وصبحوا الكاهن

حَتَّىٰ قُطِعَ بَيْن الشَّيَاطِين وَبَيْن صُعُود السَّمَاء وَاسْتِرَاق السَّمْع، كَمَا أَخْبَرَ اللَّه تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[1]

وقد جاء في البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن كل قبيلة كان فيها كاهن.

تحذير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الكهانة:

لقد احتسب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الكهانة والكهان، وأخبر أن العرافة كهانة، وحذر من إتيان الكهان وقال محتسبا كما جاء عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ

فنحر لهم وأكرمهم، فلما تغدوا، قال له عتبة: إنا جئناك لأمرٍ وقد خبأت لك خبيئة أختبرك بها فانظر ما هو، قال الكاهن: بُرة في كمرة، قال عتبة: أريد أبين مِن هذا، قال: حبة بر في إحليل مهر، فقال عتبة: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهنَ ويضربُ كتفها ويقول: انهضي، حتىٰ دنا من هند فضرَبَ كتفها، وقال: انهضي غَيْرَ وسخاء ولا زانية، وستلدينَ ملكًا يقال له معاوية، فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنترتْ يدها من يده، وقالت: إليك عني، فواللِّه، لأحرصن أن يكون من غيرك، فتزوَجها أبو سفيان، فجاءت منه بمعاوية بن أبي سفيان.(سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - (ج ٢ / ص ٤٧) وقصة شطيح وشق أيضا مشهورة في كتب السيرة النبوة كما ورد قصص كثير حول الكهانة عند العرب، وكانت بعض الجن تبشر بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا الذي كان يذكر بعضه من أسلم من هؤلاء الكهان، من ذلك ما جاء في عيون الأثر عن جنب جنبا وهي بطن من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشر في العرب قالت له جنب أنظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا إليه في أسفل جبل فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا علىٰ قوس له فرفع رأسه إلىٰ السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء. والاخبار في هذا كثيرة.، (عيون الأثر - (ج ١ / ص ١٠٩).

(١) شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٢ / ص ١٩٧).

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَّافِينَ كُهَّانُ الْعَجَمِ، فَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا يُؤْمِنُ لَهُ بِمَا يَقُولُ فَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»[١].

نقل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يبين عاقبة الكهانة:

ذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاقبة الكهانة وأنها خروج عن دين النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفر به قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُول فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّد[٢].

سؤال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكهانة:

إن من احتساب الصحابة علىٰ الكهانة والكهان حرصهم علىٰ سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكهان وحكم إتيانهم وعن سبب صدقهم، فقد سأل معاوية بن الحكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إتيان الكهان فنهاهم وحرم ذلك عليهم، وسأل ربيعة بن كعب الأسلمي النبي كذلك، ذكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ناسا سألوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك فيبن لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيان المبين. أخرج البخاري من حديث عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٥/ ٤٢رقم٤٣٥٢٥) وفي المسند(٧/ ٣٩١رقم٢٣٩٩١) الحكم علىٰ الإسناد: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبويعلىٰ في مسنده(٩/ ٢٨٠رقم٥٤٠٨)إسناده حسن، قال ابن حجر: في فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩١)أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَىٰ مِنْ حَدِيث اِبْن مَسْعُود بِسَنَدٍ جَيِّد.

يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ[١] [٢].

اعتزال الكهان والبعد عنهم:

هذا أيضا جانب من جوانب احتساب الصحابة علىٰ الكهان إذ كانوا ينفرون منهم، ويتجنبون مخالطتهم، وفي ذلك حماية للعقيدة لئلا ينخدع بهم ضعاف الإيمان والعقول، ولئلا يخلوا الشبه علىٰ العباد فإن الشبه خطافة والقلوب ضعيفة كما هي وصية السلف، ففي البعد عنهم سلامة الدين والدنيا، كما وأن مجانبتهم نوع من العقوبة والتربية لهم علهم يعودون إلىٰ رشدهم، ويتوبون وقد كان الصحابة ينفرون من ابن صياد ذلك الكاهن الدجال، والذي شك النبي في أمره وظن أنه الدجال وذهب يتحسس أخباره مع جمع من أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم، وكان الصحابة أيضا يشكون في أمره واختلفوا في أمره فمنهم من رآه الدجال الأكبروكان يحلف علىٰ ذلك كعمر الذي حلف بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجابر الذي كان يراه الدجال الأكبر وبعضهم توقف في أمره، لكن عمله بالكهانة أمر متفق عليه معلوم، فقد كان كاهنا لا يشك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وما يشك الصحابة، بل كان هو يتعاطىٰ الكهانة، وكانت له ههمهمة وزمزمة، فكان اشتغاله بالكهانة سبب للاعتقاد أنه الدجال، فتحاشاه أصحاب

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الْمَعَارِيضُ حديث رقم٥٧٤٥، ومسلم في كِتَاب السَّلاَمِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ حديث رقم٤١٣٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر (ج ١٦ / ص ٢٩٤).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وحدث أبا سعيد الخدري بقتل نفسه، وهذا درس للمحتسبين وللموحدين ألا يجالسوا هؤلاء، وألا يصاحبوهم، وأن يفروا منهم فرارهم من الأسد، بل أعظم من فرارهم من الأسد؛ لأن الأسد قد يذهب بالحياة الدنيا أما هؤلاء فهم يذهبون بالدنيا والآخرة.

أخرج مسلم من حديث عن ابىٰ سعيد الخدرىٰ قال صحبت ابن صائد إلىٰ مكة فقال لىٰ اما قد لقيت من الناس يزعمون أنىٰ الدجال ألست سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول انه لا يولد له قال قلت بلىٰ قال فقد ولد لىٰ أو ليس سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لا يدخل المدينة ولا مكة قلت بلىٰ قال فقد ولدت بالمدينة وهذا انا اريد مكة قال ثم قال لىٰ في آخر قوله اما والله انىٰ لاعلم مولده ومكانه وأين هو قال فلبسني[1]، فابن صياد ومع سوقه أدلته علىٰ أنه ليس هو الدجال كان الصحابة يتحاشونه ويبتعدون عنه فإن لم يكن هو الدجال الأكبر فإنه لكاهن يزمزم وله رئي من الجن من غير شك منهم في ذلك ولا نكير من ابن صياد نفسه.

وفي رواية عن أبي سعيد أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صائد قال فنزلنا منزلا فتفرق الناس وبقيت انا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعىٰ فقلت: إن الحر شديد

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث رقم٥٢٠٩.

فلو وضعته تحت تلك الشجرة قال ففعل قال فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعس[١] فقال اشرب ابا سعيد فقلت ان الحر شديد واللبن حار مابىٰ الا انىٰ اكره ان اشرب عن يده أو قال آخذ عن يده فقال ابا سعيد لقد هممت ان آخذ حبلا فاعلقه بشجرة ثم اختنق مما يقول لىٰ الناس يا ابا سعيد من خفىٰ عليه حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما خفىٰ عليكم معشر الانصار ألست من اعلم الناس بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أليس قد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كافر وانا مسلم أو ليس قد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدىٰ بالمدينة أو ليس قد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة وانا اريد مكة قال أبو سعيد الخدرىٰ حتىٰ كدت ان اعذره ثم قال اما والله انىٰ لاعرفه واعرف مولده واين هو الآن قال قلت له تبا لك سائر[٢]، اليوم .يبين ابن صياد هنا ما وصل إليه حاله وما وصلت إليه نفسه من الضيق لابتعاد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا درس لكل محتسب ولكل موحد ألا يكون له من هؤلاء خليلا ولا مجالسا ولا مؤاكلا، وقد تحاشىٰ أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يشرب من يديه شربة لبن، وكره الجلوس معه وقد جمعته الطريق علىٰ غير اختيار منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الكشميري: قوله: وقد ثبت ذهاب ابن الصياد إلىٰ مكة مع أبي سعيد في حديث الباب، وثبت بسند صحيح أن ابن عمر

(١) بعس: بضم العين، وهو: القدح الكبير. تبا: أي: خسرانا وهلاكا، وهو منصوب بفعل واجب الاضمار.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد حديث رقم٥٢١١.

غضب علىٰ ابن صياد وضربه بالعصا.

قوله: (لا تحل له مكة إلخ) قيل: إن المراد به عدم دخوله مكة والمدينة هو بعد خروجه دجالاً، ويجوز دخوله قبل الخروج ولكن الأرجح أن ابن الصياد ليس بالدجال الكبير الموعود، نعم أحواله مختلطة ومشبهة مع أحوال الدجال الكبير ولعله دجال صغير.

قوله: (تنام عيناه إلخ) هذه علامة الكاهن.قوله: (له همهمة إلخ) هذه أيضاً من علامات الكهانة [١].

عمر وسواد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والاحتساب بكشف الكهانة:

لقد احتسب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الكهانة فكشفوها للناس وبينوا اعتمادها علىٰ الجن، وأنها ليست بعلم غيب، وأن أمرها في غاية الهوان وأنهم من هوانها تركوها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقنعوا بما جاء به الإسلام، جاء في صحيح البخاري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ فَقَالَ لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَىٰ دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ عَلَيَّ الرَّجُلَ فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَالَ فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي قَالَ كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ فَقَالَتْ أَلَمْ تَرَ

(١) العرف الشذي للكشميري - (ج ٣ / ص ٣٦٥)، مطبعة سعيد كميني، باكستان.

الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا قَالَ عُمَرُ صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُولُ يَا جَلِيحُ أَمْرٌ نَجِيحٌ رَجُلٌ فَصِيحٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَوَثَبَ الْقَوْمُ قُلْتُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا ثُمَّ نَادَىٰ يَا جَلِيحُ أَمْرٌ نَجِيحٌ رَجُلٌ فَصِيحٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيٌّ[1].

قال ابن حجر: قَوْله: (إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُل جَمِيل) هُوَ سَوَاد -بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَتَخْفِيف الْوَاو وَآخِره مُهْمَلَة- اِبْن قَارِب بِالْقَافِ وَالْمُوَحَّدَة، وَهُوَ سَدُوسِيّ أَوْ دُوسِيّ. وَقَدْ أَخْرَجَ اِبْن أَبِي خَيْثَمَةَ وَغَيْره مِنْ طَرِيق أَبِي جَعْفَر الْبَاقِر قَالَ: « دَخَلَ رَجُل يُقَال لَهُ سَوَاد بْن قَارِب السَّدُوسِيّ عَلَىٰ عُمَر، فَقَالَ. يَا سَوَاد أَنْشُدك اللَّه، هَلْ تُحْسِن مِنْ كِهَانَتك شَيْئًا « فَذَكَرَ الْقِصَّة. وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِم وَغَيْرهمَا مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ قَالَ: « بَيْنَمَا عُمَر قَاعِد فِي الْمَسْجِد « فَذَكَرَ مِثْل سِيَاق أَبِي جَعْفَر وَأَتَمّ مِنْهُ، وَهُمَا طَرِيقَانِ مُرْسَلَانِ يُعَضِّد أَحَدهمَا الْآخَر. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيّ فِي تَارِيخه وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيق عَبَّاد بْن عَبْد الصَّمَد عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَالَ: «أَخْبَرَنِي سَوَاد بْن قَارِب قَالَ: كُنْت نَائِمًا» فَذَكَرَ قِصَّته الْأُولَىٰ دُون قِصَّته مَعَ عُمَر. وَهَذَا إِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَلَىٰ تَأَخُّر وَفَاته، لَكِنَّ عَبَّادًا ضَعِيف. وَلِابْنِ شَاهِينَ مِنْ طَرِيق أُخْرَىٰ ضَعِيفَة عَنْ أَنَس قَالَ: «دَخَلَ رَجُل مِنْ دَوْس يُقَال لَهُ

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) حديث رقم ٣٥٧٧.

سَوَاد بْن قَارِب عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « فَذَكَرَ قِصَّته أَيْضًا، وَهَذِهِ الطُّرُق يَقْوَىٰ بَعْضهَا بِبَعْضٍ، وَلَهُ طُرُق أُخْرَىٰ سَأَذْكُرُ مَا فِيهَا مِنْ فَائِدَة.

قَوْله: (لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي) فِي رِوَايَة اِبْن عُمَر عِنْد الْبَيْهَقِيّ « لَقَدْ كُنْت ذَا فَرَاسَة، وَلَيْسَ لِي الْآن رَأْي إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُل يَنْظُر فِي الْكِهَانَة «.(عَلَىٰ دِين قَوْمه فِي الْجَاهِلِيَّة) اَيْ مُسْتَمِرّ عَلَىٰ عِبَادَة مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. (أو لَقَدْ كَانَ كَاهِنهمْ) أَيْ كَانَ كَاهِن قَوْمه. وَحَاصِله أَنَّ عُمَر ظَنَّ شَيْئًا مُتَرَدِّدًا بَيْن شَيْئَيْنِ أَحَدهمَا يَتَرَدَّد بَيْن شَيْئَيْنِ كَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا الظَّنّ إِمَّا خَطَأ أَوْ صَوَاب فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَهَذَا الْآن إِمَّا بَاقٍ عَلَىٰ كُفْره وَإِمَّا كَانَ كَاهِنًا، وَقَدْ أَظْهَرَ الْحَال الْقِسْم الْأَخِير، وَكَأَنَّهُ ظَهَرَتْ لَهُ مِنْ صِفَة مَشْيه أَوْ غَيْر ذَلِكَ قَرِينَة أَثَّرَتْ لَهُ ذَلِكَ الظَّنّ، فَاَللَّه أَعْلَم.قَوْله: (عَلَيَّ الرَّجُل) بِالنَّصْبِ أَيْ أَحْضِرُوهُ إِلَيَّ وَقَرِّبُوهُ مِنِّي.قَوْله: (فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ) أَيْ مَا قَالَهُ فِي غَيْبَته مِنْ التَّرَدُّد. وَفِي رِوَايَة مُحَمَّد بْن كَعْب « فَقَالَ لَهُ فَأَنْتَ عَلَىٰ مَا كُنْت عَلَيْهِ مِنْ كِهَانَتك « فَغَضِبَ، وَهَذَا مِنْ تَلَطُّف عُمَر، لِأَنَّهُ اِقْتَصَرَ عَلَىٰ أَحْسَن الْأَمْرَيْنِ. قَوْله: (مَا رَأَيْت كَالْيَوْمِ) أَيْ رَأَيْت شَيْئًا مِثْل مَا رَأَيْت الْيَوْم.قَوْله: (اُسْتُقْبِلَ)بِضَمِّ التَّاء عَلَىٰ الْبِنَاء لِلْمَجْهُولِ.قَوْله: (رَجُل مُسْلِم) وَبَيَّنَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي رِوَايَة مُرْسَلَة « قَدْ جَاءَ اللَّه بِالْإِسْلَامِ، فَمَا لَنَا وَلِذِكْرِ الْجَاهِلِيَّة «.قَوْله: (فَإِنِّي أَعْزِم عَلَيْك) أَيْ أُلْزِمُك، وَفِي رِوَايَة مُحَمَّد بْن كَعْب « مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ الشِّرْك أَعْظَم مِمَّا كُنْت عَلَيْهِ مِنْ كِهَانَتك «.قَوْله: (إِلَّا أَخْبَرْتنِي) أَيْ مَا أَطْلُب مِنْك إِلَّا الْإِخْبَار.قَوْله: (كُنْت كَاهِنهمْ فِي الْجَاهِلِيَّة)والْكَاهِن الَّذِي يَتَعَاطَىٰ الْخَبَر مِنْ الْأُمُور الْمُغَيَّبَة،

وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة كَثِيرًا، فَمُعْظَمهمْ كَانَ يَعْتَمِد عَلَىٰ تَابِعه مِنْ الْجِنّ، وَبَعْضهمْ كَانَ يَدَّعِي مَعْرِفَة ذَلِكَ بِمُقَدِّمَاتِ أَسْبَاب يَسْتَدِلّ بِهَا عَلَىٰ مَوَاقِعهَا مِنْ كَلَام مَنْ يَسْأَلهُ، وَهَذَا الْأَخِير يُسَمَّىٰ الْعَرَّاف بِالْمُهْمَلَتَيْنِ. وَلَقَدْ تَلَطَّفَ سَوَاد فِي الْجَوَاب إِذْ كَانَ سُؤَال عُمَر عَنْ حَاله فِي كِهَانَته إِذْ كَانَ مِنْ أَمْر الشِّرْك، فَلَمَّا أَلْزَمهُ أَخْبَرَهُ بِآخِرِ شَيْء وَقَعَ لَهُ لِمَا تَضَمَّنَ مِنْ الْإِعْلَام بِنُبُوَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِ.

قَوْله: (جِنِّيَّتك) بِكَسْرِ الْجِيم وَالنُّون الثَّقِيلَة أَيْ الْوَاحِدَة مِنْ الْجِنّ كَأَنَّهُ أَنْتَ تَحْقِيرًا، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون عَرَفَ أَنَّ تَابِع سَوَاد مِنْهُمْ كَانَ أُنْثَىٰ، أَوْ هُوَ كَمَا يُقَال تَابِع الذَّكَر يَكُون أُنْثَىٰ وَبِالْعَكْسِ.قَوْله: (أَلَمْ تَرَ الْجِنّ وَإِبْلَاسهَا)، أَيْ أَنَّهَا فَقَدَتْ أَمْرًا فَشَرَعَتْ تُفَتِّش عَلَيْهِ.قَوْله: (وَيَأْسهَا مِنْ بَعْد إِنْكَاسِهَا) الْيَأْس بِالتَّحْتَانِيَّةِ ضِدّ الرَّجَاء وَالْإِنْكَاس الِانْقِلَاب، قَالَ اِبْن قَارِس: مَعْنَاهُ أَنَّهَا يَئِسَتْ مِنْ اِسْتِرَاق السَّمْع بَعْد أَنْ كَانَتْ قَدْ أَلِفَتْهُ، فَانْقَلَبَتْ عَنْ الِاسْتِرَاق قَدْ يَئِسَتْ مِنْ السَّمْع، وَوَقَعَ فِي شَرْح الدَّاوُدِيّ بِتَقْدِيمِ السِّين عَلَىٰ الْكَاف، وَفَسَّرَهُ بِأَنَّهُ الْمَكَان الَّذِي أَلِفَتْهُ، قَالَ: وَوَقَعَ فِي رِوَايَة « مِنْ بَعْد إِينَاسِهَا « أَيْ أَنَّهَا كَانَتْ أَنِسَتْ بِالِاسْتِرَاقِ، وَلَمْ أَرَ مَا قَالَهُ فِي شَيْء مِنْ الرِّوَايَات، وَقَدْ شَرَحَ الْكَرْمَانِيُّ عَلَىٰ اللَّفْظ الْأَوَّل الَّذِي ذَكَرَهُ الدَّاوُدِيّ وَقَالَ: الْإِنْسَاك جَمْع نُسُك، وَالْمُرَاد بِهِ الْعِبَادَة، وَلَمْ أَرَ هَذَا الْقَسِيم فِي غَيْر الطَّرِيق الَّتِي أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيّ. وَزَادَ فِي رِوَايَة الْبَاقِر وَمُحَمَّد بْن كَعْب وَكَذَا عِنْد الْبَيْهَقِيِّ مَوْصُولًا مِنْ حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب بَعْد قَوْله « وَأَحْلَاسهَا «:

تَهْوِي إِلَى مَكَّة تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْل أَرْجَاسِهَا
فَاسْم إِلَى الصَّفْوَة مِنْ هَاشِم وَاسْم بِعَيْنَيْك إِلَى رَأْسِهَا

وَفِي رِوَايَتهمْ أَنَّ الْجِنِّيّ عَاوَدَهُ ثَلَاث لَيَالٍ يَنْشُدهُ هَذِهِ الْأَبْيَات مَعَ تُغَيِّر قَوَافِيهَا.

وَفِي الرِّوَايَة الْمُرْسَلَة قَالَ: «فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي حَتَّىٰ وَقَعْت»، وَعِنْدهمْ جَمِيعًا أَنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ تَوَجَّهَ إِلَىٰ مَكَّة فَوَجَدَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ هَاجَرَ، فَأَتَاهُ فَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا يَقُول فِيهَا:

أَتَانِي رُئًى بَعْد لَيْل وَهَجْعَة وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْت بِكَاذِبِ
ثَلَاث لَيَالٍ قَوْله كُلّ لَيْلَة أَتَاك نَبِيّ مِنْ لُؤَيّ بْن غَالِب

ويَقُول فِي آخِرهَا:

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْم لَا ذُو شَفَاعَة سِوَاك بِمُغْنٍ عَنْ سَوَاد بْن قَارِب

وَفِي آخِر الرِّوَايَة الْمُرْسَلَة «فَالْتَزَمَهُ عُمَر وَقَالَ: لَقَدْ كُنْت أُحِبّ أَنْ أَسْمَع هَذَا مِنْك».

(قَالَ عُمَر: صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا عِنْد آلِهَتهمْ) ظَاهِر هَذَا أَنَّ الَّذِي قَصَّ الْقِصَّة الثَّانِيَة هُوَ عُمَر، وَفِي رِوَايَة اِبْن عُمَر وَغَيْره أَنَّ الَّذِي قَصَّهَا هُوَ سَوَاد بْن قَارِب، وَلَفْظ اِبْن عُمَر عِنْد الْبَيْهَقِيّ قَالَ: « لَقَدْ رَأَىٰ عُمَر رَجُلًا - فَذَكَرَ الْقِصَّة - قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ بَعْض مَا رَأَيْت، قَالَ: إِنِّي ذَات لَيْلَة بِوَادٍ إِذْ سَمِعْت صَائِحًا يَقُول: يَا جَلِيحْ، خَبَرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يَقُول لَا إِلَه إِلَّا اللَّه. عَجِبْت لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسهَا « فَذَكَرَ

الْقِصَّة، ثُمَّ سَاقَ مِنْ طَرِيق أُخْرَىٰ مُرْسَلَة قَالَ: « مَرَّ عُمَر بِرَجُلٍ فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ هَذَا كَاهِنًا « الْحَدِيث وَفِيهِ « فَقَالَ عُمَر أَخْبِرْنِي، فَقَالَ: نَعَمْ، بَيْنَا أَنَا جَالِس إِذْ قَالَتْ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الشَّيَاطِين وَإِبْلَاسهَا « الْحَدِيث « قَالَ عُمَر: اللَّه أَكْبَر، فَقَالَ: أَتَيْت مَكَّة فَإِذَا بِرَجُلٍ عِنْد تِلْكَ الْأَنْصَاب « فَذَكَرَ قِصَّة الْعِجْل، وَهَذَا يَحْتَمِل فِيهِ مَا اُحْتُمِلَ فِي حَدِيث الصَّحِيح أَنْ يَكُون الْقَائِل « أَتَيْت مَكَّة « هُوَ عُمَر أَوْ صَاحِب الْقِصَّة.

(تَنْبِيهَانِ):

أَحَدهمَا: ذَكَرَ اِبْن التِّين أَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ سَوَاد بْن قَارِب مِنْ الْجِنِّيّ كَانَ مِنْ أَثَر اِسْتِرَاق السَّمْع، وَفِي جَزْمه بِذَلِكَ نَظَر، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَثَر مَنْع الْجِنّ مِنْ اِسْتِرَاق السَّمْع، وَيُبَيِّن ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّف فِي الصَّلَاة وَيَأْتِي فِي تَفْسِير سُورَة الْجِنّ عَنْ اِبْن عَبَّاس « أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بُعِثَ مَنَعَ الْجِنّ مِنْ اِسْتِرَاق السَّمْع، فَضَرَبُوا الْمَشَارِق وَالْمَغَارِب يَبْحَثُونَ عَنْ سَبَب ذَلِكَ، حَتَّىٰ رَأَوْا النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاة الْفَجْر» الْحَدِيث.

(التَّنْبِيه الثَّانِي):

لَمَّحَ الْمُصَنِّف بِإِيرَادِ هَذِهِ الْقِصَّة فِي «بَاب إِسْلَام عُمَر» بِمَا جَاءَ عَنْ عَائِشَة وَطَلْحَة عَنْ عُمَر مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّة كَانَتْ سَبَب إِسْلَامه.، فَرَوَىٰ أَبُو نُعَيْم فِي «الدَّلَائِل» أَنَّ أَبَا جَهْل « جَعَلَ لِمَنْ يَقْتُل مُحَمَّدًا مِائَة نَاقَة، قَالَ عُمَر: فَقُلْت لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَم آلضَّمَان صَحِيح؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَتَقَلَّدْت سَيْفِي أُرِيدهُ، فَمَرَرْت عَلَىٰ

عِجْل وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَذْبَحُوهُ، فَقُمْت أَنْظُر إِلَيْهِمْ، فَإِذَا صَائِح يَصِيح مِنْ جَوْف الْعِجْل: يَا آلَ ذَرِيح، أَمْر نَجِيح، رَجُل يَصِيح بِلِسَانٍ فَصِيح. قَالَ عُمَر: فَقُلْت فِي نَفْسِي إِنَّ هَذَا الْأَمْر مَا يُرَاد بِهِ إِلَّا أَنَا، قَالَ فَدَخَلْت عَلَىٰ أُخْتِي فَإِذَا عِنْدهَا سَعِيد بْن زَيْد « فَذَكَرَ الْقِصَّة فِي سَبَب إِسْلَامه بِطُولِهَا، وَتَأَمَّلْ مَا فِي إِيرَاده حَدِيث سَعِيد بْن زَيْد الَّذِي بَعْد هَذَا. [1].

ويمكن أن يؤخذ من قول سواد: (جاء الاسلام) عدم اعتداد الصحابة بأمر الكهانة بعد الاسلام، وإن كان لهم معها تجارب صدق ومواقف محمودة لهم، كانت سببا في هدايتهم إلىٰ الاسلام، واراد عمر أن يسمع الناس هذا، وأن يعتبروا، وأن يكونوا علىٰ علم ومعرفة بهذه الامور حتىٰ يحذروها، ولا يسبب ذلك فتنة كما يحدث الان من أمر ما يسمىٰ بالنبوءات والتوقعات ولذلك قرنها عمر بأمر الشرك فقال ما كنا عليه من الشرك أشد، وهو الذي قال: قد علمت ورب الكعبة متىٰ تهلك العرب، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: متىٰ يهلمون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية، ولم يصحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2]، ويذكره كثير من أهل العلم بلفظ: إنما تنقض عرىٰ الاسلام عروة عروة اذا نشا في الاسلام من لا يعرف الجاهلية).

ومن هذا الباب أيضا (خبر مازن بن الغضوبة) الذي جاء في كتب السير عن

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، ج١٠ص٢٨حديث ٧١١٩ والأثر صحيح.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) حديث رقم ٣٥٧٧.

عبدالله العماني عن مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن صنما بسمال قرية بعمان فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهيٰ الذبيحة فسمعنا صوتا من الصنم يقول: يا مازن إسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبيٰ من مضر بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر[١].

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحذر الشديد من كسب الكهان:

لقد جرىٰ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة تبين مدىٰ حرص أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ البعد عن الكهانة، والحذر من كسب من يتكهن، وهو نوع من الاحتساب العملي، الذي فيه ردع لهؤلاء الكهان وهو من نوع الابتعاد عن هؤلاء والحذر منهم والحذر من مخالطتهم، وذوق طعامهم، وخاصة إذا كان هذا العزوف عن طعامهم من خيار عباد الله، وان هؤلاء يتبعه ما يكون فيه من إجابة دعوة فإذا تكهن متكهن لم يذهب الناس إليه في وليمة ولا عقيقة ولا يستجيب أحد لدعوته ممن يحب الله تعالىٰ وسوله ويعظمهما، وكذا رد هداياه وعطاياه فيصير منبوذا، أخرج البخاري عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ قَالَ كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ

(١) القصة طويلة في عيون الأثر - (ج ١ / ص ١٠٤).

شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ [١].

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيانه خطر الكهانة:

عن عبد الله بن مسعود قال من أتىٰ ساحرا أو كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢].

قتال الصحابة لأدعياء النبوة، وهم كهان لهم رئي من الجن:

لقد قاتل الصحابة رضوان الله عليهم إدعياء النبوة وهم كانوا كهانا تعينهم الجن وتضلهم وتضل بهم، ذكر سيف بن عمر عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال: أول ردة كانت من الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الخمار لأنه زعم أن الذي يأتيه ذو خمار. ومسيلمة اسمه ثمامة بن قيس، وكان يقال له رحمان، لأن الذي كان يأتيه يزعمه رحمان. وطليحة بن خويلد الأسدي كان يقال: إن الذي يأتيه ذو النون. وكلهم ظهر قبل وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، حديث رقم ٣٥٥٤.
(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٦) تقدم تخريجه.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم على الشياطين أعوان السحرة والكهان والعرافين

لقد كان أمر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عجيبا، لقد قاموا بأمر الله كما يحب، وساروا علىٰ درب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يجب، فأمدهم الله بمدد منه تعالىٰ، ومكن لهم في الأرض لما سعوا لتمكين دينه في الأرض فسخر لهم البحر يسيرون عليه وأسمع أصواتهم علىٰ بعد المسافة كما في قول عمر يا سارية الجبل، وغير ذلك من الأمور التي أكرمهم الله به إذ أكرموا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقدموه علىٰ كل أحد حتىٰ علىٰ نفوسهم وآبائهم وامهاتهم وفلذات أكبادهم وبذلوا مهجهم في حبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطوا كل طريف وتالد لنصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان من هذه الأمور العجيبة أن مكنهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشياطين، نعم أيها المحتسب السائر علىٰ درب النبي وصحبه الكرام، لقد أسر الصحابة الشياطين، وهؤلاء الشياطين يعينون السحرة ويعينون الكهان وقد يسرقون أموال الناس ويفسدونها، لقد أسر الصحابة الشياطين الذين أرادوا أن يسرق الأموال أو يفسدوها، فانظر يا رعاك الله أولئك سلفك الصالح بإيمانهم القوي استطاعوا أسر الشياطين الذين هم أعوان السحرة والكهان، والذين هم أولياء أولئك الأشرار ومع ذلك غلبوهم فكيف يعجز المحتسب المجاهد والمؤمن الموحد عن هزيمة أتباعهم من السحرة والكهان.

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأسر الشيطان السارق أموال الزكاة:

لقد تعلم المسلمون من قصة أبي هريرة دروسا عظيمة، منها شدة إيمان الصحابة وعظيم تصديقهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقينهم في خبره وتعلم المسلمون قوة إيمان الصحابة وعظيم جهادهم حتىٰ علىٰ الجن، وأن الجن هزموا من الصحابة بل وأسروا، ثم علمت القصة المسلمين ما يتحصنون به من شياطين الإنس وشياطين الجن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ

يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَىٰ الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ[1].

أسر أبي أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للجن المفسد تمره:

كما أسر أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك الشيطان الذي كان يسرق من أموال الصدقة، فإن أبا أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أسر أيضا شيطانا كان يفسد تمره، وقد امره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان يكمن لها ثم يعزم عليها إجابة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكمن له ثم مكنه الله منه لكنها دله علىٰ ما يحصن به نفسه وماله فتركه وأخبر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في سنن الترمذي من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا

(١) صحيح البخاري (كتاب الزكاة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلىٰ أجل مسمىٰ جاز ٣/ ١٠١ رقم ٢٣١١).

تَمْرٌ فَكَانَتْ تَجِيءُ الْغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ قَالَ فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا فَجَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ فَأَخَذَهَا فَقَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِكَ حَتَّىٰ أَذْهَبَ بِكَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ قَالَ فَجَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قَالَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ قَالَ صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن: ٥/ ٩رقم٢٨٨٠) قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره. (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٨٧رقم١٤٦٩) في هامش مصنف عبد الرزاق - (ج ٥ / ص ١٦٠) » غول « وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءىٰ للناس فتتغول تغولا، أي تتلون تلونا في صور شتىٰ، وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: « لا غول ولا صفر « وأبطله، وقيل قوله: « لاغول « ليس نفيا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنىٰ بقوله: « لا غول « أنها لا تستطيع أن تضل أحدا، ويشهد له الحديث « لا غول ولكن السعالىٰ « والسعالىٰ سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل. النهاية ٣: ١٩٠ وفي صحيح مسلم من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا عَدْوَىٰ وَلَا صَفَرَ وَلَا غُولَ وَسَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ أَنَّ جَابِرًا فَسَّرَ لَهُمْ قَوْلَهُ وَلَا صَفَرَ فَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ الصَّفَرُ الْبَطْنُ فَقِيلَ لِجَابِرٍ كَيْفَ قَالَ كَانَ يُقَالُ دَوَابُّ الْبَطْنِ قَالَ وَلَمْ يُفَسِّرْ الْغُولَ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ هَذِهِ الْغُولُ الَّتِي تَغَوَّلُ.وفي مسند أحمد - (ج ٣٠ / ص ١٢٠)و سَمِعْت أَبَا الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ أَنَّ جَابِرًا فَسَّرَ لَهُمْ

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كَانَ لِي نَخْلٌ فِي سَهْوَةٍ لِي، فَجَعَلْتُ أَرَاهُ يَنْقُصُ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ غَدًا هِرَّةً فَقُلْ: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَجَدْتُ فِيهِ هِرَّةً، فَقُلْتُ: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَحَوَّلَتْ عَجُوزًا، وَقَالَتْ: أُذَكِّرُكَ اللَّهَ لَمَا تَرَكْتَنِي، فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدَةٍ، فَتَرَكْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ وأَسِيرُهُ؟، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَهَا، فَقَالَ: كَذَبَتْ هِيَ عَائِدَةٌ، فَقُلْ لَهَا: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَحَوَّلَتْ عَجُوزًا، فَقَالَتْ: أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا أَبَا أَيُّوبَ لَمَا تَرَكْتَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَإِنِّي غَيْرُ عَائِدَةٍ فَتَرَكْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي كَمَا قَالَ لِي، فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَتْ لِي فِي الثَّالِثَةِ: أُذَكِّرُكَ اللَّهَ يَا أَبَا أَيُّوبَ لَمَا تَرَكْتَنِي حَتَّىٰ أُعَلِّمَكَ شَيْئًا لا يَسْمَعُهُ شَيْطَانٌ فَيَدْخُلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَقُلْتُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَتْ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، لا يَسْمَعُهَا شَيْطَانٌ إِلا ذَهَبَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: صَدَقَتْ وَإِنْ كَانَتْ كَذُوبًا[1].

وفي رواية عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: أَصَبْتُ جِنِّيَّةً، فَقَالَتْ لِي: دَعْنِي وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ أُعَلِّمَكَ شَيْئًا إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ مِنَّا أَحَدٌ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَتْ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[2] فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

قَوْلُهُ لَا صَفَرَ فَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ الصَّفَرُ الْبَطْنُ قِيلَ لِجَابِرٍ كَيْفَ هَذَا الْقَوْلُ فَقَالَ دَوَابُّ الْبَطْنِ قَالَ وَلَمْ يُفَسِّرْ الْغُولَ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ مِنْ قِبَلِهِ هَذَا الْغُولُ الشَّيْطَانَةُ الَّتِي يَقُولُونَ.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - (٤/ ١٦٢ رقم٣٩١٣).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

صَدَقَتْ وَهِي كَذُوبٌ [١].

وفي رواية عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: كُنْتُ مُؤْذِنًا بِسَامِرِ الْبَيْتِ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ رَوْزَنَةٌ فِي بَيْتٍ لَنَا، فَقَالَ: ارْصُدْهُ فَإِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ شَيْئًا، فَقُلْ: اخْسَ يَدْعُوكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَرَصَدْتُ فَإِذَا شَيْءٌ قَدْ تَدَلَّىٰ مِنْ رَوْزَنَةٍ، فَوَثَبْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ: اخْسَ يَدْعُوكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذْتُهُ، فَتَضَرَّعَ إِلَيَّ، وَقَالَ لِي: لا أَعُودُ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي كَانَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَعُودُ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ آخُذُهُ وَأُخْبِرُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي كَانَ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِمُفَارِقِي حَتَّىٰ آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَاشَدَنِي وَتَضَرَّعَ إِلَيَّ، وَقَالَ: أُعَلِّمُكَ شَيْئًا إِذَا قُلْتَهُ مِنْ لَيْلَتِكَ لَمْ يَقْرَبْكَ جَانٌّ وَلا لِصٌّ، قَالَ: تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاشَدَنِي وَتَضَرَّعَ إِلَيَّ حَتَّىٰ رَحِمْتُهُ وَعَلَّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَقْرَبْنِي جِنٌّ وَلا لِصٌّ، قَالَ: صَدَقَ وَإِنْ كَانَ كَذُوبًا[٢].

ابن عباس وبيانه أن الذهاب الى الكهان تحاكم الى الطواغيت:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٢٠رقم ٤٠١٣).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٢٠رقم ٤٠١٤)تقدم تخريجه.

فتنافروا إليه أناس من أسلم من اليهود فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1].

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٣رقم ١٢٠٤٥) قال السيوطي في الدر المنثور(٢/ ٥٨٠) أخرج ابْن أبي حَاتِم وَالطَّبَرَانِيّ بِسَنَد صَحِيح عَن ابْن عَبَّاس. جاء في أثر ضعيف بيان أبي الدرداء لسوء عاقبة الكهانة، نسوقه علىٰ سبيل الحكاية لا الاستدلال.عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء، قال: « إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرىٰ الخير يعطه، ومن يتوقىٰ الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلىٰ: من تكهن أو استقسم، أو رجع من سفره طيرة » أخرجه أخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ»: (صـ: ٢٧٠/ برقم: ٣٨٥)وفي «شعب الإيمان»: (٧/ ٣٩٨/ ١٠٧٣٩) عن أبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ نَظِيفٍ الْمُقْرِئِ، حدثنا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الرَّافِقِيُّ إِمْلَاءً، حدثنا هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ هِلَالٍ، حدثنا أُبَيٌّ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ الْكِنْدِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ به بلفظه موقوفًا.وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٨/ ٩٨) من طريق أبي نعيم، حدثنَا عبيد الله بن عمرو، بمثله.

الحكم علىٰ الإسناد: إسناده منقطع؛ حيث لم يسمع رجاء بن حيوة من أبي الدرداء رضي الله عنه.رجاء بن حَيْوَة بن جَرْوَل. ويقال: جندل بن الأحنف الكندي، أبو المقدام. ويقال: أبو نصر الفلسطيني. قال ابن حجر: ثقة فقيه، وروايته عن أبي الدرداء مرسلة. تُوفِيَ سنة ١١٢ هـ.«تهذيب التهذيب»: (٣/ ٢٢٩/ ٥٠٠)، «تقريب التهذيب»: (صـ: ٢٠٨/ برقم: ١٩٢٠)، «تحفة التحصيل»: (صـ: ١٠٥).

المبحث الثالث: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على التنجيم والمنجمين

إن العباد حينما يضلون ويجهلون ربهم ويتركون عبادته يتعلقون بغيره تعالىٰ وخافوا كل شيء واستجاروا بكل شيء وقد جاء عنهم أنهم كانوا إذا نزلوا منزلا تعلقوا بالجن فقيولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائهم، ومما كانوا يتعلقون به النجوم فيربطون سعدهم ونحسهم بها وميلاد العظماء ووفاتهم، وأنها تمنح المطر أو تمنع، أما المؤمن فإنما يتعلق بربه تعالىٰ ويطلب الخير منه ويعلم أن النجوم والكواكب خلق من خلق الله يسخرها الله كيف يشاء، وأنها جمادات لا تملك لأحد نفعا ولا ضرا ولا تعطي شيئا ولا تمنع، وقد احتسب الصحابة علىٰ التنجيم والمنجمين فبينوا شيئا من حكمة خلق النجوم، وبينوا أن الله هو الذي يعطي ويمنع سبحانه وفي هذا المبحث إشارة إلىٰ احتساب الصحابة في هذا الباب، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول احتساب الصحابة العملي علىٰ التنجيم.

المطلب الثاني احتساب الصحابة القولي علىٰ التنجيم.

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي على التنجيم

لقد احتسب الصحابة عمليا علىٰ التنجيم وتجلىٰ ذلك من خلال ما يلي:

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإعلان أن المطر بفضل الله وذلك عند نزوله:

جاء في الموطأ حَدَّثَنِي عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ وَقَدْ مُطِرَ النَّاسُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ قال في المنتقىٰ شارحا قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يَقُولُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ مُضَادَّةً لِقَوْلِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَيَقُولُ هُوَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ يُرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا نَوْءَ يُنْزِلُ الْمَطَرَ وَلَا يَنْزِلُ بِهِ وَأَنَّ الَّذِي بِهِ يَنْزِلُ الْمَطَرُ هُوَ فَتْحُ اللَّهِ تَعَالَىٰ الرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ[1].

---

(١) المنتقىٰ شرح الموطأ - (ج ١ / ص ٤٦٢) وقد وردت آثار ضعيفة فيها كلام حكيم في أمر النجوم نسوقها كما ذكرنا مرارا علىٰ سبيل الحكاية لا الاستدلال،: عن ميمون بن مهران قال: صحبت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة قلت له: أوصني قال: « أوصيك بثلاث خصال فاحفظهم عني: لا تخاصم أهل القدر فيؤثموك، ولا تعلم النجوم فيدعوك إلىٰ الكهانة، ولا تسب السلف فيكبك الله تعالىٰ علىٰ وجهك في النار ». أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (ج ٤ / ص ٢٩٣رقم ١٦٣٧وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٤/ ٣١٠رقم١٩٨٧) وإسناده ضعيف، لضعف لأن إسماعيل بن عياش» ضعيف في روايته عن غير أهل بلده، وهذا منها، وقد تفرد به ولم يتابع.وعن سعيد بن جبير، قال: « جاء رجل إلىٰ عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس أوصني، فقال: «أوصيك بتقوىٰ الله، وإياك وذكر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنك لا تدري ما سبق لهم من الفضل، وإياك وعمل النجوم إلا ما يهتدىٰ به في بر أو بحر، فإنها تدعوا إلىٰ كهانة، وإياك ومجالسة الذين يكذبون بالقدر، ومن أحب أن تستجاب دعوته وأن يزكىٰ عمله

ويقبل منه فليصدق حديثه، وليؤد أمانته وليسلم صدره للمسلمين).واسناده كالذي قبله سواء، أثر جليل عن علي فيه ضعف،: وهذا أثر جليل فيه فوائد عظيمة وتوجيهات سديدة وذكرناه آخر المطلب لضعف إسناده لكن كلامه جليل وهو أشبه بكلام هؤلاء الكرام، فإن لم يكن من كلامه رضي الله عنه فلهو لعمر الله من أبدع الكلام وأحسنه جاء في بغية الحارث باب ما جاء في النظر في النجوم عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الانبار إلىٰ أهل النهروان يا أمير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار قال علي ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت واصحابك بلاء وضر شديد فان سرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منجم ولا لنامن بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله عزوجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ما كان محمد يدعي علم ما ادعيت علمه تزعم أنك تهدىٰ إلىٰ الساعة التي يصيب السوء من سار فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنىٰ عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليك الامر دون الله ربه لانك أنت تزعم هديته إلىٰ الساعة التي هو أمن السوء من سار فيها فمن آمن بهذا القول لمن آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا وضدا اللهم لا طائر الا طائرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل علىٰ الناس فقال يا أيها الناس إياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتىٰ أهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي أمرنا بها المنجم ما كان لمحمد منجم ولا لنا من بعدي فتح الله علينا بلاد كسرىٰ وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا علىٰ الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه» أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (٢/ ٦٠١-٦٠٢رقم٥٦٤)قال: حدثنا إبراهيم، أبو إسحاق، حدثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد، حدثنا عمر بن حسان، عن يوسف بن زيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أن مسافر بن عوف بن الأحمر به.وهذا الأثر، فإسناده فيه مجاهيل: عمر بن حسان، و«عبد الله ومسافر»ابنا عوف بن

فهذا من الاحتساب العملي لأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن المطر إذا نزل فإن الناس منهم من يعرف الفضل لربه ويرده إليه ويشكره تعالىٰ، ومنهم من يرده إلىٰ الكواكب والأنواء فكان أبو هريرة يقول إذا نزل المطر مطرنا بفضل الله الذي هو الفتاح العليم، الرزاق الكريم، فإذا جاز أن يسمىٰ هذا نوءا فهو نوء فتحه تعالىٰ لا نوء كذا ولا نوء كذا، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يربط العباد بربهم تعالىٰ، ويرد علىٰ أهل التنجيم.

الأحمر، لم أقف لهم علىٰ ترجمة فيما تيسر لي من مراجع.

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي على التنجيم

هذا باب من أبواب الاحتساب علىٰ المنجمين دخله أصحاب الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنشروا علوما تتعلق بأمر النجوم، وحذروا من الانشغال بعلم التنجيم.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ[1].

قال المناوي (من اقتبس) أي تعلم من قبست من العلم واقتبست من الشئ إذا تعلمته والقبس شعبة من النار واقتباسها الأخذ منها (علما من النجوم) أي من علم تأثيرها لا تسييرها فلا يناقض ما سبق من خبر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وقد مر التنبيه علىٰ طريق الجمع (اقتبس شعبة) أي قطعة (من السحر) المعلوم تحريمه ثم استأنف جملة أخرىٰ بقوله (زاد ما زاد) يعنىٰ كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم، ومن زعم أن المراد زاد النبي علىٰ ما رواه ابن عباس عنه في حق علم النجوم فقد تكلف، ونكر علما للتقليل ومن ثم خص الاقتباس لأن فيه معنىٰ العلة ومن النجوم صفة علما وفيه مبالغة، ذكره الطيبي، وذلك لأنه يحكم علىٰ الغيب الذي استأثره الله بعلمه

(١) رواه أبو داود في كِتَاب الطِّبِّ، بَاب فِي النُّجُومِ، حديث رقم ٣٤٠٦، وصححه الألباني في الصحيحة حديث رقم٧٩٣.السلسلة الصحيحة: (ج ٢ / ص ٢٩٢).

فعلم تأثير النجوم باطل محرم وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر، كذا قاله ابن رجب[١].

وقال السندي: قَوْله (مَنْ اِقْتَبَسَ) تَعَلَّمَ (عِلْمًا مِنْ النُّجُوم) هُوَ الَّذِي يُخْبِر بِهِ عَنْ الْمُغَيَّبَات وَالْأُمُور الْمُسْتَقْبَلَة بِوَاسِطَةِ النَّظَر فِي أَحْوَال الْكَوَاكِب وَأَمَّا مَا يُعْلَم بِهِ أَوْقَات الصَّلَاة وَجِهَة الْقِبْلَة فَغَيْر دَاخِل فِيهِ (شُعْبَة) بِضَمِّ الشِّين الْمُعْجَمَة أَيْ قِطْعَة زَادَ مِنْ السِّحْر مَا زَادَ مِنْ النُّجُوم وَيُحْتَمَل أَنَّهُ مِنْ كَلَام الرَّاوِي أَيْ زَادَ رَسُول اللَّه ﷺ فِي تَقْبِيح النُّجُوم مَا زَادَ[٢].

بيان عمر رضي الله عنه للعلم النافع المتعلق بالنجوم:

بين عمر رضي الله عنه شيئا من حكم الله في خلق النجوم، وهذا موافق لما في القرآن فقد قال ربنا وعلامات وبالنجم هم يهتدون، أما التعلق بالنجوم في غير ما خلقها الله له فهذا نهىٰ عنه أصحاب النبي ﷺ.

عَنْ عُمَر رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ النُّجُوم مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَة وَالطَّرِيق ثُمَّ أَمْسِكُوا»[٣].

---

(١) فيض القدير - (ج ٦ / ص ١٠٤) ٨٥٠٠).

(٢) حاشية السندي علىٰ ابن ماجه - (ج ٧ / ص ١٣٠) ٣٧١٦).

(٣) أخرجه المعافىٰ بن عمران الموصلي في الزهد(١/ ٢٦٥رقم ١٤٦)قال: حدثنا مسعر بن كدام، قال: حدثنا أبو عون، أن عمر....به بلفظه.

دراسة إسناده:

- مِسْعَرُ بن كِدَامِ بن ظَهِيرِ الهلالي العامري الرَّوَّاسِيُّ، أبو سلمة الكوفي. ثقة ثبت عابد. تُوفِيَ سنة ١٥٣ هـ، وقيل: سنة ١٥٥ هـ. «التقريب»: (صـ: ٥٢٨/ برقم: ٦٦٠٥).

(وفي رواية: تعلموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمة البر والبحر، ثم أمسكوا.

تحذير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من استخدام حروف أبي جاد في التنجيم:

عن ابن عباس قال: إن قوما ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد قال: أرىٰ أولئك قوما لا خلاق لهم.[1] وعلم النجوم المذكور هنا علم التنجيم الذي يدعيه المنجمون والسحرة والمشعوذين الذين يربطون بين حياة ومستقبل الانسان وحركة النجوم زاعمين معرفتهم للغيب.أما علم النجوم الذي هو أحد فروع علم الفيزياء والجغرافيا الحديثة فليس هو المقصود ها هنا[2].

وفي ختام البحث نذكر المحتسبين والموحدين، بالجهد العظيم للصحابة في الاحتساب علىٰ السحرة والكهان والمنجمين تمثل في نقلهم أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي وردت في أمر السحر والسحرة والكهانة والكهان، والتنجيم والمنجمين، والتحصن من الشياطين وهم ثلة مباركة منهم: عائشة، وأبو هُرَيْرَةَ، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وأبو ذر، وأبو مسعود البدري، وزيد الجهني وغيرهم من الصحب الكرام.

- أبو عون: هو محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي. ثقة. «التقريب»: (صـ: ٤٩٤/ برقم: ٦١٠٧). الحكم علىٰ الإسناد: إسناده صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٥/ ٢٤٠ رقم٢٥٦٤٨)وتقدم. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٥/ ٢٤٠ رقم٢٥٦٤٨) الحكم علىٰ الإسناد: إسناده حسن. والله أعلم.

(٢) هامش مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ١٢٩).

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري.

٣. صحيح مسلم.

٤. سنن أبي داود.

٥. سنن الترمذي.

٦. سنن النسائي.

٧. مسند أحمد.

٨. المعجم الكبير: الطبراني.

٩. سنن البيهقي.

١٠. شعب الإيمان: للبيهقي.

١١. الأدب المفرد للبخاري.

١٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود: الألباني.

١٣. صحيح الترغيب والترهيب: الألباني.

١٤. سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني ج١ص٤٩١مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

١٥. صحيح الجامع: الألباني.

١٦. صحيح وضعيف سنن الترمذي.

١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٩ه=١٩٧٩م.

١٨. كتاب السنن: سعيد بن منصور، حققه حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣ه=١٩٨٢م..

١٩. المصنف: عبد الرزاق، دار التأصيل، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٦ه=٢٠١٥م.

٢٠. الأدب المفرد: للبخاري، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، الطبعة الأولىٰ.

٢١. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

٢٢. مسند أبي يعلىٰ الموصلي: لأبي يعلىٰ، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون، الطبعة الثانية، ١٤١٠ه=١٩٨٩م.

٢٣. مسند ابن أبي شيبة: لابن أبي شيبة، تحقيق عادل العزازي، دار الوطن، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.

٢٤. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، تحقيق عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ه=١٩٩٥م.

٢٥. تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، تقديم بكر أبو زيد، ١٤٢١ه.

٢٦. الوافي بالوفيات: للصفدي، دار إحياء التراث، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠م..

٢٧. الجامع لأحكام القرآن: أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤مـ.

٢٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية١٤٠٨ه=١٩٨٨.

٢٩. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه: للسندي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت.

٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ».

٣١. العين: للخليل، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ه.

٣٢. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: للعصامي، تحقيق عادل أحمد، علي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ه=١٩٩٨م.

٣٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: لابن سيد الناس، تعليق إبراهيم محمد، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ه=١٩٩٣م.

٣٤. شرح النووي علىٰ مسلم: للنووي المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ=١٩٩٦:

٣٥. العرف الشذي للكشميري - (ج ٣ / ص ٣٦٥)، مطبعة سعيد كميني، باكستان.

٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وأخرون، دار الفاروق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٤٢ه=٢٠٢١م. .

٣٧. المنتقىٰ شرح الموطأ: للباجي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولىٰ، ١٣٣٢ه.

٣٨. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق ابن دهيش، دار خضر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه=١٩٩٤م.

٣٩. الإبانة الكبرىٰ: لابن بطة، تحقيق رضا معطي وآخرون، دار الراية.

البحث الثالث

الاحتساب
على السحرة والكهان والمنجمين
عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ

مقدمة

التابعون هم تلاميذ الصحابة، وفيهم أبناؤهم، وهم خير الأمة بعد أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رافقوهم في جهادهم وحجهم، ولازموهم في حلهم وترحالهم، وتعلموا منهم دين الله تعالىٰ، تعلموا منهم الكتاب الكريم، وتعلموا سنة البشير النذير، وسألوا الصحابة عن أحوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه وصفاته، وتعلموا من الصحابة العلم والعمل، والقرآن والإيمان، وساروا علىٰ هديهم، وفي جهادهم للسحرة والكهان والمنجمين، كانوا علىٰ هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدي معلميهم أصحاب الرسول الكرام، وهذا البحث أعد لبيان جهاد التابعين في هذا الميدان، عملا وقولا، ويشتمل هذا البحث علىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين علىٰ السحرة الماكرين.

المبحث الأول: احتساب التابعين علىٰ الكهان الضآلين.

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من التنجيم.

المبحث الأول: احتساب خيار التابعين على السحرة الماكرين

لقد جاهد خيار التابعين السحرة جهادا كبيرا، فكان احتسابهم عمليا، كما كان علميا قوليا، فلقد أقام ولاة الأمور منهم كعمر بن عبد العزيز حكم الله علىٰ السحرة، كما احتسبوا علىٰ السحرة علميا ببيان خطر السحر، وتحذيرهم من الدخول فيه، وفي هذا المبحث بيان لهذا الجهاد.

المطلب الأول: الاحتساب العملي للتابعين على السحرة

لقد احتسب ولاة الأمور من التابعين علىٰ السحرة وأقاموا حكم الله فيهم:

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحتسابه:

عن يحيىٰ أن عامل عمان كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز في ساحرة أخذها، فكتب إليه عمر: إن اعترفت أو قامت عليها البينة فاقتلها[١].

وعن يحيىٰ بن أبي كثير قال ان غلاما لعمر بن عبد العزيز أخذ ساحرة فألقاها في الماء فطفت فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أن الله لم يأمرك أن تلقيها في الماء، فإن اعترفت فاقتلها[٢].

وعن ربيعة بن عطاء: أن رجلا عبدا سحر جارية عربية، وكانت تتبعه فرفع إلىٰ عروة بن محمد -وكان عامل عمر بن عبد العزيز- فكتب إليه عمر بن عبد العزيز أن يبيعه بغير أرضها وأرضه ثم ادفع ثمنه إليها[٣].

(١) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣).
(٢) المحلىٰ - (ج ١١ / ص ٣٩٥).
(٣) المحلىٰ - (ج ١١ / ص ٣٩٥).

المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين على السحرة قوليا علميا

لقد دون علماؤنا جزاهم الله خيرا أقوال أئمة التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في السحر، نورد بعضها:

سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ يبين أن الجبت هو الساحر:

أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَالَ: الْجِبْت السَّاحِر بِلِسَانِ الْحَبَشَة، وَالطَّاغُوت الْكَاهِن[١].

سالم بن عبد الله بن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ وإنكاره على الساحر العاقد وبيانه أن حكمه القتل:

وعن العطاف بن خالد المخزومي أبو صفوان قال رأيت سالم ابن عبد الله وهو واقف علىٰ جدار بيت لبنىٰ أخ له يتامىٰ أتاه غلمة أربعة ومعهم غلام هو أشف منهم فقال يا أبا عمر أنظر ما يصنع هذا قال: وماذا يصنع؟ قال فسل خيطا من ثوبه فقطعه وسالم ينظر إليه فجمعه بين اصبعين من أصابعه ثم تفل عليه مرتين أو ثلاثا ثم مده فإذا هو صحيح ليس به بأس فسمعت سالما يقول لو كان لي من الأمر شئ لصلبته.[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١).
(٢) المحلىٰ - (ج ١١ / ص ٣٩٥).

حديث التابعين عن احتساب الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمر السحر:

أولا: آثار خيار التابعين في احتساب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عن قتادة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾، فألقىٰ موسىٰ عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله[١] وعن السدي قال: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقىٰ عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسىٰ وهارون[٢].

وعن ابن إسحاق قال: أوحىٰ الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقىٰ عصاه من يده، فاستعرضَت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعىٰ، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتىٰ ما يرىٰ بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسىٰ، فإذا هىٰ عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾. لو كان هذا سحرا ما غلبنا!، وقال عبد العزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسىٰ إذا نام، فأراهم موسىٰ نائما وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبىٰ عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾[٣].

---

(١) تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٢٩).
(٢) تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٣٠).
(٣) تفسير البغوي - (ج ٥ / ص ٢٨٥).

ثانيا: بعض آثار خيار التابعين في احتساب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أكثر التابعون الحديث عن براءة سليمان وعن احتسابه علىٰ السحرة وساقوا اخبارا عديدة واثارا طويلة.

وعن الحسن: في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: «ثلث الشعر، وثلث السحر، وثلث الكهانة»[(١)]، وعن قتادة قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾، من الكهانة والسحر. وذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه. [(٢)].

وفي تفسير الطبري عن سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلىٰ الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان.

وعن أبي مجلز قال: أخذ سليمان من كلدابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد، خلي عنه. فرأىٰ الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا كان يعمل

(١) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١١٨) صحيح البخاري - (ج ١٠ / ص ٤٧٢).
(٢) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٠).

به سليمان! فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وعن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه. فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتبع تلك الكتب، فأتىٰ بها فدفنها تحت كرسيه، كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

عن قتادة قال: كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان. فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان! فقال الله جل وعز: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

وعن قتادة قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾، يقول: ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين

(١) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٤).

دونه[١].

وعن ابن إسحاق: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ «أي ما علم بالسحر، والسحر كفر لمن عمل به»[٢] عن الحسن: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: «اتباع السحر كفر، وليس من دين سليمان السحر، يقول: ولكن الشياطين كفروا بتركهم دين سليمان، واتباعهم ما تلت الشياطين علىٰ ملكه»[٣].

الإفتاء بقتل الساحر:

فتوىٰ الحسن البصري: : «إِنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، وقال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حد الساحر ضربه بالسيف.يذكره من قوله»[٤].

فتوىٰ سعيد بن جبير عن سعيد بن المسيب في الساحر إذا اعترف يقتل[٥].

الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ والتحذير من الدخول في السحر:

سمعت الحسن يقول: في قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ قال: «لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه»[٦].

ولنا ههنا ملاحظة هي: أن هذا القول فيه: التحذير من الدخول في أمر السحر،

---

(١) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٨.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٢٧).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٣٠).
(٤) أحكام القرآن للجصاص - (ج ١ / ص ١٢٦) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣) المحلىٰ - (ج ١١ / ص ٣٩٦).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٦ / ص ٥٨٣).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٦٨).

وانه شر حتىٰ علىٰ من عمل به واتخذه صناعة، ومصدرا لكسبه، فإنه أول من يضر بذلك والعياذ بالله.

وعن الحسن قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ قال: «نعم من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط، ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[١].

التابعون ودعوة الناس للإيمان بالقدر في شأن السحر:

قال سفيان في قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ قال: «بقضاء الله»[٢].

إعلان التابعين أنه ليس للساحر دين ولا حظ في الآخرة:

عن قتادة في قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ قال: «ليس له في الآخرة جهة عند الله» قال معمر، قال الحسن: «ليس له دين»[٣].

عن قتادة: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ قال: «وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة»[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٧٠).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٧٣).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٨٤).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم - (ج ٤ / ص ١٨٥).

بيان التابعين أن السحر: جبت وطاغوت:

عن أبي العالية أنه قال: «الطاغوت» الساحر، و«الجبت» الكاهن[١]، وقال ابن زيد: كان أبي يقول: «الجبت»، الساحر، و«الطاغوت»، الشيطان[٢]، وعن سعيد بن جبير في هذه الآية: «الجبت والطاغوت»، قال: «الجبت» الساحر، بلسان الحبشة، و«الطاغوت» الكاهن[٣].

وعن أبي العالية، في قوله: «الجبت والطاغوت»، قال: أحدهما السحر، والآخر الشيطان[٤].

قال الطبري: والصواب من القول في تأويل: «يؤمنون بالجبت والطاغوت»، أن يقال: يصدِّقون بمعبودَين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين.

وذلك أن «الجبت» و«الطاغوت»: اسمان لكل معظَّم بعبادةٍ من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظَّم، من حجر أو إنسان أو شيطان. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله = فقد كانت جُبوتًا وطواغيت. وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان

(١) لسان العرب - (ج ١ / ص ٣١٤).
(٢) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).
(٣) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).
(٤) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).

مقبولا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله[١].

وكان الشَّعْبِيَّ، يقول: «الطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ[٢] وبه قال مجاهد وقتادة وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر[٣]، وعن أبي العالية قال: الطاغوت: الساحر[٤].

(١) تفسير الطبري - (ج ٨ / ص ٤٦٣).
(٢) تفسير الألوسي - (ج ٢ / ص ٣٢٢).
(٣) تفسير الألوسي - (ج ٢ / ص ٣٢٢).
(٤) فتح القدير - (ج ١ / ص ٣٧٤).

المبحث الثاني: احتساب التابعين على الكهان الضآلين

جاء النبىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس فوضىٰ متفرقون، فجمعهم الله به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل الرسول علىٰ جمع الكلمة، فاجتمعت القلوب علىٰ توحيد الله، وعلىٰ طاعة سوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وامتن الله عليهم بهذه المنة فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾، اجتمع أصحاب النبىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا هم الجماعة الذين ينتسب إليهم المسلم حين يقول: أنا علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، فقد كانوا جماعة واحدة في الايمان والتوحيد، جماعة واحده في العبادة والسلوك، جماعة واحدة في التخلق بأخلاق القرآن، وأخلاق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظلوا كذلك، حتىٰ كان أواخر عهدهم المبارك، ولحوق كثير منهم بربه، أطلت الفتن برأسها، كان رؤسها قوم دخلوا الإسلام ظاهرا، وأبطنوا الكفر والكير، كعبد الله بن سبا اليهودي، الذي عمل جاهدا علىٰ تفريق جماعة المسلمين، ونشر الشر والفتن.

في أواخر عهدهم المبارك نشأت فرقة الخوارج، ونشأت القدرية، وظهر التشيع والنصب وهما ضدان في معاملة أهل البيت: النصب يسبهم ويذمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتشيع يغلون فيهم، ويرفعونهم إلىٰ درجة الألوهية.

وفىٰ زمان التابعين زاد الأمر، واتسع الخرق علىٰ الراقع، وظهرت الكهانة، ووجد الشيطان بغيته في أقوام، استخدمهم لإضلال العبادة وأعانهم علىٰ ذلك.

وقد ظهر رجل طغت كهانته علىٰ كل كهانة، وفاق كل الكهان فىٰ زمانه، حتىٰ ما يكادون يذكرون معه، وزاد خطره، وأصبحت له شوكة، وأتباع، وجنود، إنه كاهن كبير، ودجال من الدجاجلة الكبار، ورأس من رؤس شياطين الإنس؛ ألاوهو المختار بن أبي عبيد الثقفي،: ذلك هو المختار بن أبىٰ الثقفىٰ، بدأ أمره ناصبيا يطعن في علىٰ وذريته، ثم لما قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ ذلك الكاهن أن مصلحته في طرف التشيع، ووجد الظروف مواتيه له في جمع الناس حوله من خلال المتاجرة بدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والاستفادة من مآسي آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام عليه خيار التابعين محتسبين، بالقول تارة، وبالرد علىٰ شبهاته تارة أخرىٰ، وبقتاله تارة، ثم قتله بفضل الله، ، كما احتسبوا علميا، وقوليا، علىٰ الكهان وعلىٰ الكهانة، وبينوا أنواعا من الكهانة، وحذروا من إتيان الكهان، واحتسبوا علىٰ الشياطين أيضا، وفي هذا المبحث عرض لجهود خيار التابعين في مواجهة الكهانة والكهان. ويدور الحديث، عن ذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي علىٰ المختار الكاهن.

المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين العلمي علىٰ الكهانة.

المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي على المختار الكاهن

جاء في صحيح مسلم أن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت للحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسر إلىٰ أخصائه أنه يوحىٰ إليه، وكان ما أدري هل كان يدعي النبوة أم لا؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال، ويستر بالحرير، ويحمل علىٰ البغال، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن، ولا شك أنه كان ضالا مضلا أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرا موافقة ابن الزبير حتىٰ قدم مصعب إلىٰ البصرة في أول سنة سبع وستين، وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله، وكان المختار في نحو من عشرين ألفا، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه، ولكن لم يثبت جيش المختار حتىٰ جعلوا ينصرفون إلىٰ مصعب ويدعون المختار، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب، فلما رأىٰ المختار ذلك انصرف إلىٰ قصر الإمارة فحاصره مصعب

(١) رواه مسلم في كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَاب ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا، حديث رقم٤٦١٧.

فيه أربعة أشهر، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة[١].

وقال الذهبي: المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف قد أسلم في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم نعلم له صحبة، وكانت فتنة المختار من سنة ٦٥ إلىٰ سنة ٦٧ هـ[٢].

قتال جمع من التابعين المختار مع مصعب بن الزبير:

لقد شارك في قتال المختار الكاهن الكذاب كثير من التابعين جاء في سير أعلام النبلاء: فإن ابن الزبير علم مكره، فندب لحربه أخاه مصعبا، فقدم محمد بن الاشعث، وشبث بن ربعي إلىٰ البصرة يستصرخان الناس علىٰ الكذاب، ثم التقىٰ مصعب وجيش المختار، فقتل ابن الاشعث، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وانفل الكوفيون، فحصرهم مصعب في دار الامارة، فكان المختار يبرز في فرسانه، ويقاتل حتىٰ قتله طريف الحنفي وأخوه طراف[٣] في رمضان سنة

---

(١) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي - (ج ٣ / ص ٥٣٨)، وانظر « تاريخ الإسلام: له « ٢ / ٣٦٩ - ٣٧٧.

(٣) رحم الله طريفا وأخاه، في احتسابهما علىٰ الثقفي الذي بدل الدين، وفتن الناس، وأفسد عقائد الأمة، وفتن عوام المسلمين، فقد عرف عنه أنه كان مبغضا لعلىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولآل البيت، ولما رأىٰ تأثر أكثر عوام الناس بقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وحق لهم ذلك- استثمر الموقف لمصالحه ولتحقيق مآربه، وتتبع قتله الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلهم، وذلك لتكون له يد عند عوام الناس، ويشتهر

سبع وستين، وأتيا برأسه مصعبا، فوهبهما ثلاثين ألفا، وقتل من الفريقين سبع مئة[١].

محمد بن الأشعث وقتاله المختار الكاهن:

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتىٰ جماعة منهم إلىٰ مصعب فأتاه شبث بن ربعي علىٰ بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه، وهو ينادي: يا غوثاه! فرفع خبره إلىٰ مصعب، فقال: هذا شبث بن ربعي، فأدخل عليه، فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلىٰ المختار معهم.

وقدم عليه محمد بن الأشعث أيضًا واستحثه علىٰ المسير، فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه، وقد استعمله عبد الله بن الزبير علىٰ الموصل. وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتىٰ يأتيني المهلب بن أبي صفرة. وكتب إليه، وهو عامله علىٰ فارس، يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار، فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث

بأنه البطل الهمام الذي انتصر لدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه وأمه، وحتىٰ يظن الناس به خيرا، ويقبلون غلوه وضلاله، وكهانته، ومع أننا لم نجد ترجمة موسعة لطريف وأخيه، الذين قضيا، علىٰ ذلك الكاهن المفسد، فإنه لا يضرهم أننا نجهلهم، والله تعالىٰ من فوق عرشه يعرفهم، وقد أكرمهم بقتل ذلك الكاهن الذي أضل كثيرا من الناس، فقاما بحق الله مع غيرهم من المجاهدين، ولكن الله أكرمهم بالقضاء علىٰ ذلك الكاهن الضآل إنهما لمجهولان عند أهل الأرض، معروفان في أهل السماء فنسأل الله أن يجمعنا وإياهم والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه في جنات النعيم.

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبي ج ٣ ص ٥٤٣.

أن يأتي المهلب يستحثه، فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب، فلما قرأه قال له: أما وجد مصعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا ببريد لأحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبيدنا. فأقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة، فقدم البصرة، وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر، وأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلىٰ الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه، وأن يثبط الناس عن المختار، ويدعوهم إلىٰ بيعة ابن الزبير سراً، ففعل، ودخل بيته مستتراً، ثم سار مصعب فقدم أمامه عباد بن الحصين الحطمي التميمي، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر علىٰ ميمنته، والمهلب علىٰ ميسرته، وجعل مالك بن مسمع علىٰ بكر، ومالك بن المنذر علىٰ عبد القيس، والأحنف بن قيس علىٰ تميم، وزياد بن عمر العتكي علىٰ الأزد، وقيس بن الهيثم علىٰ أهل العالية.وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك وندبهم إلىٰ الخروج مع أحمر بن شميط، فخرج وعسكر بحمام أعين، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعث مع أحمر بن شميط، فسار وعلىٰ مقدمته ابن كامل الشاكري، فوصلوا إلىٰ المذار، وأتىٰ مصعب فعسكر قريبـًا منه، وعبأ كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا، فجعل ابن شميط ابن كامل علىٰ ميمنته، وعلىٰ الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي، وجعل أبا عمرة مولىٰ عرينة علىٰ الموالي. وقاتل المختار علىٰ فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس، وقاتلت معه همدان أشد قتال، وتفرق الناس عن المختار، فقال له من معه: أيها الأمير اذهب

إلىٰ القصر، فجاء حتىٰ دخله، فقال له بعض أصحابه: ألم تكن وعدتنا الظفر وأنا سنهزمهم؟ فقال: أما قرأت في كتاب الله تعالىٰ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقيل: إن المختار أول من قال بالبداء.

فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة، فمر بالمهلب، فقال له المهلب: يا له فتحًا ما أهنأه لو لم يقتل محمد بن الأشعث. قال: صدقت. ثم قال مصعب للمهلب: إن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل، فاسترجع المهلب، فقال مصعب: قد كنت أحب أن يشهد هذا الفتح، أتدري من قتله؟ إنما قتله من يزعم أنه شيعة لأبيه.

ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفًا، واجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت، وصبوا عليهم الماء القذر، وكان أكثر معاشهم من النساء، تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب إلىٰ أهلها. ففطن مصعب بالنساء فمنعهن، فاشتد علىٰ المختار وأصحابه العطش، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروي بعضهم.

ثم إن مصعبًا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عيهم، فقال: لهم المختار: ويحكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفًا فانزلوا بنا فنقاتل حتىٰ نقتل كرامًا إن نحن قتلنا، فو الله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضعفوا ولم يفعلوا. فقال لهم: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في

نفسي، وإذا خرجت فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلا، فغن نزلتم علىٰ حكمهم وثبت أعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر إلىٰ بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراماً.

فلما رأىٰ عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلىٰ من القصر فلحق بناس من إخوانه فاختفىٰ عندهم سراً. ثم إن المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً، منهم السائب بن مالك الأشعري، وكانت تحته عمرة بنت أبي موسىٰ الأشعري، فولدت له غلاماً اسمه محمد، فلما أخذ القصر وجد صبياً فتركوه.

فلما خرج المختار قال للسائب: ماذا ترىٰ؟ قال: ما ترىٰ أنت. قال: ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز، ورأيت نجدة وثب باليمامة، ومروان بالشام، وكنت فيها كأحدهم، إلا أني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب، فقاتل علىٰ حسبك إن لم يكن لك نية. فقال: إنا الله وإنا إليه راجعون، ما كنت أصنع أن أقاتل علىٰ حسبي. ثم تقدم المختار فقاتل حتىٰ قتل، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان، أحدهما طرفه، والآخر طراف، ابنا عبد الله بن دجاجة[1].

(١) راجع: الكامل في التاريخ - (ج ٢ / ص ٢٤٤) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٢) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص.

رفاعة الفتياني ورغبته قتل المختار وتركه ذلك اجتهادا:

لقد كان رفاعة الفتياني من التابعين، وكان ممن اغتر بالكاهن الثقفي، بل كان يقوم علىٰ حراسته، وكان مما ادعاه الكاهن أنه يوحىٰ إليه، وأخذ يبث ذلك فيمن جلس إليه، فلما تيقن رفاعة من ذلك أراد قتله، ولكن ترك ذلك تدينا واجتهادا، قال الذهبي: عن عبدالملك بن عمير، عن رفاعة بن شداد الفتياني قال: كنت أقوم علىٰ رأس المختار، فلما تبينت كذابته، هممت وايم الله أن أسل سيفي، فأضرب عنقه، حتىٰ ذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**من أمن رجلا علىٰ نفسه، فقتله، أعطي لواء الغدر يوم القيامة**»[(١)]، وفي المسند عن رفاعة الفتياني قال: دخلت علىٰ المختار، فألقىٰ لي وسادة، وقال: لولا أن جبريل قام عن هذه، لالقيتها لك، فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أيما مؤمن أمن مؤمنا علىٰ دمه فقتله، فأنا من القاتل برئ**»[(٢)].

الأحنف بن قيس[(٣)] يبرز دليل ضلال المختار:

---

(١) إسناده حسن، وهو في « المسند » ٥ / ٢٢٣، وأخرجه أحمد ٥ / ٢٢٢، وابن ماجه (٢٦٨٨) من طريقين، وإسناده صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

(٣) الأحنف بن قيس شيخ بني تميم، وأحلم العرب، آتاه الله حكمة وفطنة، لم يتأثر برسالة الثقفي الكاهن الكذاب، وقد سجع فيها المختار، فنال الأحنف شرف جهاد هذا الكاهن، وكان ضمن الجيش الذي قاتل الكذاب، فلم يكن للمختار ولا لغيره من الكهان أثر علىٰ الأحنف بن قيس، الذي اصطفىٰ الله قومه وشرفهم علىٰ لسان نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأحبهم أصحاب الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

لقد هتك الأحنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستر ذلك الكذاب، وأظهر ما كان يخفيه من دعوىٰ الوحي بكتاب خطته يد المختار الآثمة: فعن الشعبي قال: أقرأني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي، وكان المختار قد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلىٰ مكة، فأتىٰ ابن الزبير، وكان قد طرد لشره إلىٰ الطائف، فأظهر المناصحة[١].

وذكر ابن كثير لفظ الكتاب فقال: أرسل الأحنف بن قيس كتابا للشعبي من المختار إليه فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلىٰ الأحنف بن قيس، أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر؛ فإن الأحنف يورد قومه سقر، حيث لا يقدرون علىٰ الصدر، وقد بلغني أنكم تكذبوني، فإن كذبت، فقد كذبت رسل من قبلي، ولست بخير منهم[٢] وقد سجع في كتابه كما ترىٰ سجع الكهان.

طفيل بن جعدة وكشفه إفك المختار المتكهن، وخداعه له:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهِمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَىٰ الدَّجَّالِ قَالَ وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.(رواه البخاري في كِتَاب الْعِتْقِ بَاب مَنْ مَلَكَ مِنْ الْعَرَبِ رَقِيقًا، حديث رقم٢٣٥٧ ومن هذه الثلاث انهم أشد أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الدجال. فكما اكرم الله الأحنف بقتال الكاهن الرجال الثقفي، ستقاتل ذريته وذرية تميم الدجال.ونحن حب أهل التوحيد من بنىٰ تميم، لنصرتهم للتوحيد في عهد النبىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد الأحنف، وفي آخر الزمان.

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٤٢).

وعن طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: كان لي جار زيات له كرسي، فاحتجت، فقلت للمختار: إني كنت أكتمك شيئا، والآن أذكره.

قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان أبي يجلس عليه، كان يرىٰ أن فيه أثارة من علم.

قال: سبحان الله ! لم أخرته؟ فجئ به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألفا، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فقال: إنه لم يكن في الامم الخالية أمر إلا وهو كائن فيكم، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، وإن فينا مثله. اكشفوا هذا، فكشفوا الاثواب، وقامت السبائية.فرفعوا أيديهم، فأنكر شبث بن ربعي، فضرب، فلما انتصروا علىٰ عبيد الله افتتنوا بالكرسي، وتغالوا فيه، فقلت: إنا لله، وندمت.فلما زاد كلام الناس، غيب.قال ابن كثير: وكان المختار يربطهم بالمحال والكذب[1]، ويتألفهم بقتل النواصب.

ونحن نقول: الله أكبر، وسبحانك اللهم، إنها السنن، وما أشبه الليلة بالبارحة، لقد استنزل هؤلاء الشيطان، وفتنهم الكاهن الثقفي بمثل هذا الكرسي، واليوم يفتن كثير من عامة الناس بل وأهل الفكر والثقافة، بنحو هذا، ، ينخدعون ويتعلقون بشجرة، أوخرزة، أوصخرة، وتكهن كاهن، و تنجيم منجم، بل يخدعون باحلام شيطانية يوعز إليهم الشيطان فيها بصلاح ميت، ويطلب منهم بناء قبة، أو مزار، فيقيم الناس وثنا يعبد من دون الله، ومن أعجب ما رأينا قبة

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٣٩).

في بعض البلاد الإسلامية، تسمىٰ، تسمىٰ قبة الولىٰ الصيني، وقد وقفنا عليها بأنفسنا، وهذه القبة يذكرون أنها لمجموعة من العمالة الصينية، كانوا يسيرون في الطريق صار لهم حارث، ماتوا، دفنوهم في هذا المكان، فاتخذه الناس مزارا يعبد من دون الله، يلتمس منهم البركة، وقد رأينا رجلا يطوف ببقرة حول هذه القبور، ولما سألناه لم يصنع ذلك قال: التماس البركة، هذا أن تلك القبور كتب عليها أسماء هؤلاء الصينيين، ويعرف الناس قصتهم كاملة، وأنهم لـوا بـمسلمين، فنسأل الله الثبات علىٰ التوحيد والسنة حتىٰ نلقاه، إن أعظم النعم أن يمن عليك الله أيها المسلم، فتكون عبدا له وحده، ، وأن تعرف حقه. إن من أجل النعم أن يهديك الله صراطه المستقيم، فلله الحمد أولا وآخرا علىٰ نعمة الإسلام والسنة، ونسأله تعالىٰ أن يثبتنا علىٰ التوحيد حتىٰ نلقاه.

الشعبي والرد على تابع للمختار:

الشعبي إمام من أئمة التابعين، وقد كان يرد علىٰ شبهات ذلك الكاهن، وقد رد علىٰ تابع للكاهن اغتر بكهانة المختار، وإخباره لهم بالنصر علىٰ عدوهم فبين الشعبي، أن هذا مما كذبت فيه شياطين المختار عليه، عن الشعبي قال: خرجت أنا وأبي مع المختار، فقال لنا: أبشروا، فإن شرطة الله قد حسوهم بالسيوف بقرب نصيبين.فدخلنا المدائن، فو الله إنه ليخطبنا، إذ جاءته البشرىٰ بالنصر، فقال: ألم أبشركم بهذا؟ قالوا: بلىٰ، فقال لي همداني: أتؤمن الآن؟ قلت: بماذا؟ قال: بأن المختار يعلم الغيب، ألم يقل لنا: إنهم هزموا؟ قلت: إنما

زعم أن ذلك بنصيبين، وإنما وقع ذلك بالخازر[١].من الموصل. قال: والله لا تؤمن يا شعبي حتىٰ ترىٰ العذاب الاليم[٢].

البارقي[٣] وخداعه الكاهن الكذاب للنجاة بنفسه:

(١) الخازر: بعد الألف زاي مكسورة، وهو نهر بين إربل والموصل، وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد، وإبراهيم بن مالك الاشتر النخعي في أيام المختار في سنة ٦٧ ه.معجم البلدان: ياقوت الحموي.

(٢) البداية والنهاية – (ج ٨ / ص ٣٠٤).

(٣) سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الازدي: شاعر عراقي، يماني الاصل.كان ممن قاتل المختار الثقفي (سنة٦٦ ه) بالكوفة، وله شعر في هجائه.وأسره أصحاب المختار، وحملوه إليه، فأمر بإطلاقه – في خبر طويل – فذهب إلىٰ مصعب بن الزبير، بالبصرة، ومنها إلىٰ دمشق.ثم عاد إلىٰ العراق مع بشر بن مروان والي الكوفة، بعد مقتل المختار.ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق هجاه سراقة، فطلبه، ففر إلىٰ الشام، وتوفي بها.كان ظريفا، حسن الانشاد، حلو الحديث، يقربه الامراء ويحبونه.وكانت بينه وبين جرير مهاجاة توفي سنة ٧٩ ه. قال الطبري تاريخ الطبري – (ج ٤ / ص ٥٢٦) (قال أبو مخنف وهو شيعي ضعيف ولكننا نذكرها للاستئناس فقط) عن يونس بن أبي إسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلىٰ القصر أخذ سراقة بن مرداس يناديه بأعلىٰ صوته:

امنن علىٰ اليوم يا خير معد ❋ وخير من حل بشحر والجند.

وخير من حيىٰ ولبىٰ وسجد.

فبعث به المختار إلىٰ السجن فحبسه ليلة ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل إلىٰ المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا ... وكان خروجنا بطرا وحينا

نراهم في مصافهم قليلا ... وهم مثل الدبى حين التقينا

برزنا إذ رأيناهم فلما ... رأينا القوم قد برزوا إلينا

لقينا منهم ضربا طلحفا ... وطعنا صائبا حتى انثنينا

كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل المدينة، فأسره رجل من أصحاب المختار، فأتىٰ به المختار، وقال: أسرت هذا، فقال سراقة: كذب واللّه ما أسرني، إنما أسرني رجل عليه ثياب بيض علىٰ فرس أبلق، فقال المختار: أما إن الرجل قد عاين الملائكة، خلوا سبيله فلما أفلت، أنشأ يقول:

أَلاَ أَبْلِغْ أبا إسحاقَ عَني ... بأَن البُلْقَ دُهْم مُصْمتَات

أرى عَيْنَي مَا لَمْ تَرْأَياهُ ... كِلاَنَا مولَع بِالتُرهَاتِ

كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وجعلتُ نَذْراً ... عَلي قِتَالَكُمْ حَتى المَمَات[٤]

وهذا يبين بوضوح قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنهم ليسوا بشيء، فهذا الكاهن الكذاب الذي يدعي علم الغيب، يخدع بهذا اليسر فاين شيطانه واين ادعاءه علم الغيب، إن البارقي رَحِمَهُٱللَّهُ ورضي عنه ما إن نجا منه حتىٰ سخر منه فلو

نصرت على عدوك كل يوم ... بكل كتيبة تنعى حسينا

كنصر محمد في يوم بدر ... ويوم الشعب إذ لاقى حنينا

فاسجح إذ ملكت فلو ملكنا ... لجرنا في الحكومة واعتدينا

تقبل توبة مني فإني ... سأشكر إن جعلت النقد دينا

قال فلما انتهىٰ إلىٰ المختار قال له: أصلحك الله أيها الأمير سراقة بن مرداس يحلف بالله الذىٰ لا إله إلا هو لقد رأىٰ الملائكة تقاتل علىٰ الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال إنىٰ قد علمت أنك لم تر الملائكة وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عنىٰ حيث أحببت لا تفسد علىٰ أصحابي.راجع الأعلام للزركلي - (ج ٣ / ص ٨٠).

(٤) سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ٥٤٢، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - (ج ٢ / ص ١٠٩).

كان هؤلاء يعلمون الغيب ما جعلوا هذا التابعي الجليل، والشاعر المفلج يقول فيه شعرا ينشر في الخافقين، يبين سفه المختار المتكهن الكذاب.وقد كان المختار، وقد استغل المختار تلك القصة في مزيد خداع أصحابه.

جناية الكهان على أتباعهم:

لقد اضل المختار قوما منهم زوجته التي بقيت وفية لضلاله حتىٰ بعد قتله، فقد قتلت عمرة بنت النعمان بن بشير، لانها شهدت أن زوجها المختار عبد صالح.

فانظر إلىٰ شر الكهان كيف أغوىٰ ذلك الكاهن المريد تلك المرأة كريمة الأصل، سليلة العلم والإيمان والإحسان، من كان أبوها صحابيا، وجدها صحابيا ووالد جدها صحابيا، فانظر كيف أغواها ذلك الشيطان، لقد حشد التابعون قوتهم لخلاص الناس من شر ذلك الكاهن الضال المضل. وانظر كيف هدىٰ الله بالإيمان قلب أخت المختار زوجة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واعجب كيف ضلت بهذا الكاهن الكذاب عمرة بنت النعمان ابنة الصحابة الكرام، ولكن لما اقترنت بذلك الكذاب وكانت له زوجة، ضلت والعياذ بالله وصدقته، وعرضت علىٰ السيف فكانت وفية لكاهن خائن، أضلها وأهلك دينها ودنياها بدلا من أن يرعاها دنيا ودين ويأخذ بيدها إلىٰ الصراط المستقيم.

ومن عرف ذلك، علم عظم وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باختيار الخليل والرفيق والجليس الصالح،: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ

خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ[١] وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً[٢] وعلم عظم تحذير السلف من مجالسة أهل البدع المضلة والأهواء، والتحذير من الشبهات التي يلقونها، لأن القلوب ضعيفة، ولذلك وجب علىٰ الناس الفرار من هؤلاء، فإن من الدين الفرار من الفتن[٣]، ويجب علىٰ من ابتلي بالاحتساب علىٰ مثل هؤلاء الكهان أن يحرص علىٰ الأذكار وقراءة القرآن والدعاء، وأن يكثر سؤال الله العافية والثبات، وألا يعجب الإنسان بنفسه في هذا الباب، وأن يبين الحق جهده، وأن ينأىٰ عن هؤلاء ما استطاع، وليتذكر أن التردد علىٰ هؤلاء، ومجالستهم خطر عظيم، وقد بين النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال بعض من يأتي الدجال ليرىٰ حاله فيصير من أتباعه والعياذ بالله، قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ[٤].

---

(١) رواه أبو داود في كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، حديث رقم٤١٩٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم٩٢٧.

(٢) رواه البخاري في كِتَاب الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ بَاب الْمِسْكِ حديث رقم٥١٠٨.

(٣) في صحيح البخاري بَاب مِنْ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنْ الْفِتَنِ، كتاب الإيمان،..

(٤) رواه أبو داود في كِتَاب الْمَلَاحِمِ، بَاب خُرُوجِ الدَّجَّالِ حديث رقم ٥٤٨٨، وصححة الألباني في مشكاة المصابيح، حديث رقم٥٤٨٨.

ولذلك وجب علىٰ المحتسب علىٰ هؤلاء الكهان أن ينبه عامة الناس علىٰ ذلك، وأن يحذرهم من مشاهدة قنوات الكهانة، والسحر، والتنجيم، ووسائل التواصل التي تروج لذلك.ولا ينبغي للمحتسب ولا للمسلم أن يهون من مشاهدة الناس لهذه المواد الخبيثة التي يبثونها، فهي شبهات في توحيد الله وتفرده بعلم الغيب، وإنه لانجاة لأحد إلا بإفراده ربه بالتوحيد، كما أنه لا ينبغي للمسلم أن يقول إنما هو مرور الكرام، وحب استطلاع، فان الأمر أخطر مما يتوهمه كثير من الناس، فيقول إنما هي عجوز تخط الرمل، وتوسوس ودعاتها، أو شخص يقرا الفنجان علىٰ بعض المقاهي، وأنظر إلىٰ برنامج لضياع الوقت، فإن في الأمر زعزعة الإيمان الخالص، والتوحيد الصادق، ثم إن من فعل ذلك لهوا ولعبا واستطلاعا، لا يقبل الله منه صلاة أربعين يوما. ثم إنه قد يحال بين المرء وقلبه، وينخدع بضلالات هؤلاء، ويركن قلبه إليهم ولو شيئا قليلا، فيقع في هاوية الشرك والعياذ بالله، فإن الأمر جد لا هزل فيه، إنه أمر العقيدة، إنه أمر النجاة اليوم وغدا.

ولقد فتن الكاهن الكذاب قوما وألقاهم إلىٰ حتفهم، وجعلهم يسفكون الدماء المؤمنة المعصومة، ثم ندموا حين أمكن الله منهم، واعترفوا بالخطأ؛ ولكن أقام عليهم التابعون الحكم قصاصا، وقد رق لهم مصعب، وأراد أن يخلي سبيلهم، ولكن أولياء الدم طالبوا بالقتل، وكذلك خاف مصعب من قيام الفتنة، قال رجل ممن أخذ من أتباع المختار لمصعب بن الزبير: الحمد الله الذي ابتلانا بالأسر،

وابتلاك أن تعفو، وهما منزلتان إحداهما رضىٰ الله والاخرىٰ سخطه، من عفا، عفا الله عنه، ومن قتل، لم يأمن القصاص، نحن أهل قبلتكم وعلىٰ ملتكم، لسنا تركا ولاديلما، قاتلنا إخواننا كما اقتتل أهل الشام بينهم، ثم اصطلحوا، وقد ملكتم فأسجحوا، فرق مصعب، وهم أن يدعهم، فوثب عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث، وقال: اخترنا أو اخترهم، وقال آخر: قتل أبي في خمس مئة من همدان وتخليهم؟ !.وسمرت كف المختار إلىٰ جانب المسجد. وروىٰ إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: جاء مصعب يزور ابن عمر، فقال: أي عم ! اسألك عن قوم خلعوا الطاعة، وقاتلوا حتىٰ إذا غلبوا، تحصنوا، وطلبوا الأمان، فأعطوا، ثم قتلوا.قال: كم العدد؟ قال: خمسة آلاف، فسبح ابن عمر، ثم قال: يا مصعب ! لو أن امرءا أتىٰ ماشية الزبير، فذبح منها خمسة آلاف شاة في غداة أكنت تعده مسرفا؟ قال: نعم، قال: فتراه إسرافا في البهائم. وقتلت من وحد الله.أما كان فيهم مكره أو جاهل ترجىٰ توبته، اصبب يا ابن أخي من الماء البارد ما استطعت في دنياك[1].

ابن الحنفية يحذر من الكاهن الكذاب.

عن الأسود بن قيس، قال: لقيت رجلا من عنزة فقال: انتهيت إلىٰ ابن الحنفية، فقلت: السلام عليك يا مهدي، قال: وعليك السلام.قلت: إن لي

(١) راجع البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٤).

حاجة. فلما قام، دخلت معه، فقلت: ما زال بنا الشين في حبكم حتىٰ ضربت عليه الاعناق، وشردنا في البلاد وأوذينا.ولقد كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء وراء، فأحببت أن أشافهك.

فقال: إياكم وهذه الاحاديث، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم، وبه يهدىٰ آخركم، ولئن أوذيتم، لقد أوذي من كان خيرا منكم، ولأمر آل محمد أبين من طلوع الشمس. وعن ابن عيينة قال: حدثنا أبو الجحاف -شيعي- عن رجل [من أهل البصرة] قال: أتيت ابن الحنفية حين خرج المختار فقلت: إن هذا خرج عندنا يدعو إليكم، فإن كان عن أمركم، اتبعناه. قال: سآمرك بما أمرت به ابني هذا، إنا أهل بيت لا نبتز هذه الامة أمرها، ولا نأتيها من غير وجهها، وإن عليا كان يرىٰ أنه له، ولكن لم يقاتل حتىٰ جرت له بيعة[1].

ابن الحنفية لا يرد على رسائل الكاهن الكذاب:

جاء من البداية والنهاية: كتب المختار إلىٰ ابن الحنفية كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم إلىٰ محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد، سلام عليك أيها المهدي فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله بعثني نقمة علىٰ أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم، ونصر مؤازركم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا ممن اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه، ولن يعجز الله من بقي، ولست

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٢، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٧١.

بمنحجم عنهم حتىٰ يبلغني أنه لم يبق علىٰ وجه الارض منهم أحد، فاكتب إلي أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

عقب ابن كثير فقال: ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه، مع أن ابن جرير قد تقصىٰ هذا الفصل وأطال شرحه، ويظهر من غبون كلامه قوة وجده به وغرامه، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيىٰ، وهو متهم فيما يرويه، ولا سيما في باب التشيع، وهذا المقام للشيعة فيه غرام وأي غرام، إذ فيه الاخذ بثأر الحسين وأهله من قتلتهم، والانتقام منهم، ولا شك أن قتل قتلته كان متحتما، والمبادرة إليه كان مغنما، ولكن إنما قدره الله علىٰ يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرا، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**». وقال تعالىٰ في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1] وقال بعض الشعراء:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وسيأتي في ترجمة المختار ما يدل علىٰ كذبه وافترائه، وادعائه نصرة أهل البيت، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعاعا من الشيعة الذين بالكوفة. ليقيم لهم دولة ويصول بهم ويجول علىٰ مخالفيه صولة. ثم إن الله تعالىٰ سلط

(١) الآية ١٢٩ سورة الأنعام.

عليه من انتقم منه[١].

براءة ابن الحنفية من الكاهن الكذاب حيا وميتا:

قال ابن سعد: قتل المختار في سنة ثمان وستين، وفي سنة تسع بعث ابن الزبير أخاه عروة إلىٰ محمد بن الحنفية يقول: إني غير تاركك أبدا حتىٰ تبايعني أو أعيدك في الحبس، وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته. وأجمع أهل العراق علي، فبايع. فقال: يا عروة، ما أسرع أخاك إلىٰ قطع الرحم والاستخفاف بالحق، وما أغفله عن تعجيل عقوبة الله، ما يشك أخوك في الخلود، ووالله ما بعث المختار داعيا ولا ناصرا. ولهو - وإلا فقد كان أحمد للمختار ولهديه مني، والله ما بعثت المختار داعيا. كان - أشد إليه انقطاعا منه إلينا. فإن كان كذابا فطالما قربه علىٰ كذبه. وإن كان غير ذلك، فهو أعلم به، وما عندي خلاف ما أقمت في جواره، ولو كان، لخرجت إلىٰ من يدعوني، ولكن ها هنا لأخيك قرن -وكلاهما يقاتلان علىٰ الدنيا- عبدالملك، فلكأنك بجيوشه قد أحاطت برقبة أخيك، وإني لاحسب أن جواره خير من جواركم، ولقد كتب إلي يعرض علي ما قبله، ويدعوني إليه. قال عروة: فما يمنعك؟ قال: أستخير الله، وذلك أحب إلي من صاحبك. فقال بعض أصحاب ابن الحنفية: والله لو أطعتنا، لضربنا عنقه، فقال: وعلىٰ ماذا؟ رجل جاء برسالة من أخيه، وأنتم تعلمون أن رأيي لو اجتمع الناس علي سوىٰ إنسان لما قاتلته، فانصرف عروة، وأخبر أخاه، وقال:

(١) البداية والنهاية - (ج ٨ / ص ٣٠٢).

ما أرىٰ لك أن تعرض له، دعه، فليخرج عنك، فعبد الملك أمامه لا يتركه يحل بالشام حتىٰ يبايعه، وهو فلا يبايعه أبدا حتىٰ يجمع عليه الناس[١].

انكار شبث[٢] بن ربعي على المختار وضرب المختار له:

عن طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: كان لي جار زيات له كرسي، فاحتجت، فقلت للمختار: إني كنت أكتمك شيئا، والآن أذكره.قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان أبي يجلس عليه، كان يرىٰ أن فيه أثارة من علم.قال: سبحان الله ! لم أخرته؟ فجئ به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألفا، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فقال: إنه لم يكن في الامم الخالية أمر إلا وهو كائن فيكم، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، وإن فينا مثله. اكشفوا هذا، فكشفوا الاثواب، وقامت السبائية. فرفعوا أيديهم، فأنكر شبث بن ربعي، فضرب[٣].

(١) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٢، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٧١.

(٢) هو: شبث بن ربعي التميمي اليربوعي، أحد الاشراف والفرسان، كان ممن خرج علىٰ علي، وأنكر عليه التحكيم، ثم تاب وأناب.وحدث عن علي، وحذيفة.وعنه محمد بن كعب القرظي، وسليمان التيمي، له حديث واحد في سنن أبي داود.قال الذهبي: قلت: كان سيد تميم هو والأحنف.

(٣) سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٥٠).

المطلب الثاني: الاحتساب القولي العلمي للتابعين: على الكهان المارقين وأعوانهم من الشياطين

احتسب التابعون علىٰ الكهانة والكهان علميا، وبينوا ما في الكهانة من شر وباطل، وسنبرز ذلك فيما يأتي:

عن سعيد بن جبير، قال: الطاغوت: الكاهن، وكذلك قال أبو العالية،.

وقال ابن جريج: في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، هم: كهان تنزل عليها شياطين، يلقون علىٰ ألسنتهم[١].

وقال قتادة في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾، كنا نحدَّث أن الجبت شيطان، والطاغوت الكاهن. وقال أيضا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾، من الكهانة والسحر[٢].

وقَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ[٣].

يحيى بن سعيد والتحذير من إتيان الكهان:

قال ابن وهب: وبلغني عن يحيىٰ بن سعيد، أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يسأل كاهنا، ولا يمشي إليه، ولا يعطيه عليه، ولا يسمع من قوله، وليس ذلك

---

(١) تفسير الطبري تفسير الطبري - (ج ٥ / ص ٤١٨)، (ج ٨ / ص ٤٦٣) فتح الباري لابن حجر - (ج ١٢ / ص ٤٦١.

(٢) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٤١٠).

(٣) عون المعبود - (ج ٨ / ص ٤٣٥) السنن الكبرىٰ للبيهقي - (ج ٨ / ص ١٣٩).

من أمر الإسلام، إنما كان ذلك من أمر الجاهلية، فمن أخذ بذلك فقد ترك أمر الإسلام، وأخذ بأمر الجاهلية»[١].

الكهان طواغيت:

وعن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلىٰ حاكمهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اجتمعا علىٰ أن يحكما كاهنًا في جهينة، فأنزل الله تعالىٰ في ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافق ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني اليهودي ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلىٰ قوله ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٢].

وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قتل به وأخذ ديته مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة لم يقتل به وأعطىٰ ديته ستين وسقًا من تمر، وكانت النضير حلفاء الأوس وكانوا أكبر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فقتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة واختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: إنا وأنتم اصطلحنا في الجاهلية

(١) الجامع لابن وهب - (ج ٢ / ص ١٩٠).
(٢) أسباب نزول القرآن - (ج ١ / ص ٥٧).

علىٰ أن يقتل منكم ولا تقتلوا منا، وعلىٰ أن ديتكم ستون وسقاً والوسق ستون صاعاً وديتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقالت الخزرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لأنكم كثرتم وقللنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم أخوة وديننا ودينكم واحد، وليس لكم علينا فضل، فقال المنافقون: انطلقوا إلىٰ أبي بردة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون: لا بل إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأبىٰ المنافقون وانطلقوا إلىٰ أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة: يعني الرشوة، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف إن نفرت النضيري قتلتني قريظة، وإن نفرت القريظي قتلتني النضير، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبىٰ أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، فدعا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كاهن أسلم إلىٰ الإسلام، فأبىٰ فانصرف، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابنيه: أدركا أباكما فإنه إن جاوز عقبة كذا لم يسلم أبداً، فأدركاه فلم يزالا به حتىٰ انصرف وأسلم، وأمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منادياً فنادىٰ: ألا إن كاهن أسلم قد أسلم[1].

عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت في رجل من الانصار يقول له قيس، وفي رجل من اليهود في مماراة كانت بينهما في حق تدارءا فيه، فتنافرا إلىٰ كاهن بالمدينة ليحكم بينهما، وتركا نبي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فعاب الله تعالىٰ ذلك عليهما، وكان اليهودي يدعوه إلىٰ نبي الله، وقد علم أنه لن يجوز (يجور)

(١) أسباب نزول القرآن - (ج ١ / ص ٥٧).

عليه، وجعل الانصاري يأبىٰ عليه وهو يزعم أنه مسلم ويدعوه إلىٰ الكاهن، فأنزل الله تعالىٰ ما تسمعون، وعاب علىٰ الذي يزعم أنه مسلم، وعلىٰ اليهودي الذي هو من أهل الكتاب، فقال - ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك -إلىٰ قوله- يصدون عنك صدودا[١].

التحذير من سجع الكهان:

عن السدي، أمّا «أساطير الأوّلين»، فأسَاجيع الأولين. «الأساجيع» جمع «أسجوعة»: يراد به الكهان علىٰ هيئة كلامهم[٢].

احتساب التابعين على الشياطين:

عن الاعمش عن مجاهد قال: كنت ألقىٰ من رؤية الغول والشياطين بلاء وأرىٰ خيالا، فسألت ابن عباس فقال: أجزه علىٰ ما رأيت ولا تفرق منه، فإنه يفرق منك كما تفرق منه، ولا تكن أجبن السوادين، قال مجاهد: فرأيته فأسندت عليه بعصا حتىٰ سمعت وقعته[٣].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: إذا أحس أحدكم بالشيطان فلينظر إلىٰ الأرض وليتعوذه[٤].

---

(١) أسباب النزول - (ج ١ / ص ١٠٧).
(٢) تفسير الطبري - (ج ١١ / ص ٣٠٩).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٥ / ص ٤٤٩).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٥ / ص ٤٥٠).

المبحث الثالث: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من التنجيم

أثر قتادة في النجوم وما فيه من الأسس العلمية للمحتسبين:

ساق ابن أبي حاتم رواية طويلة وكلاما مبسوطا عن قتادة هو زاد لكل محتسب علىٰ أولئك المنجمين، وفيه ردود وحجج دامغة لشبهاتهم الداحضة:

عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يُهْتَدَىٰ بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، فَمَنْ تَعَاطَىٰ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ رَأْيَهُ، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا وَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلا يُولَدُ بِهِ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ، وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ وَقُضَىٰ اللَّهُ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ، وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ يَأْكُلُ فِيهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، وَنُهِيَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلاءُ حَتَّىٰ وَقَعَ بِمَا نُهِيَ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ يُعْلَمُ الْغَيْبُ لَعَلِمَتْهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ لَهُ حَوْلا فِي أَشَدِّ الْهَوَانِ لا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ

معقبا: وهو كلام جليل متين صحيح[١]. وقال ابن حجر قول قتادة في النجوم حسن[٢].

مجاهد:

وقال مجاهد: في تفسير قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ أراد بالكل النجوم، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به.

السدي:

قال السدي: أراد بالنجم، الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجدي، يهتدىٰ بها إلىٰ الطرق والقبلة[٣].

محمد بن كعب القرظي وبيانه كذب المنجمين وكهانتهم.

قال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الارض في السماء نجم، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا ويتخذون النجوم علة[٤].

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٢٠٧) هامش تفسير ابن أبي حاتم - (ج ١١ / ص ١٨٦))، والأثر أخرجه البخاري مختصرا تعليقا في بدء الخلق، باب في النجوم: ٦ / ٢٩٥، ووصله الطبري في التفسير: ١٤ / ٩١-٩٢. فتح الباري: ٦ / ٢٩٥.

(٢) فتح الباري: ج٦ص٢٥٩.

(٣) تفسير القرطبي - (ج ١٨ / ص ٢١١).

(٤) تفسير البغوي - (ج ٥ / ص ١٣).

احتساب التابعين على التنجيم بتحذيرهم الناس من نسبة المطر إلى النجوم:

أخرج ابن جرير عن عطاء الخراساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: كان ناس يمطرون فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا[١].

أخرج عبد بن حميد عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فقال: أما الحسن فقال: بئس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب، قال: وذكر لنا أن الناس أمحلوا علىٰ عهد نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا يا نبي الله: لو استسقيت لنا؟ فقال: عسىٰ قوم إن سقوا أن يقولوا سقينا بنوء كذا وكذا، فاستسقىٰ نبي الله، فمطروا، فقال رجل: إنه قد كان بقي من الأنواء كذا وكذا، فأنزل الله {﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: قولهم: في الأنواء مطرنا بنوء كذا وكذا، فيقول: قولوا: هو من عند الله تعالىٰ وهو رزقه[٢].

عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: تجعلون حظكم منه أنكم تكذبون، قال عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وبلغني أن مشركي العرب كانوا

---

(١) الدر المنثور - (ج ٩ / ص ٤٠٢).
(٢) الدر المنثور - (ج ٩ / ص ٤٠١).

إذا مطروا في الجاهلية قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا [١].

احتياط التابعين في باب النجوم:

كره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق «تعليق فقتادة كره تعلم منازل القمر حتىٰ لا يجر ذلك إلىٰ التنجيم، وتعلق الناس بالنجوم علىٰ وجه غير مشروع[٢].

ميمون بن مهران ودعوته لرفض علم التنجيم:

عن ميمون بن مهران قال: «ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنظر في النجوم، والنظر في القدر»[٣].

كعب الأحبار وبيانه خطورة التنجيم:

عن أوس بن بشر المعافري حدثه أن عبد الله بن عمرو التقي هو وكعب ذو الكتابين، فقال عبد الله لكعب: علم النجوم، فقال كعب: لا خير فيه، فقال عبد الله: لم؟ قال: ترىٰ فيه ما تكره، وتزيد الطيرة، فقال كعب: فإن مضىٰ فقال: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك» ثم سكت فقال عبد الله: ولا حول ولا قوة إلا بك، قال كعب: جاء بها عبد الله والذي نفسي بيده إنها لرأس التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولن عبد عند ذلك ثم يمضي إلا

(١) الدر المنثور - (ج ٩ / ص ٤٠١).
(٢) رسالة في النجوم: للخطيب البغدادي ص١٢، المكتبة الأزهرية.
(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - (ج ٤ / ص ٢٢٧).

لم يضره شيء قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمض وقعد؟ قال: طعم قلبه طعم الإشراك[١].

وفي الجامع لابن وهب: أن عبد الله بن عمرو بن العاص، التقىٰ هو وكعب، بالكتابين، فقال له: يا كعب، علم النجوم؟ قال له كعب: لا خير فيه، قال عبد الله: لم؟ قال: ترىٰ فيه ما تكره، يريد الطيرة، قال كعب: وإن مضىٰ، وقال: «اللهم إنه لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك»، قال: ثم سكت، فقال عبد الله بن عمرو: لا حول ولا قوة إلا بك، قال كعب: جاء بها عبد الله، والذي نفسي بيده إنها لرأس التوكل وكنز العبد في الجنة، ولا يقولها عند ذلك ثم يمضي إلا لم يضره شيء، قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمض فقعد؟ قال: طعم الإشراك[٢].

محمد بن كعب القرظي وبيانه عدم تأثير النجوم بنفسها:

عن القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قال: ذكر عنده علم النجوم فقال: «والله ما في النجم موت أحد، ولا حياته، إنما جعل الله عَزَّوَجَلَّ النجوم زينة، ورجوما للشياطين»[٣].

(١) الجامع لابن وهب - (ج ٢ / ص ١٥٥).
(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - (ج ٤ / ص ٢٢٧).
(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني - (ج ٢ / ص ٢٠٩).

الربيع بن خثيم، وبيانه كذب المنجمين.

قال الربيع بن خثيم: خلق الله تعالىٰ هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدىٰ بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا يعنيه ومالا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة، والله ما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون علىٰ الله الكذب ويتعللون بالنجوم[١].

(١) مشكاة المصابيح - (ج ٢ / ص ٥٤٢).

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري.

٣. صحيح مسلم.

٤. سنن أبي داود.

٥. مسند أحمد.

٦. سنن ابن ماجه.

٧. السنن الكبرىٰ للبيهقي.

٨. المصنف: لابن أبي شيبة، تحقيق حمد الجمعة، ومحمد اللحيدان، دار الرشد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥=٢٠٠٤م.

٩. مشكاة المصابيح: للتبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٩٩ه=١٩٧٩م.

١٠. الجامع لابن وهب، تحقيق رفعت فوزي، وعبد الباسط مزيد، دار الوفاء، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ه=٢٠٠٥م.

١١. سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني ج١ص٤٩١مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

١٢. المحلىٰ شرح المجلىٰ: لابن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار إحياء التراث، الطبعة الأولىٰ.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ».

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٥. معالم التنزيل: للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة.

١٦. أحكام القرآن: أبوبكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..

١٧. تفسير القرآن العظيم مسندا: لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧ه=١٩٩٧م.

١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت الطبعة الأولىٰ.

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.

٢٠. فتح القدير: للشوكاني، دار المعرفة، ٢٠١٣م.

٢١. البداية والنهاية: لابن كثير، مكتبة المعارف، ١٤١٠ه=١٩٩٠م.

٢٢. سير أعلام النبلاء: للذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧ه=١٩٩٦م.

٢٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، المكتبة التوفيقية.

٢٤. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧ه=١٩٩٣م.

٢٥. تاريخ الأمم والملوك: للطبري، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

٢٦. الأعلام: للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

٢٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: للعصامي، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ه=١٩٩٨م.

٢٨. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧ه=١٩٨٧م.

٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعظيم آبادي، تحقيق عصام الصبابطي، دار الحديث، ١٤٢٢ه.

٣٠. أسباب نزول القرآن: للواحدي، تحقيق عصام الحميدان، الطبعة الثانية، ١٤١٢ه=١٩٩٢م.

٣١. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي

بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٣٢. الجامع لأحكام القرآن: أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤مـ.

٣٣. معالم التنزيل: تفسير البغوي، تحقيق خالد العك، ومروان سوار، دار الزهراء، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣ه=٢٠٠٢م.

٣٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، المكتبة الأزهرية، ١٤٣٢ه=٢٠١١م.

٣٥. رسالة في النجوم: للخطيب البغدادي ص١٢، المكتبة الأزهرية.

٣٦. الجامع لابن وهب، تحقيق رفعت فوزي، وعبد الباسط مزيد، دار الوفاء، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ه=٢٠٠٥م.

٣٧. فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله عباس، جامعة أم القرىٰ، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣ه=١٩٨٣م.

٣٨. العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

البحث الرابع

الاحتساب
على السحرة والكهان والمنجمين
عند أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.

فإننا علىٰ موعد هنا مع قرن آخر من قرون أثنىٰ عليها النبي المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع جيل آخر ينتمىٰ إلىٰ الحقبة المباركة في مسيرة أمة الإسلام، مع حلقة هي الأخيرة علىٰ الراجح[1] فىٰ سلسلة السلف، لقد سار خيار هذا الجيل علىٰ نهج التابعين الذين سلموهم راية الحق خفاقة، واستودعوهم ميراث الصحابة، وميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سار هؤلاء الكرام علىٰ الدرب وتبعوا الأثر، لقد جاهد هذا الجيل كما جاهد من قبلهم، فمضت جنود الحق تقاتل من كفر بالله، وتنشر ضياء الحق في أرض الله، وتغزو قلوباً بالإيمان الصادق، والعقيدة الصحيحة، والأخلاق الكريمة.

وأتباع التابعين هم أولئك الذين لقوا التابعين وأخذوا منهم وهم درجات وطبقات قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في تقريب التهذيب: وأما الطبقات فالأولىٰ الصحابة علىٰ اختلاف مراتبهم... إلىٰ أن يقول:

---

(١) نقصد قول أبي سعيد (رضىٰ الله عنه) فلا أدرىٰ ذكر بعد قرنة قرنين، أو ثلاثة، وفىٰ الأحاديث: خير الناس قرن ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث.

السابعة: طبقة كبار أتباع التابعين: كمالك والثورىٰ.

الثامنة: الطبقة الوسطىٰ منهم، كابن عيينة وابن علية.

التاسعة: الطبقة الصغرىٰ من اتباع التابعين، كيزيد بن هارون والشافعىٰ، وأبي داود الطيالسىٰ، وعبد الرزاق.

ثم قال عن الزمن... وإن كان من الثالثة إلىٰ آخر الثامنة فهو بعد المائة.

وإن كان من التاسعة إلىٰ آخر الطبقات: فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بينتة[١].

ومع هذه الأسماء الجليلة جم غفير من أئمة الدين، وحملة الشريعة كالأوزاعىٰ والليث وغيرهما من الأعلام.

وامتاز هذا الجيل بميزات:

أولاً: جاهد كبار هذا القرن، واحتسبوا خطاهم وأعمالهم في جمع ميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين، فجمعوا حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمعوا آثار الصحابة وأقوال التابعين كذلك، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في هدىٰ الساريٰ[٢]: اعلم علمني الله وإياك أن آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تكن في عصر أصحابه، وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين؛ أحدهما: إنهم

(١) تقريب التهذيب: لابن حجر ج١ص٢٥، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، ١٤٢١هـ.

(٢) هدىٰ الساريٰ مقدمة فتح الباريٰ: ابن حجر ص١٤.

كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم.

وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم؛ ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار فأول من جمع ذلك: الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب علىٰ حدة، إلىٰ أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخىٰ فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوىٰ التابعين ومن بعدهم، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج علىٰ منوالهم إلىٰ أن رأىٰ بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خاصة وذلك علىٰ رأس المائتين فصنف عبيد الله بن موسىٰ العبسي الكوفي مسندا، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسندا، وصنف أسد بن موسىٰ الأموي مسندا، وصنف نعيم بن حماد نزيل مصر مسندا، ثم اقتفىٰ الأئمة بعد ذلك اثرهم.

فكان لهم الفضل بحفظ حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآثار أصحابه وآثار التابعين بعدما بدأ هذا الطريق التابعون الكرام، وعلىٰ رأسهم أمير المؤمنين عمر

بن عبد العزيز الذىٰ خشىٰ موت حفظة السنة، وخاف دروس العلم، وذهاب كنوز الإسلام وعماده وقوامه. فقل واحد من هؤلاء الكرام إلا وجمع من هذه الكنوز ما استطاع. فكتب مالك موطأه وكتبت موطآت أخرىٰ لم تصل إلينا، وكتب عبد الرزاق مصنفه وتفسيره الأثرىٰ، وكتب الليث والأوزاعىٰ، وكتب سفيان الثورىٰ، وكتب ابن عينيه كما بين ذلك ابن حجر.

فكانت لهم بذلك منة علىٰ أمة الإسلام، وكانت كتبهم الركيزة التي انطلق منها من جاء بعدهم، إذ وجدوا هذه الكنوز مجموعة، فراح كل واحد منهم ينتقىٰ منها، ويقسم، وينقح ويبوب، ويعرضها بالمنهج الذىٰ ارتضاه، والذىٰ هداه إليه ربه بدأبه وسعيه، وما نتج عن عقله الذكىٰ وقلبه الواعىٰ.

ثانيًا: من ميزات هذا القرن وجود الأئمة المتبوعين فيه، إذ امتاز هذا القرن بوجود أئمة الأمة الذين بارك الله لهم في علمهم، وسخر لهم تلاميذ حفظوا علومهم، ونشروا فقههم في الآفاق، فصار الناس يتبعونهم، كان منهم: أبو حنيفة ومالك، وحماد بن سلمة، وسفيان النووي والأوزاعىٰ والليث، وابن عينية، والشافعىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان للجميع مذاهب مشهورة وكان لهم اتباع كثر، حتىٰ إن كان فقه الواحد منهم ليغلب علىٰ قطر من أقطار المسلمين فالأوزاعىٰ استأثر بن أهل الشام، والليث أهل مصر، ومالك أهل المدينة وأبو حنيفة أهل العراق، ولكن وصلنا نتاج وعلم وفقه ثلاثة منهم: هم أبو حنيفة ومالك والشافعىٰ فقط لأسباب كثيرة مبسوطة في مظانها من كتب تاريخ التشريع، وكتب التاريخ

والتراجم.

ثالثًا: لقد قدر الله لهذا القرن ووفقه للجهاد في ميدان جليل، وأن يواجهوا حربًا ضروسًا علىٰ الملة الإسلامية، وإذا كان الكبار من هذا القرن قد نالوا شرف جمع كنوز الإسلام، ودونوا درر العلوم، فإن المتأخرين من هذا القرن نالوا شرف الدفاع عن هذا الميراث النبوىٰ، وميراث الصحابة والتابعين، حافظوا علىٰ منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلفه الصالحين من الصحابة والتابعين..

لقد جرىٰ في هذا القرن أمر كان له أثره الكبير والخطير علىٰ أمة الإسلام وذلك حين ترجمت كتب الأقدمين، كتب اليونان، من فلسفة يونانية، ومنطق يونانىٰ، وترجم مع هذه العلوم علم التنجيم، وحوت هذه الكتب السحر، والدعوة إلىٰ عبادة الكواكب، وإنكار المعاد، ثم انتشرت في الأمة الإسلامية انتشار النار في الهشيم، واغتر بها أقوام وأدخلوها في علوم الإسلام ما بين مستقل من ذلك ومستكثر، وقد أعان علىٰ ذلك مناصرة الخلفاء والولاة لذلك، وتقديمهم أصل هذه العلوم، وإدرار الأرزاق علىٰ مترجميها.

وكان من أبرز من هذه العلوم علم الكلام، وعلم المنطق والعلوم الفلسفية، وما يغرىٰ به الناس من كتب الطب والهندسة والفلك، لكنهم أخفوا عن سواد الأمة ما في هذه الكتب من السحر، والتنجيم وعبادة الكواكب، وقد حمل أئمة هذا القرن المبارك علىٰ ما ظهر من كتب القدماء، وأشاعه أهله، ووجدوه مشحونًا بالمخالفة لدين الإسلام بل بالكفر في كثير من مواضعه، فهبوا يدفعون

هذا النقل دفعاً، ومنع المتتبعون لآثار من سبقهم في هذا الجيل الاشتغال بما ترجم من علوم ومعارف وعقائد مخالفة.

وفيْ هذا البحث سنعرض احتساب الأكارم من أتباع التابعين علىٰ السحر، والسحرة، والكهانة والتنجيم.

ويشتمل هذا البحث علىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال الأئمة في السحر والسحرة.

المبحث الثاني اشتمال الترجمة علىٰ السحر والتنجيم.

المبحث الثالث: تحذير أهل العلم والإيمان من أتباع التابعين من هذه الكتب.

المبحث الأول: احتساب أئمة اتباع التابعين على السحرة الطاغين

لقد بين أئمة أتباع التابعين في احتسابهم حكم السحر، كما بينوا حكم الله في السحرة.

لقد بين الأئمة أن للسحر حقيقة قال ابن القصار: ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعيٰ أن السحر له حقيق، وقد يمرض من يفعل ويموت ويتغير عن طبعه[١].

مالك والشافعي وأبو ثور وبيان حكم الساحر:

رأىٰ مالك أن من سحر بنفسه يقتل، ولا تقبل له توبة؛ لأن الله تعالىٰ سمىٰ السحر كفراً بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وفصل الشافعيٰ: فقال لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحرة، وروىٰ عنه أنه يسأل من سحره، فإن كان كفراً استتيب منه[٢]. فههنا أمر، وهو: أن من سحر بما هو كفر، كفر حتىٰ مع تفصيل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي ذكر أن السحر الذىٰ يشرك فيه بالله، ويعبد فيه غيره كفر.وإننا لنرىٰ أن الساحر القاتل ارتكب ما هو أعظم القتل، فإنه قتل بالسحر، وفرق بين من قتل بأداة وبين من قتل بالطلسم وغيره من وسائل السحر وهي كفر، ففرق بين قاتل مجرد، وبين قاتل بما هو كفر.

قال ابن بطال: واحتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، بأن السحر باطن

(١) شرح البخارىٰ: لابن بطال جـ١٨ ص ٥١.
(٢) شرح البخارىٰ: لابن بطال جـ١٨ ص ٥١.

لا يظهره صاحبه، فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر كالمرتد[١].

وجاء في تفسير القرطبي: واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم[٢] والذمي، فذهب مالك إلىٰ أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزاني، ولأن الله تعالىٰ سمىٰ السحر كفرا بقوله: » وما يعلمان من أحد حتىٰ يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر « وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي[٣].

وفي تفسير القرطبي أيضا: احتج أصحاب مالك بأنه لا تقبل توبته، لأن السحر باطن لا يظهره صاحبه فلا تعرف توبته كالزنديق، وإنما يستتاب من أظهر الكفر مرتدا، قال مالك: فإن جاء الساحر أو الزنديق تائبا قبل أن يشهد عليهما قبلت توبتهما، والحجة لذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾[٤] فدل علىٰ أنه كان ينفعهم إيمانهم قبل نزول العذاب، فكذلك هذان. ولا يرث الساحر ورثته، لأنه كافر إلا أن يكون سحره لا يسمىٰ كفرا[٥].ونحن نقول إلا إذا كان يطلق عليه ذلك تجوزا، كمن يدعي ذلك، أو يستخدم ألعاب الخفة، أو

(١) السابق جـ١٨ ص ٥٢.

(٢) الساحر المسلم أي المنتسب إلىٰ الإسلام ظاهرا، وإلا فإنه لا يكون ساحرا حقيقيا إلا إذا كفر، جاء بما يمرق به من دين الإسلام، مما سيأتي تفصيله في كتاب السحر إن شاء الله تعالىٰ.

(٣) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٧).

(٤) الآية ٨٥سورة غافر.

(٥) تفسير القرطبي - (ج ٢ / ص ٤٩).

يخادع الناس مخادعة، أي أنه ليس ساحرا حقيقة..

وقال الجصاص: وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَإِنَّهُ أَجْرَىٰ السَّاحِرَ مَجْرَىٰ الزِّنْدِيقِ، فَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ كَمَا لَا يَقْبَلُ تَوْبَةَ الزِّنْدِيقِ، وَلَمْ يَقْتُلْ سَاحِرَ أَهْلِ الذِّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلْقَتْلِ بِكُفْرِهِ وَقَدْ أَقْرَرْنَاهُ عَلَيْهِ، فَلَا يُقْتَلُ إلَّا أَنْ يَضُرَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَيَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَهُ نَقْضًا لِلْعَهْدِ.فَيُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ الْحَرْبِيُّ وَقَدْ بَيَّنَّا مُوَافَقَةَ السَّاحِرِ الذِّمِّيِّ لِلزِّنْدِيقِ مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ اسْتَحْدَثَ كُفْرًا سِرًّا، لَا يَجُوزُ إقْرَارُهُ عَلَيْهِ بِجِزْيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاحِرِ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ؛ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ أَنَّهُ فِي مَعْنَىٰ الْمُحَارِبِ فَلَا يَخْتَلِفُ حُكْمُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُنْتَحِلِي الذِّمَّةِ.(١).

وجاء في المنتقىٰ شرح الموطأ: (مَسْأَلَةٌ) وَمَنْ قَتَلَ السَّاحِرَ فَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمَوَّازِ: مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ إنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ، فَإِذَا سَحَرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ يُرِيدُ أَنَّهُ بَاشَرَ ذَلِكَ قَالَ: فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، قَالَ وَالسِّحْرُ كُفْرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: » وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ «، وَبِهِ قَالَتْ حَفْصَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَابْنُ شِهَابٍ وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَوَجْهُهُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ مِنْ أَنَّهُ كُفْرٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مِنْ الْكُفْرِ الَّذِي لَا يُقَرُّ أَحَدٌ عَلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا إذَا تَقَدَّمَهُ إسْلَامٌ فَالْكَافِرُ بِهِ مُرْتَدٌّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُوصَفَ السَّاحِرُ بِأَنَّهُ كَافِرٌ: بِمَعْنَىٰ أَنَّ فِعْلَهُ هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ الْجَحْدُ لِلْبَارِئِ تَعَالَىٰ، وَكَمَا لَوْ أَخْبَرَنَا نَبِيٌّ صَادِقٌ أَنْ لَا يَدْخُلَ دَارَ كَذَا إلَّا كَافِرٌ، ثُمَّ رَأَيْنَا رَجُلًا دَخَلَهَا لَحَكَمْنَا

(١) أحكام القرآن للجصاص - (ج ١ / ص ١٢٩).

بِكُفْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُخُولُهُ الدَّارَ كُفْرًا، وَلَكِنَّا نَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَإِنْ أَخْبَرَ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَلِمْنَا كَذِبَهُ؛ لِأَنَّ الصَّادِقَ أَخْبَرَنَا عَنْهُ بِأَنَّهُ كَافِرٌ.

(مَسْأَلَةٌ) إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَمَنْ عَمِلَ السِّحْرَ قُتِلَ، فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَفِي الْمَوَّازِيَّةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ يَقْتُلُ سَاحِرٌ مُسْلِمًا أَوْ ذِمِّيًّا، قَالَ مَالِكٌ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَصْبَغُ هُوَ كَالزِّنْدِيقِ، وَمَنْ كَانَ لِلسِّحْرِ أَوْ لِلزَّنْدَقَةِ مُظْهِرًا اُسْتُتِيبَ، فَإِنْ لَمْ يَتُبْ قُتِلَ، قَالَ ابْنُ الْمَوَّازِ: السِّحْرُ كُفْرٌ فَمَنْ أَسَرَّهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ قُتِلَ، وَإِنْ أَظْهَرَهُ فَكَمَنْ أَظْهَرَ كُفْرَهُ، وَحَكَىٰ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَتَابُ، وَإِنْ تَابَ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ، وَحَمَلَ ذَلِكَ عَلَىٰ قَوْلِ مَالِكٍ، وَاسْتَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ عِلْمَهُ كُفْرٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَلَا تَكْفُرْ: أَيْ بِتَعَلُّمِ السِّحْرِ، فَتَقَرَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَا حَكَاهُ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَصْبَغَ وَابْنِ الْمَوَّازِ مُخَالِفٌ لِقَوْلِ مَالِكٍ أَوْ تَأَوَّلَا عَلَيْهِ غَيْرَ مَا تَأَوَّلَهُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ[1].

أبو حنيفة:

في الشرح الكبير لابن قدامة: وقال الشافعي إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلىٰ الكواكب السبعة انها تفعل ما يلتمس، أو اعتقد حل السحر كفر؛ لأن القرآن نطق بتحريمه وثبت بالنقل المتواتر والإجماع.وحد الساحر القتل روي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله، وجندب

(١) المنتقىٰ شرح الموطأ: للباجي (ج ٤ / ص ٢٤٢).

بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة[١].

اسحاق بن راهوية وقوله في الساحر:

قال ابن رجب: وهو مذهبُ جماعةٍ من العلماء، منهم: عُمَرُ بنُ عبد العزيز ومالك وأحمد وإسحاق، ولكن هؤلاء يقولون: إنَّه يكفر بسحره، فيكون حكمُه حكمَ المرتدين[٢].

(١) الشرح الكبير لابن قدامة - (ج ١٠ / ص ١١٤).
(٢) جامع العلوم والحكم - (ج ١٦ / ص ١٧).

المبحث الثاني: ترجمة الكتب اليونانية وبيان اشتمالها على السحر وعبادة الكواكب

لقد أعرض أتباع التابعين عن كتب القدماء حين ترجمت، مستغنيين في دينهم وعقائدهم بالقرآن وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكلام سلفهم الصالح من الصحابة والتابعين، معتقدين وموقنين أن في هدىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدي القرنيين الكريمين من بعد الكفاية والغنىٰ، فلا ينظرون في هذه الكتب، ولا ينتظرون منها أن تعرفهم ربهم سبحانه وأسمائه وصفاته، ولا يرجون منها أن تنير لهم الطريق، وكيف يكون ذلك كذلك وكتبتها مشركون عبدة أوثان. فليس في معرفتهم بالله ورسله وآياته لا عقل ولا نقل، وفىٰ هذا المطلب بيان لاشتمال هذه الكتب مع الخطأ والخطل فيما يتعلق بذات الله وصفاته، وفيما يتعلق بخلق الكون، فيها السحر وعبادة الكواكب.

قال شيخ الإسلام: ومعنىٰ الكهانة والسحر موجود في كثير من المتفلسفة والمتصوفة والمتكلمة والعامة والمتفكرة الخارجين عن الشريعة الذين يتكلمون بالغيوب عن كهانة ويحركون النفوس بالشعر ونحوه وهم من اتباع المتنبئين الكذابين لهم مادة من الشياطين. كما قد رأيناه كثيراً في أنواع من هذه الطوائف وغيرها لمن نور الله صدره وقذف في قلبه من نوره[1]. إن هذه الكتب المترجمة التي غزت العالم الإسلامي وكانت سببا في فساد علمي وعقدي

(١) مجموع الفتاوىٰ: ابن تيمية جـ١ ص ١٢٥.

خطير، وكانت السبب الأكبر في تمزق الامة ودخول الأهواء فيها، وكانت سببا في ترك كثير من الفرق لمنهج الكتاب والسنة، وجر آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ القواعد التي فتنوا بها في هذه الكتب، نقول إنها لم تدخل الأمة الإسلامية دفعة واحدة، وإنما بدأت الترجمة بعلوم تجريبية كالطب والهندسة، وبعلوم فيها تدبر لآيات الله الكونية، والانتفاع بذلك كعلوم الفلك، ثم تطور الأمر حتىٰ ترجمت الكتب التي تضع قواعد الفكر، وتتحدث عن الله تعالىٰ وجودا وذاتا وصفات، وما في هذه الكتب من سحر وتنجيم ترجم في وقت مبكر لكن لم يظهر من ذلك إلا النذر اليسير حتىٰ لا ينفر الناس من ذلك.

جاء في كتاب: (مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية) ما يلي: بدأت الترجمة بترجمة المعاهدات والوثائق الرسمية، وفي عصر المنصور ترجمت مقالات العلوم والفلسفة الأدبية.

وفي عصر الرشيد أنشا بيت الحكمة[1].

وفي (كتاب ابن تيمية وموقفه من الفلسفة): تعود بدايات ترجمة الفلسفة اليونانية، إلىٰ زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور: (١٣٦-١٥٨ه)، الذي أمر بترجمة بعض الكتب القديمة. ثم توسع مجال الترجمة زمن الخليفة هارون

(١) موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلسفة ومنهجه في عرضها: الدكتور صالح بن غرم الغامدي ص٥٠٦، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ه=٢٠٠٣م.

الرشيد (ت١٩٣ه) عندما أمر الطبيب النصراني يُوحنا بن ماسويه، بترجمة الكتب القديمة التي عثر عليها بمدينتي أنقرة، وعمورية، وسائر بلاد الروم، وعيّنه أمينا عاما علىٰ عملية الترجمة من اللغات القديمة إلىٰ اللغة العربية[١].

وقد ذكر الدكتور سامي النشار: (وكان أول علم اعتني به من علوم الفلسفة: علم المنطق والنجوم)مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي[٢].

وقد نبه أيضا إلىٰ ارتباط علم الفلك بالتنجيم الدكتور عبد الحميد مدكور في تحقيقه للجزء الخاص بعلم الهيئة من كتاب الشفا لابن سينا، إذ قال: وفي وسعنا أن نقرر أنه لاتكاد توجد دراسة تجريبية أولع بها علماء الإسلام ولوعهم بالظواهر الفلكية، فأسسوا المراصد، واستخدموا آلات الرصد الدقيقة، وقاموا بعدة أرصاد كشفت عن حقائق علمية هامة. وتنافس في ذلك الخلفاء والولاة، فكان لكل خليفة أو وال مرصده الخاص الذي يشرف عليه فلكي كبير، ومن بين هذه المراصد مرصد المأمون في جبل قيسون بدمشق، ومرصد بنىٰ شاكر ببغداد، والمرصد الحاكمي في جبل المقطم بالقاهرة، ومرصد المراغة لنصير الدين الطوسي.ولا غرابة فقد اختلط الفلك بالتنجيم منذ نشأته، وكم من علوم

(١) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، دار الوراق.

(٢) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي: الدكتور علي سامي النشار ص٨، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

حقة نبتت في جو الخرافات والأساطير. وكان الإنسان ولايزال مولعا بتعرف غده والكشف عن حظه ومستقبله، فربط سعادته وشقاءه، وصحته ومرضه، بحركات الأجرام السماوية ورغب في أن يتقىٰ الحروب والآفات بواسطة التنجيم. يتفاءل لمطلع نجم، ويتشاءم لاختفائه، فأفسح المجال للعرافين والمنجمين. ويقال إن المنصور الخليفة العباسي الثاني كان شغوفا بالمنجمين يصطفيهم ويصحبهم في أسفاره ورحلاته، وفىٰ ضوء تنبؤاتهم وضع الحجر الأساسي لمدينة بغداد. وكثيرا ما كان يلجأ الحاكم بأمر الله إلىٰ مرصده لكي يقرأ الطالع ويكشف عن الغيب. وقد سمىٰ التنجيم في الثقافة العربية باسم « علم أحكام النجوم »، وسلم به قوم، وأنكره آخرون...[1].

ومن العجيب أن ينشر هذا الكتاب في قم الشيعية الرافضية، ويكون من منشورات مكتبة من يسمونه اية الله العظمىٰ المرعشي النجفي.

المترجمون للكتب اليونانية:

لقد كان أكثر القائمين علىٰ أمر الترجمة من غير المسلمين، بل لقد نشأ أكابرهم في معاقل السحر والتنجيم، ومواطن عبادة الكواكب، يقول العلماء في ذلك: وإلىٰ جانب مدرسة حران كانت توجد مدرستا الرها ونصيبين.وهما

(١) الشفا لابن سينا الرياضيات وعلم الهيئة: تصدير الدكتورا براهيم ببومىٰ مركور، تحقيق الدكتورمحمدرضا مدور، الدكتور إمام ابراهيم أحمد ص٩، من منشورات مكتبة من يسمونه اية الله العظمىٰ المرعشي النجفي.

منطقتان سريانيتان، وكان يشرف عليها أساتذة من طائفة النصارىٰ النساطرة[١].

أما جند يسابور فقد ظهرت فيها مدرسة كانت مجمعاً لفلسفات عدة: من يونانية، وسريانية، وفارسية، ومن هذه المدرسة ظهر يوحنا بن ماسويه، في أول القرن الثالث الهجرىٰ، حيث جعله المأمون في سنة (٢١٥ هـ) رئيساً لبيت الحكمة الذىٰ أنشئ للترجمة[٢].

وإن طائفة السريان الذين كانوا يقيمون في بلاد الشام، قد استفادوا من مبدأ السماح لأصحاب الديانات المخالفة بالإقامة بين المسلمين وفىٰ بلادهم، مع بقائهم علىٰ دينهم النصرانىٰ، وكانوا قد عرفوا الفلسفة اليونانية، فقاموا بعملية نقل وترجمة الكتب الفلسفية، لمختلف المدارس الفلسفية لاسيما الأفلاطونية المحدثة . وقد فتحوا لذلك عدة مدارس في إنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، ومن ثم تعرف المسلمون علىٰ ذلك الخليط من فلسفة اليونان والرومان الممزوج ببعض تعاليم الديانتين اليهودية والنصرانية[٣].وقد غلبت علىٰ تلك المدارس التي أنشأها السريان في أنطاكية، وحران، والرها، ونصيبين، النزعة النصرانية وكان منهجها يشبه -إلىٰ حد ما- أسلوب مدرسة الإسكندرية في العهد المتأخر، من حيث الاتجاه إلىٰ التوفيق بين النصرانية والفلسفة. وقد اشتهر من رجال مدرسة أنطاكية: يعقوب الرهاوىٰ ت (٧٠٨م)، وبعد ما يقارب

(١) أنظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية / ماكس مابرهوف (٥٣).
(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفىٰ (١/ ١٠٦، ١٠٧)، وضحىٰ الإسلام/ أحمد أمين (١/ ٢٥٦).
(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفىٰ (١/ ١١٠)، وتاريخ الفكر الفلسفىٰ في الإسلام (٦٧)،.

المائة والأربعين سنة انتقل تعليم الفلسفة من مدرسة أنطاكية إلىٰ مدرسة حران، وكانت حران مركزاً من مراكز السريان، وقبل ذلك كانت موئلاً للصابئة، وقد ظهر أثر الصابئة في العالم الإسلامي بما أشاعوه من اهتمام بعلوم الفلك، والسحر، والتعاويذ، وكانت الراسة في مدرسة حران تشمل الفلك والرياضة، والسحر، والفلسفة.[١].

ومع مجيء عصر المأمون انفتح باب الترجمة علىٰ مصراعيه وعمل مالم يعمله سابقوه، بأن قام بترجمة الفلسفة الإلهية – فلسفة أرسطو وغيره • بطريقة مقصودة، مع إعجاب بها، وهو الأمر الذىٰ آثار علىٰ المأمون غيظ فقهاء المسلمين، إذ بسبب صنيعة تسللت العناصر الأجنبية التي سعت في تغيير طريقة النظر في العقيدة الإسلامية. واتسم عصره بأخذ الثقافة من مواردها الأصلية، والبحث عنها في منابتها القاصية، وشجع علىٰ ترجمة أمهات الكتب الأجنبية من مختلف اللغات؛ في الفلسفة والطب والطبيعة والفلك والرياضة.... وقد وثق علاقاته بملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الثمينة، وسألهم صلته بما حضرهم ن كتب أفلاطون وأرسطو... وكان من شروط عقد الصلح بينه وبين الإمبراطور البيزنطىٰ ميخائيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكتبات الأستانة... وازدهرت مكتبة بيت الحكمة، وقد طورها المأمون تطويراً كبيراً عما كانت عليه، وعمل

(١) راجع موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص٢١٤باختصار.

فيها كثير من النقلة عن اللغة اليونانية والسرينية والفارسية والقبطية[١]. .

لقد كانت حركة الترجمة في بداياتها محتشمة، وكان الغرض منها استقصاء التراث العلمىٰ للأمم القديمة، ولذلك عمدوا إلىٰ الفلسفات الطبيعية والرياضية وأعرضوا عن نقل الآثار الدينية، والملاحم.

وظهر الإسلام، واستقر المسلمون في البلاد المفتوحة. وأحس اليهود لأول مرة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة. كان كتاب المسلمين يعتبرهم «أهل ذمة» لهم حقوق وعليهم واجبات. ويعترف فيدا وهو عالم يهودىٰ معاصر بموقف المسلمين لمتسامح أكبر تسامح تجاه اتباع الكتب المقدسة. وصل عدد كبير من اليهود في عصور الإسلام إلىٰ أعلىٰ درجات الوظائف المدنية، وسيصل البعض منهم في الأندلس إلىٰ مقام الوزارة. ولقد رأينا - من قبل - كيف حمل اليهود الأضغان للدين الجديد، وبدءوا العداوة في المدينة. ورأينا كيف اندفع اليهود من اليمن، وكانت في اليمن جالية يهودية كبيرة، انتشرت فيها السيمياء والكيمياء والتنجيم والسحر والطلاسم، وأن منها أتىٰ عبد الله بن سبأ من ناحية، وكعب الأحبار من ناحية ووصل اليهود إلىٰ الكوفة، وسكنوا فيها، وعاونوا علىٰ إشعال «التشيع الغالىٰ» وعلموا الكثير من رجاله السحر والنيرنجات. كما اندسوا في قلب الحديث. ينشرون الإسرائيليات المضللة. ولكن حتىٰ في هذا لم تكن لهم فلسفة أوفكر فلسفىٰ. وأخذ عدد كبير من اليهود يعتنق الإسلام.

---

(١) موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص٢١٤ بتصرف يسير.

وهنا رأىٰ «الكنيس» أن يبدأ الحرب العقلية والجدل العقلىٰ. يقرر مولك أن الحركات العقلية في العالم الإسلامي أثرت بقوة علىٰ الكنيس، وقد ولد هذا نزاعـًا واصطدامـًا، اضطر رجاله من اليهود أن يستخدموا وسائل وأسلحة أخرىٰ – غير الأسلحة المستخدمة في المدارس التلمودية لحل المشاكل التي قابلتهم، مشاكل نظرية، ومشاكل عملية. وكان اليهود خلواً من أي تراث فلسفىٰ، كانت النزعات الفلسفية التي انبثقت من يهود اسما – كفيلون وغيره –لاتمثل اليهودية في شيء. ولذلك نرىٰ أنهم لم يشاركوا في حركة الترجمة المشهورة– ترجمة علوم اليونان إلىٰ العربية، شارك العرب فيها المسيحيون السوريان من يعاقبه ونساطرة، وشارك فيها الصابئة ولكننا لا نجد أبداً اسم يهودىٰ واحد، قام بالترجمة، كان اليهود فقط أصحاب علوم سرية وسحرية: السحر والنيرنجات والسيمياء، مع بعض عناصر من كيمياء بدائية، وامتهن الكثير منهم الطب، فلما جاءت حركة الترجمة، كانوا خلواً من كل استعداد علمىٰ لها، فلم يشاركوا فيها[١].

ويمكننا القول بأن التطور الفكرىٰ الذىٰ يتعلق بعلوم الإلهيات أو ما يسمىٰ ماوراء الطبيعة؛ حدث في زمن يحيىٰ بن خالد البرمكىٰ، الأمير العباسىٰ المشهور من أسرة البرامكة ذات الأصول الفارسية، إذ يذكر السيوطىٰ أنه بعث إلىٰ ملك الروم بالهدايا الكثيرة ، حتىٰ طب منه كتب اليونان التي قد بنىٰ عيها

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار ج ١ ص ٢٠٩.

النصارىٰ، ولم يخرجوها إلىٰ شعوبهم، فوافق[١]..

قال الدكتور النشار: لكن المسألة علىٰ وجهها الصحيح أن ابن المقفع لم يقم بترجمة هذه الكتب ولكن قام بتخليصها كما قلنا. وتقيد في التلخيص بالنص الأصلىٰ تقيداً تامـًا، ولم يحاول مطلقـًا أن يغير من اصطلاحات النص، أو من ترتيب الكتاب - كما هو الشأن عند جميع ملخصىٰ الكتب القديمة في العالم الإسلامي.

وبعد ذلك قام بترجمة كتب أرسطو المنطقية إلىٰ آخر الأشكال الحملية أبو نوح، ثم سلم صاحب بيت الحكمة، وهما نصرانيان من السوريان، وكان الأخير معاصر للمأمون (١٩٨-٢١٨هـ = ٨١٣-٨٣٣م) علىٰ ما يذكر صاحب الفهرست. وقد قام حنين بن إسحاق ومدرسته - بعد سلم - بنقل الأورجانون جميعه من اللغة اليونانية إلىٰ اللغة السريانية ثم الىٰ العربية، أو من اللغة اليونانية إلىٰ العربية مباشرة.وأبرز أفراد تلك الأسرة إن مؤسسها أسحق (٩١٠م) وكان إسحاق نصرانيا كوالده ولكنه أسلم علىٰ يد المكتفىٰ. وترجم إسحاق أكثر أجزاء الأورجانون وقام بترجمة بعض أجزاء الأرجانون أبو بشر متىٰ بن يونس. وفىٰ أول النسخة المصورة لأنالوطيقا الثانية الموجودة في مكتبه جامعة فؤاد يذكر أن ناقلها أبو بشر متىٰ بن يونس القنائىٰ إلىٰ العربىٰ بعد نقل إسحاق بن حنين للنص اليناني إلىٰ السوريانىٰ. كذلك يذكر في أول كتاب العر أن أبا بشر متىٰ بن

(١) انتهىٰ من مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنيبر ص٨٣٥..

يونس نقله من السوريانية إلىٰ العربية. ولمتىٰ أثر كبير في دراسة المنطق أيضاً بحيث يذكر صاعد عن أبي الحسن علىٰ بن إسماعيل بن سيده الأعمىٰ «أنه كان منطقياً وألف كتاباً مبسوطاً في المنطق ذهب فيه إلىٰ مذهب متىٰ بن يونس». ومن بين المترجمين الذين ترجموا بعض أجزاء الأورجانون عبد المسيح بن ناعمة الحمصىٰ. ثم أتىٰ بعد هؤلاء سوريانىٰ آخر له أهمية في ترجمة المنطق هو يحيىٰ بن عدىٰ. (٩٧٤م) وقد سمىٰ المنطقىٰ لشهرته في ترجمة المنطق. ولم يكتف يحيىٰ بن عدىٰ بالترجمة بل اختصر بعض الكتب المنطقية وعلىٰ العموم تُرجم المنطق الأرسطاليسىٰ تراجم عدة ونقل إلىٰ العالم الإسلامي. ووصلت إلينا في العصور الحديثة ترجمة كاملة للأورجانون تحتفظ بها المكتبة الأهلية بباريس. وفىٰ مكتبة جامعة فؤاد نسخة مصورة منها[١].

إن معظم الذين تولّوا ترجمة الكتب القديمة إلىٰ اللغة العربية، هم من أهل الذمة، وقلة منهم من المسلمين، كالفيلسوف يعقوب الكندي، و أما الذميون فمنهم: يوحنا بن ماسويه، و حنين بن إسحاق، و إسحاق بن حنين، و حبيش بن الأعسم، **وثابت بن قرة الصابئ**، و يحيىٰ بن البطريق، و اقليدس بن ناعمة، و زروبا بن ماجوه الحمصي، و آوي بن أيوب، وأصطفن بن باسيل، و صليبا أيوب الرهاوي، و داريع الراهب، و غيرهم كثير.

وأما ما ترجمه هؤلاء من علوم الأوائل، فتأتي الفلسفة اليونانية في مقدمتها،

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار ٢٠٩.

و كانت تظم أربعة علوم رئيسية، أولها المنطق، و ثانيها الطبيعيات كالحيوانات، و النباتات، و الأجسام و المحسوسات.و ثالثها الإلهيات -الميتافيزيقا- و هي خاصة بغيبيات ما وراء الطبيعة.و رابعها المقادير، و تسمىٰ أيضا: التعاليم، و تشمل عدة علوم، كالهندسة، و الأثماطيقي -العدد-، و الموسيقىٰ و الهيئة -علم الفلك وأشير هنا إلىٰ أن عملية ترجمة العلوم القديمة إلىٰ اللغة العربية صاحبتها نقائص كثيرة، و كانت لها آثار سلبية خطيرة علىٰ المجتمع الإسلامي....بعدما تُرجمت الفلسفة اليونانية إلىٰ اللغة العربية، أقبل عليها طائفة من أهل العلم، فتأثروا بها و أحبوها وانتموا إليها، و نشروها في مختلف الأمصار الإسلامية، بفضل نشاطهم الدؤوب، و كثرة مصنفاتهم الفلسفية.

فمن رجالها الأوائل في القرن الثاني الهجري: والي حلب إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي العباسي، كان يعرف الفلسفة و النجوم و يضرب آلة العود . و الثاني هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي المتفلسف الزنديق. و الثالث: جابر بن حيان (ت٢٠٠ه)، صنف كتبا كثيرة في علوم الأوائل، كالكيمياء، و الهيئة و الطب، و الفلسفة، منها: مصححات سقراط، و مصححات أفلاطون، و مصححات أرسطو، و ذكر ابن النديم أن مصنفات جابر في الفلسفة زادت عن ٢٩٥ كتابا.

و في القرن الثالث الهجري اشتهر من رجالها بالمشرق الإسلامي خمسة، أولهم الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد، و بأمره تُرجم معظم تراث علوم

الأوائل، و كان مطلعا عليه، مزج بينه و بين علوم المسلمين.و ثانيهم الفيلسوف يعقوب الكندي البغدادي، كان من كبار المترجمين، و له مصنفات كثيرة في الفلسفة، منها: الحث علىٰ تعلّم الفلسفة، و كتاب الفلسفة الأولىٰ، و ترتيب كتب أرسطو، و كتاب لا تنال الفلسفة إلا بالرياضيات .و ثالثهم قدامة بن جعفر، برع في المنطق و كان من الفلاسفة البلغاء.و رابعهم أبو معشر جعفر بن محمد البلخي البغدادي (ت٢٧٢ ه)، قرأ علوم الأوائل، و برع في علم النجوم، و صنف فيها كتبا، منها: كتاب المواليد الكبير، و هيئة الفلك، و الاختيارات في منازل القمر . و آخرهم: احمد بن الطيب السرخسي البغدادي (ت ٢٨٦ ه)، هو تلميذ يعقوب الكندي، له مصنفات كثيرة في الفلسفة، منها: اختصار إيساغوجي لفرفوريوس، و اختصار كتاب فاطيو غورياس، و اختصار كتاب باريرميناس، و اختصار كتاب أنالوطقيا الأولىٰ.

و أما رجالها في القرن الرابع الهجري، فأشهرهم أربعة، أولهم الطبيب أبو بكر بن زكريا الرازي ثم البغدادي، له كتب كثيرة في الطب و الهندسة و الفلك، و المنطق و الإلهيات، منها: المدخل إلىٰ المنطق و الكيمياء، و هيئة العالم، ذكر فيه أن الأرض كروية، و أنها تتوسط الفلك، و أن الشمس أعظم من الأرض، و القمر أصغر منها.و له كتابان آخران رد فيهما علىٰ المتكلم المعتزلي الجاحظ، في انتقاداته للفلاسفة . و الثاني هو: أبو نصر محمد الفارابي (٣٣٩ه)، له مصنفات كثيرة في الرياضي و الإلهي، و هو الذي أعاد تلخيص و تهذيب

علوم الأوائل، عندما طلب منه ذلك أحد ملوك زمانه، فسمي عمله هذا بالتعليم الثاني، و سمي هو بالمعلم الثاني، و علىٰ مؤلفاته تخرّج الفيلسوف ابن سينا و من جاء بعده من الفلاسف و ثالثهم الوزير أبو الفضل بن العميد (ت ٣٦٠ه)، كان أديبا متفلسفا، مطلعا علىٰ علوم الأوائل . و أبو حيان التوحيدي (ت بعد: ٤٠٠ه)، له مصنفات في الأدب و الفلسفة، منها كتاب كبير في تصوّف الحكماء و الفلاسفة . و يُلحق بهؤلاء أصحاب رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء، و هم جماعة مزجوا بين الفلسفة و الإسلام، وفق منهاجهم الباطني الإسماعيلي، عاشوا في القرن الرابع الهجري، منهم: زيد بن رفاعة، و أبو محمد النهرجوري، و علي بن هارون الزنجاني [1].

جاء في كتاب موقف شيخ الإسلام من الفلسفة ما يلي: وأشير في هذا المقام إلىٰ جملة أمور لها علاقة وطيدة بالفلسفة اليونانية و رجالها.

أولها أنه توجد طائفة من الفلاسفة عاشوا بين المسلمين و هم من أهل الذمة، و كان لهم دور بارز في خدمة الفلسفة اليونانية و نشرها بين المسلمين، منهم ثلاثة من أسرة واحدة، هم: المنجم ثابت بن قرة (ت٢٨٨ه)، و ابنه إبراهيم، و حفيده الطبيب ثابت بن سنان، و كانوا كلهم علىٰ دين الصابئة عبدة الكواكب. و رابعهم أبو بشر متىٰ بن يونس البغدادي (ق: ٤ه)، كانت له حلقة ببغداد يُدرّس فيها المنطق، يحضرها مئات من المشتغلين بالمنطق، و من تلامذته المشهورين

(١) انتهىٰ من مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنيبر ص٨٣٥.

أبو نصر الفارابي.

والأمر الثالث: هو أن المنطق اليوناني شهد انتشارا واسعا بين أهل العلم في القرن السادس الهجري و ما بعده، منذ أن أدخله أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥ ه) في أصول الفقه، وحثّ عليه و جعله مدخلا لكل العلوم، و من لم يحط به فلا ثقة في علمه حسب زعمه، وبتأثير منه -أي الغزالي- أقبل كثير من أهل العلم علىٰ المنطق الصوري و تنافسوا فيه، وقد أحصيت لهم أكثر من ثلاثين كتابا صنفوه في المنطق . و لاشك أن ما فعله هؤلاء هو خدمة كبيرة للفلسفة اليونانية، وانتصار كبير لها في تغلغلها بين أهل العلم المسلمين، وفي تأثيرها علىٰ الفكر الإسلامي و غزوه. [١]..

وقال القفطي: موسىٰ بن شاكر مقدم فِي علم الهندسة هو وبنوه محمد بن موسىٰ وأحمد أخوه والسن أخوهما وكانوا جميعاً متقدمين فِي النوع الرياضي وهيئة الأفلاك وحركات النجوم وَكَانَ موسىٰ بن شاكر هَذَا مشهوراً فِي منجمي المأمون وَكَانَ بنوه الثلاثة أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ولهم فِي ذَلِكَ تآليف عجيبة تعرف بحيل بني موسىٰ وهي شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس وهم مم تناهىٰ فِي طلب العلوم القديمة وبذل فِيهَا الرغائب وَقَدْ أتعبوا نفوسهم فِيهَا وأنفذوا إِلَىٰ بلاد الروم من أخرجها إِلَيْهِم فأحضروا

(١) موقف شيخ الإسلام من الفلسفة: للغامدي ص٢١٤ بتصرف يسير، مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال٢٨٠، دار المحتسب، ٢٠٠٨م. مراحل نقل العلوم الفلسفية: للدكتور خالد الشنيبر ص٨٣٥.

النقلة من الأصقاع والأماكن بالبدل السني فأظهروا عجائب الحكمة وَكَانَ الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقىٰ والنجوم، وتوفي ولده محمد بن موسىٰ وهو الأجل فِي سنة تسع وخمسين ومائتين فِي شهر ربيع الأول وَكَانَ لأحمد بن موسىٰ ولد يقال لَهُ مطهر قليل الأدب، ودخل فِي جملة ندماء المعتضد ولي موسىٰ من الكتب. كتاب الفرسطون. كتاب الحيل لأحمد بن موسىٰ. كتاب الشكل لمدور المستطيل للحسن بن موسىٰ. كتاب حركة الأفلام الأولىٰ مقالة لمحمد بن موسىٰ. كتاب مخروطات لمينوس لمحمد. كتاب الشكل الهندسي الَّذِي بَيْنَ جالينوس أمره. كتاب الجزء لمحمد. كتاب فِي أول العدل لمحمد. كتاب فِي إنكار أن تم كرة تاسعة الأفلاك لأحمد بن موسىٰ. كتاب لمسألة الَّتِي ألقاها أحمد بن موسىٰ عَلَىٰ سند ابن علي. كتاب مساحة الكرة وقسمة الزاوية بثلاث أقسام متساوية[١].

عصر المأمون[٢] والتوسع في الترجمة:

(١) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال ص٢٨٠.

(٢) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ممن عُني بالفلسفة، وعلوم الأوائل، ومهر فيها، واجتمع عليه جمع من علمائها، فجره ذلك إلىٰ القول بخلق القرآن. وذكر المؤرخون أنه كان بارعًا في الفقه، والعربية، وأيام الناس، وكان ذا حزمٍ، وحُكم، وعلم، ودهاء، وهيبة وذكاء، وسماحة، وفطنة، وفصاحة، قيل: إن ملاحًا مر والمأمون جالس، فقال: أتظنون أن هذا ينبل في عيني، وقد قتل أخاه الأمين؟ فسمعه المأمون، وظن الحاضرون أنه سيقضي عليه، فلم يزد علىٰ أن تبسم، وقال: ما الحيلة حتىٰ أنبل في عين هذا السيد الجليل.، وجره القليل الذي كان يدريه من علوم الأوائل، إلىٰ القول بخلق القرآن، قال الذهبي رحمه الله: في سنة ٢٢١ه كتب المأمون إلىٰ متولي بغداد ليمتحن الناس(أي في القول بخلق القرآن). فامتحن عفان. وكتب المأمون: فإن

ثم توسعت أكثر في أيام الخليفة المأمون المعتزلي المتشيع (١٩٨-٢١٨ه)، بشكل أكبر و منظم، فأرسل إلىٰ ملوك بلاد الروم يطلب منهم الكتب القديمة، ليترجمها إلىٰ اللغة العربية، فأرسلوا إليه كتبا كثيرة، من مصنفات فلاسفة اليونان و غيرهم من العلماء[١]..

وقد ذكر القفطي قصة للمأمون في ذلك، قال القفطي: حكىٰ محمد بن إسحاق النديم فِي كتابه أن المأمون رأىٰ فِي منامه كَأَنَّ رجلاً أبيض مشربـًا بحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين أجلح الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالس عَلَىٰ سريره قال المأمون وكأني بَيْنَ يديه وَقَدْ ملئت لَهُ هيبة فقلت لَهُ من أنت فقال أنا أرسطوطاليس فسررت بِهِ وقلت أَيُّها الحكيم أسألك قال سل قلن مَا الحسن قال مَا حسن فِي العقل قلت ثُمَّ مَاذَا قال مَا حسن فِي الشرع فقلت ثُمَّ مَاذَا ثُمَّ لا ثُمَّ قلت زدني فقال من يصحبك فِي الذهب فليكن عندك كالذهب

لم يجب عفان فاقطع رزقه. وكان له في الشهر خمس مئة درهم. فلم يجبهم وقال: « وفي السماء رزقكم وما توعدون «.كما جره اليسير الذي كان يدريه في الفقه، إلىٰ القول بإباحة متعة النساء، ثم لم يزل به يحيىٰ بن أكثم، رحمه الله تعالىٰ، حتىٰ أبطلها، وروىٰ له حديث الزهري، عن ابني الحنفية، عن أبيها محمد بن علي، رضىٰ الله عنه، أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهىٰ عن متعة النساء يوم خيبر. فلما صح له الحديث، رجع إلىٰ الحق.وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها، وكان قد ابتدأ بالكلام فيها، في سنة اثنتي عشرة، ولكن لم يصمم ويحمل الناس، إلا سنة ثمان عشرة، ثم عوجل ولم يمهل، بل توجه غازيـًا إلىٰ أرض الروم، فمرض، ومات، في سنة ثمان عشرة ومائتين. انتهىٰ مختصرا من الطبقات السنية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٨٩)، العبر في خبر من غبر - (ج ١ / ص ٧١).

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء - (ج ١ / ص ١٣٦).

وعليك بالتوحيد فلما استيقظ المأمون من منامه حدثته نفسه وحثته همته عَلَىٰ تطلب كتب أرسطوطاليس، فلم يجد منها شيئًا ببلاد الإسلام، قال غير ابن إسحاق فراسل المأمون ملك الروم، وَكَانَ قَدْ استطال عَلَيْهِ وأذل دين الكفر، وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس فطلبها ملك الروم فلم يجدها ببلاده، فاغتم لذلك، وقال يطلب مني ملك المسلمين علم سلفي من يونان فلا أجده أي عذر يكون لي أم أي قيمة تبقىٰ لهذه الفرقة الرومية عند المسلمين، وأخذ فِي السؤال والبحث فحضر إِلَيْهِ أحد الرهبان المتقطعين فِي بعض الأديرة النازحة عن القسطنطينية، وقال لَهُ عندي علم مَا تريد فقال لَهُ أدركني فقال إِن البيت الفلاني فِي موضع كذا الَّذِي يقفل كل ملك عَلَيْهِ قفلاً إِذَا ملك مَا فِيهِ عَلَىٰ مَا يقال مال الملوك، وكل ملك يجيء يقفل عَلَيْهِ حَتَّىٰ لا يقال قَدْ احتاج إِلَىٰ مَا فِيهِ لسوء تدبيره ففتحه، فقال لَهُ الراهب لَيْسَ الأمر كذلك، وإنما فِي ذَلِكَ الموضع هيكل كَانَتْ يونان تتعبد فِيهِ قبل استقرار ملة المسيح، فلما تقررت ملته بهذه الجهات فِي أيام قسطنطين جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس، وجعلت فِي ذَلِكَ البيت، وأغلق بابه، وقفل الملوك عَلَيْهِ أقفالاً كما سمعت، فجمع الملك مقدمي دولته وعرفهم الأمر واستشارهم فِي فتح البيت فأشاروا بذلك، فاستشار الراهب فِي تسييرها إِذَا وجدت إِلَىٰ بلد الإسلام، وَهل عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ خطر فِي الدنيا، أو إثم فِي الأخرىٰ فقال لَهُ الراهب سيرها فإنك تثاب عَلَيْهِ، فإنها مَا دخلت فِي ملة إِلاَّ وزلزلت قواعدها، فسار إِلَىٰ البيت، وفتحه

ووجد الأمر فِيهِ كما ذكر الراهب، ووجدوا فِيهِ كتبًا كثيرة، فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال، وسيرت إِلَىٰ المأمون، فأحضر لَهَا المأمون المترجمين، فاستخرجوها من الرومية إِلَىٰ العربية، ثُمَّ تنبه الناس بعد ذَلِكَ عَلَىٰ تطلبها بعد المأمون، وتحيلوا إِلَىٰ أن حصلوا منها الجملة الكثيرة، ولما سيرت الكتب إِلَىٰ المأمون جاء بعضها تامًا وبعضها ناقصًا، فالناقص منها ناقص إِلَىٰ اليوم لَمْ يجد أحد تمامه(١).

وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني نزيل بغداد وَكَانَ نبيهًا فِي هَذِهِ الفرقة أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم: حُنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وعيهم لهم فِي الشهر خمسمائة دينار للنقل والترجمة والملازمة(٢).

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء - (ج ١ / ص ١٨).

(٢) أخبار العلماء بأخيار الحكماء - (ج ١ / ص ١٣٦) وفيه أيضا: ذكر محمد بن إسحاق النديم: قال سمعت أبا إسحاق بن شهرام يحدث فِي مجلس عام: أن ببلد الروم هيكلاً قديم البناء عَلَيْهِ باب لَمْ يرقط أعظم منه بمصراعي حديد، كَانَ اليونانيون قديمًا عند عبادتهم يعظمونه، ويدعون فِيهِ، قال: فسألت ملك الروم أن يفتحه فامتنع عن ذَلِكَ؛ لأنه أغلق منذ وقت تنصرت الروم فلم أزل بِهِ أراسله وأسأله شفاهًا عند حضور مجلسه قال فتقدم بفتحه وإذا ذَلِكَ البيت من المرمر والصخر العظام ألوانًا وعليه من الكتابات والنقوش ما لَمْ أر وَلَمْ أسمع بمثله كثرة وحسنًا وَفِي هَذَا الهيكل من الكتب القديمة مَا يحمل عَلَىٰ عدة أحمال وكثر ذَلِكَ حَتَّىٰ قال عَلَىٰ ألف جمل بعض ذَلِكَ قَدْ أخلق وبعضه عَلَىٰ حاله وبعضه قَدْ أكلته الأرضة قال ورأيت فِيهِ من آلات القرابين من الذهب وغيره أشياء ظريفة قال وأغلق الباب بعد خروجي وامتن عَلي بما يفعل معي من ذَلِكَ قال وذلك فِي أيام سيف الدولة رحمه الله قال والبيت عَلَىٰ ثلاثة أيام من القسطنطينية والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابئة الكلدانيين قَدْ أقرهم الروم عَلَىٰ مذهبهم ويأخذون منهم الجزية.

وممن اشتهر بالتنجيم، وجمع كتبه: الفضل بن سهل ذو الرياستين[١] وزير المأمون[٢]، قال الذهبي: قتله بعض أعدائه في حمام بسرخس. فانزعج المأمون وتأسف عليه. وقتل به جماعة. وكان من مسلمة المجوس.ت ٢٠٣ .[٣].

قال ابن طاووس: ومن المعلومين بعلم النجوم والمصنفين فيها من اتباع بعض أهل البيت، من ذكره محمد بن إسحاق النديم في الجزء الرابع من الفهرست، فقال: ما هذا لفظه ابن قرة ويكنىٰ أبا علي كان منجماً للعلوي المصري وذكر كتباً من تصانيفه.

وممن اشتهر بعلم النجوم من المنسوبين إلىٰ مذهب الإمامية الفضل بن سهل وزير المأمون الذي تعصب لمولانا الرضا صلوات الله عليه، أبلغ العصبية،

(١) في معجم الشعراء - (ج ١ / ص ٥٨) ولقب ذا الرياستين لأنه دبر أمر السيف والقلم.

(٢) لم يكن المأمون من أهل السنة، بل كان رافضيا، معتزليا، معتقدا في النجوم، معظما لتراث اليونان كل داء له داء، وقد جمع أنواعا من الشرور، قتل أخيه الأمين السني علىٰ الملك، وتأثر بمعلمة الجعد بن درهم، وأخذ من ضلالاته، والجعد رجل ضال معطل، ضحىٰ به خالد القسري رحمه الله، أما الأمين فهو: محمد بن هارون أمير المؤمنين أبو عبد الله الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة، أبيض طويلاً، ذا قوة مفرطة، وبطش، وشجاعة معروفة، وفصاحة وأدب وفضل وبلاغة لكن سيء الرأي....قال المسعودي: ولم يل الخلافة إلىٰ وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوىٰ الحسن، وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والأمين؛ لأنه ابن زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، عاش سبعاً وعشرين سنة، وآخر أمره خلع، ثم أسر، وقتل صبراً في المحرم سنة تسع وتسعين ومائة، وطيف برأسه لأنه في سنة خمس وتسعين خلع المأمون أخاه، وعقد الولاية لولده موسىٰ وهو طفل. الوافي بالوفيات - (ج ٢ / ص ١٣٩).

(٣) العبر في خبر من غبر: للذهبي - (ج ١ / ص ٦٣).

وقد ذكره جدي أبو جعفر الطوسي في كتاب الرجال من أصحاب الرضىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد ذكرنا فيما تقدم ما يدل علىٰ علمه بها.ونزيد ههنا ما يدل علىٰ بعض إصاباته في أحكامها ودلائلها، فنقول قدروي صاحب التاريخ محمد بن عبدوس الجهشياري وغيره ما معناه، أنه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع، واضطربت خراسان، وطلب جند المأمون وصعد المأمون إلىٰ منظرة للخوف علىٰ نفسه من جنده، ومعه الفضل، وقد ضاق عليه مجال التدبير وعزم علىٰ مفارقة ما هو فيه، أخذ الفضل طالعه ورفع اسطرلابه[1] فقال له ما تنزل هذه المنزلة إلا خليفة غالبًا، لأخيك الأمين، فلا تعجل وما زال يسكنه ويثبته حتىٰ ورد عليهم في تلك الساعة رأس ابن ماهان وقد قتله طاهر وثبته حتىٰ ورد عليهم في تلك الساعة رأس ابن ماهان وقد قتله طاهر وثبت ملكه وزال ما كان يخافه وظفر بالأمان.ومن إصابات الفضل بن سهل ما ذكره الطبري وابن مسكويه في تاريخها، فقالا في أخبار المأمون ما هذا معناه، أن المأمون لما استشار الفضل بن سهل في أمر الأمين، وكان الفضل ينظر في النجوم وكان جيد المعرفة بأحكامها فرأىٰ الغلبة لعبد الله المأمون والعاقبة له، عرف المأمون بذلك فوطن نفسه علىٰ محاربة الأمين ومناجزته.[2].

(١) والاسطرلاب: هي الأداة التي تحدد الاتجاهات في البحر، وتعرف بها حركة النجوم، و إذا صحت هذه القصة، فإن هذه الآلة لها منافعها وفوائدها التي يحمدها الشرع، ولكن المنجمين يستخدمونه في علمهم الباطل.

(٢) فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم: ابن طاووس، منشورات الرضي قم، ١٣٦٨هـ=١٩٤٩م.

ونقول هنا: إن المتتبع للتاريخ من عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تزول الوحي، وانتشار السنة، و تمسك الصحابة وتابعيهم، وتابعي تابعيهم بالوحي الإلهي والسنة النبوية، يرىٰ أنه كلما تأخر الزمان زاد البعد عن الوحي الإلهي والهدىٰ النبوىٰ، وأن الاحتساب يتفاوت من زمن إلىٰ زمن، ومن جيل إلىٰ جيل، ومن دولة إلىٰ أخرىٰ، وفي زمان المأموم انتشر أمر التنجيم، وقرب المأمون إليه المنجمين، وفي زماننا هذا انتشر هذا الأمر في بعض البلدان والأقطار حتىٰ عمت فيها جاهلية جهلاء.

ولقد تعجب ابن طاووس الرافضي، المعتقد في النجوم، من عدم معرفة ذي الرياستين، بطريق النجاة، وكيف غاب عنه السبيل وهو الناظر في النجوم فقال: أقول وكنت لما وجدت الأخبار متظافرة بمعرفة الفضل بن سهل في النجوم أتعجب كيف ما دلته معرفة علىٰ ما يحذر عليه من القطع والقتل، وكيف أحتاج إلىٰ تعريف أخيه الحسن بالقطع عليه حتىٰ رأيت بعد ذلك في كتاب « الوزراء « جمع عبد الرحمن بن المبارك ما هذا لفظه: وذكر أبو عيسىٰ محمد بن سعيد، أنه وجد علىٰ كتاب من كتب ذي الرياستين يخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة، وإلىٰ الله نرغب في دفعها، وإن صح من حساب الفلك فيها شيء فالأمر واقع لا محالة، ونسأل الله أن يختم لنا بخير بمنه تعالىٰ، وكان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة يوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا ويجتنب فيه

.

كذا، فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه التقويم فجعل يوقع فيه ما يصلح وما يجتنب، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ اليوم الذي قتل فيه، قال أفٍ لهذا اليوم ما أشره، ثم قال عبد الرحمن بعد أحاديث ذكرها عن أخت الفضل قالت: دخل الفضل إلىٰ أمه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقعد إلىٰ جانبها وجعل يعظها ويعزيها عن نفسه، ويذكرها حوادث الدهر ثم قبل صدرها وثدييها، وودعها وداع المفارق، ثم قام فخرج قلقًا منزعجًا لما دخل عليه من الحساب، وجعل ينتقل من موضع إلىٰ موضع، ومن مجلس إلىٰ مجلس، وامتنع عليه النوم، فلما كان في السحر قام إلىٰ الحمام...فقدمت له بغلة فركبها، وكانت الحمام في آخر البستان، فكبت به البغلة فسره ذلك، وقدر أنها هي النكبة التي كان يتخوفها ثم مشىٰ إلىٰ الحمام، ولم يزل ماشيًا حتىٰ دخل الحمام فاغتسل فيها فقتل.[1].

وهذا الذي عجب منه الرافضي المؤمن بالكوكب الكافر بالله، لا نعجب نحن منه، إن هذا الرجل الذي شهدوا له بالتكهن، والتنجيم لم يستطع أن ينفع نفسه، ولا أن يحييها من الهلكة، ولا أن يبعد عنها حتفها، بل مات بالحمام مقتولا.بل لقد ظن من جهلة أن السقطة التي سقطها، هي البلية التي حدثه عنها شيطانه، وانها نازلة به، وهذا حال الشيطان الكذوب مع أوليائه، فالشيطان يسرق الأخبار، ويسترق السمع، ويتسمع للملائكة مع خوفه من الشهب، فلا

(١) فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم - (ج ١ / ص ٥٥).

يحيط بالأمر كاملا فيسرق ما يسرق، ويسترق ما يسترق ثم يخدع وليه الإنسي، فيضخم له الخبر بالكذب.

إن هذه القصة التي يرويها ذلك المعتقد في النجوم وكذلك ينقلها غيره، تبين ما جاء في الوحي المطهر أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن المنجمين والكهان، يصدقون مرة، ويكذبون مرات كثيرة، وأن الشياطين تلقىٰ إليهم مع كلمة الصدق مائة كذبه..

التبرك والاستمداد من قبر أرسطو:

قال القفطي: وكانت لَأرسطو من الملوك كرامات عظيمة ومنزلة رفيعة، ونقل أهل مدينة أسكاغيرا رمته وجمعوا عظامه بعد مَا بليت وصيروها فِي إناء من نحاس، ودفنوها فِي الموضع المعروف بالأرسطوطاليس، وصيروه مجمعاً لهم يجتمعون فِيهِ للمشاورة فِي جلائل الأمور، وَمَا يحزنهم، ويستريحون إِلَىٰ قبره، فإذا أصابهم صائب، وصعب عليهم شيء من فنون الحكمة والعلم أتوا ذَلِكَ الموضع، وجلسوا إِلَيْهِ، وتناظروا فيما بينهم حَتَّىٰ يستنبطوا مَا أشكل عليهم، ويصح لهم مَا شجر بَيْنَهم، وكانوا يرون أن مجيئهم إِلَىٰ الموضع الَّذِي فِيهِ عظام أرسطوطاليس يذكي عقولهم، ويصحح فكرهم، ويلطف أذهانهم، وأيضاً يكون تعظيماً لَهُ بعد موته، وأسفاً عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ شدة فراقه، وَمَا فقدوه من ينابيع حكمته[1]..

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء - (ج ١ / ص ٢٥).

هذا ما يفعله قوم أرسطو، إنهم يلجأون إلىٰ القبور، وهذا أيضا ما يحدث من أقوام في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتبركون بالقبور ويتمسحون بها، ويطلبون منها الحاجات. وهذه علاقة عجيبة بين الفلسفة اليونانية، والسحر وعبادة الكواكب، والتعلق بالقبور.

سحر اليونان:

وقال شيخ الإسلام: كَمَا تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ بَعْضِ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ وَيَرْصُدُهَا حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْهِ صُورَةٌ فَتُخَاطِبُهُ. وَهُوَ شَيْطَانٌ مِنْ الشَّيَاطِينِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدُوا عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ وَمُوَالَاتَهُ وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَعْبُدُونَهُ وَيُوَالُونَهُ. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةَ الصَّابِئَةَ الْمُبْتَدِعَةَ مُؤْمِنُونَ بِقَلِيلِ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ؛ فِي صِفَتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ. وَذَلِكَ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إنَّمَا سَلَكُوا سَبِيلَ الِاسْتِدْلَالِ بِالْحَرَكَاتِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْقِيَاسِ عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ؛ مَعَ مَا جَحَدُوهُ وَجَهِلُوهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَإِبْدَاعِهِ[1].

وذكر شيخ الإسلام أن أرسطو وأمثاله من الفلاسفة كانوا يعبدون الكواكب، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ حُكَمَاءُ «الْيُونَانِ» مِثْلُ أَرِسْطُو وَأَمْثَالِهِ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ

(١) من مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ١ / ص ٣١٩).

الْأَصْنَامَ وَالْكَوَاكِبَ وَكَانَ أَرِسْطُو قَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ[١]..

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٣٠٧) وَأُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَبْنُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ وَيَدْعُونَهَا بِأَنْوَاعِ الدَّعَوَاتِ.كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَمَا صُنِّفَ عَلَىٰ طَرِيقِهِمْ مِنْ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الشِّرْكِ، وَالسِّحْرِ، وَدَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ، وَالْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ الَّتِي بِهَا يُعَظِّمُ إبْلِيسُ وَجُنُودُهُ. وَكَانَ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِ الشِّرْكِ وَالسِّحْرِ يُغْوِيهِمْ بِأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي دَعَتْهُمْ إلَىٰ ذَلِكَ الشِّرْكِ، وَالسِّحْرِ، وَكَانُوا يَرْصُدُونَ الْكَوَاكِبَ لِيَتَعَلَّمُوا مَقَادِيرَهَا، وَمَقَادِيرَ حَرَكَاتِهَا، وَمَا بَيْنَ بَعْضِهَا مِنْ الِاتِّصَالَاتِ مُسْتَعِينِينَ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَا يَرَوْنَهُ مُنَاسِبًا لَهَا.وَأَمَّا قُدَمَاءُ الْيُونَانِ فَكَانُوا مُشْرِكِينَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ شِرْكًا، وَسِحْرًا، يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَالْأَصْنَامَ، وَلِهَذَا عَظُمَتْ عِنَايَتُهُمْ بِعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْكَوَاكِبِ لِأَجْلِ عِبَادَتِهَا. وَكَانُوا يَبْنُونَ لَهَا الْهَيَاكِلَ وَكَانَ آخِرُ مُلُوكِهِمْ (بَطْلَيْمُوس صَاحِبَ « الْمَجِسْطِي »[٢]..

العلاقة بين التعطيل والسحر:

لقد بين شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ارتباط السحر بالفساد العقدي، ليس في باب الشرك في الربوبية والشرك في العبادة فحسب، بل إن الفساد الذي دخل علىٰ الناس في توحيد الأسماء والصفات مرتبط بالسحر، وقد بين شيخ الاسلام ومن

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٢ / ص ٤٨٠).
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ٤ / ص ١٠).

قبله ابن عساكر تسلسل مقالة التعطيل بالسحرة، ورجوعها إلىٰ مراكز السحر في حران التي كان منها المترجمون لكتب اليونان، جاء في مجموع فتاوىٰ ابن تيمية: فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ -أَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ عَلَىٰ الْعَرْشِ حَقِيقَةً وَأَنَّ مَعْنَىٰ اسْتَوَىٰ بِمَعْنَىٰ اسْتَوْلَىٰ وَنَحْوَ ذَلِكَ- هُوَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ وَأَخَذَهَا عَنْهُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ؛ وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مُقَالَةُ الجهمية إلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ إنَّ الْجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ: الْيَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ هَذَا -فِيمَا قِيلَ- مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ الصَّابِئَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ -بَقَايَا أَهْلِ دِينِ نمرود والكنعانيين الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ- ونمرود هُوَ مَلِكُ الصَّابِئَةِ الْكَلْدَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ[1].

أرسطو يعتقد أن الهياكل مواطن وحي الله:

قال القفطي: وقال بطليموس الغريب أن تسليم أرسطوطاليس إِلَىٰ أفلاطون كَانَ يوحي من الله في هيكل بوثيون[2]. وهي لا شك مواطن وحي الشياطين.

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية - (ج ١ / ص ٤٠٦).وسيأتي بسط ذلك إن شاء الله في كتاب احتساب شيخ الإسلام علىٰ السحرة والمنجمين والكهان والشياطين.

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ج ١ / ص ١٩).

المبحث الثالث: احتساب أئمة أتباع التابعين على الكتب المترجمة وما حوته من سحر وتنجيم وضلال

لقد ترجمت الكتب اليونانية وانتشرت لرعاية بعض خلفاء الدولة العباسية لها، ثم زاد الشر حينما شيدت دارا هي دار الحكمة تجلب هذه الكتب وترعىٰ مترجميها، وترتب لهم الأرزاق.

قال شيخ الاسلام: ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتْ الْكُتُبُ الرُّومِيَّةُ وَالْيُونَانِيَّةُ فِي حُدُودِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ: زَادَ الْبَلَاءُ؛ مَعَ مَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الضُّلَّالِ ابْتِدَاءً مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ: انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الجهمية؛ بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ المريسي وَطَبَقَتِهِ وَكَلَامِ الْأَئِمَّةِ مِثْلَ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عيينة وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَبِي يُوسُفَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد وَإِسْحَاقَ والفضيل بْنِ عِيَاضٍ وَبِشْرٍ الْحَافِي وَغَيْرِهِمْ: كَثِيرٌ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ. وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ - مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فورك فِي كِتَابِ التَّأْوِيلَاتِ وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرازي فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ » وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلَامِ خَلْقٍ كَثِيرٍ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ أَبِي عَلِيٍّ الجبائي وَعَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَد الهمداني وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ - هِيَ بِعَيْنِهَا تَأْوِيلَاتُ بِشْرٍ المريسي الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلَامِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَإِبْطَالُهُ أَيْضًا وَلَهُمْ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ. فَإِنَّمَا بَيَّنْت أَنَّ

عَيْنَ تَأْوِيلَاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلَاتِ بِشْرٍ المريسي[١].

المقاومة السنية العلمية للفلسفة اليونانية[٢]:

لما تُرجمت الفلسفة اليونانية إلىٰ اللغة العربية، وانتشرت بين طائفة من المسلمين، وتبين لأهل السنة أنها تخالف دين الإسلام ظاهرا و باطنا، وأنها تمثل خطرا عليه و عليهم، تحركوا للتصدي لها علميا و عمليا، فتجلّت مقاومتهم العلمية لها في مظاهر كثيرة، منها:

أولا: رفض الفلسفة اليونانية و تكفير رجالها و التحذير منهم:

تمثّلت أول خطوة في مقاومة السنيين للفلسفة اليونانية، في إظهار الموقف الشرعي منها و من رجالها، و موقفهم هذا لابد منه، لأن المسلم محكوم في سلوكه و أفكاره بالشرع الحكيم. فمن ذلك أن الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ ه) ذكر أن علماء السلف ذموا علوم الأوائل – و منها الفلسفة – لأنها تُؤدي إلىٰ مخالفة الشرع. و قد حكىٰ المحققان ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ه)، و ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ه): أن علماء أهل السنة أجمعوا علىٰ تكفير الفلاسفة القائلين بقدم العالم، والمنكرين للمعاد الجسماني يوم القيامة.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية – (ج ١ / ص ٤٠٦)..

(٢) تفصيل ذلك وبسطه تجده في مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال.

ثانيا: عدم قبول روايات الفلاسفة في الحديث النبوي:

نص كبار علماء الحديث النبوي علىٰ عدم قبول روايات الفلاسفة إذا ما رووا السنة النبوية، وهذا جرح وإقصاء لهم من أن يكونوا من رواة الميراث النبوي الشريف، وبمعنىٰ آخر أنهم ليسوا أهلا لذلك، لفقدهم شرط العدالة الذي وضعه علماء مصطلح الحديث.وقد سبق وأن بيّنا أن علماء أهل السنة قد كفّروا الفلاسفة المسلمين المشائين، لمعتقداتهم المناقضة لدين الإسلام. واكتفىٰ طائفة منهم بالمعارضة المجملة للفلسفة اليونانية، دون الرد المفصل علىٰ أصولها وجزئياتها.؛ اعتقادا منهم أن موقفهم هذا كاف للرد عليها و وقف انتشارها، خاصة و أنها تتعارض مع كثير من أصول دين الإسلام، و هذا –في اعتقادهم – كاف لمقاومتها و الحد من انتشارها. و موقفهم هذا صحيح إلىٰ حد كبير، يُقنع كثيرا من أهل العلم و عامة الناس، لكنه لا يُقنع أناسا آخرين من المختصين و المتفلسفين و المرتابين و المشكاكين، ومرضىٰ القلوب والعقول.

و ثالثها: إن بعضهم لم يكن تكوينه العلمي يسمح له بالتوسع للرد علىٰ أصول الفلسفة وجزئياتها، لقلة زادهم العلمي في العلوم الشرعية والعقلية. ورابعها نفور الكثير منهم من الفلسفة و علوم الأوائل، لاختلاطها بالسحر والتنجيم، والشركيات والوثنيات القديمة، ولمعارضتها لكثير من حقائق الدين، جعلهم ينفرون منها، ويكتفون بذمها، والتحذير منها، دون التوسع في الرد العلمي عليها.

ثالثا: رفض المنطق الأرسطي المشائي:

رفض أئمة علماء أهل السنة المنطق الأرسطي المشائي ضمن رفضهم لفلسفة اليونان، ومقاومتهم لها، فهجروه وزهدوا فيه، لقصوره ولكنته وعجزه، وعدم ضروريته، واختلاطه بالفلسفة.

ولقد كان لنقد كبار علماء السنة لكبار الفلاسفة أثره، وهو عمل هام جدا، ساعد علىٰ تحطيم كبرياء هؤلاء، وإذهاب تعظيم الناس لهم. كما أن تركيزهم علىٰ انتقاد خصائص الفلسفة اليونانية، و منهجها الفكري، هو عمل في غاية الأهمية، فبفضله تبين أنها -أي الفلسفة اليونانية- تفتقد إلىٰ العلمية والدقة و الإتقان، لأن قسما كبيرا منها يقوم علىٰ الظنون الكاذبة والأقيسة الفاسدة والقول علىٰ الله بلا علم.وفلسفة هذا هو حالها ومنهاجها، لا شك أنها باطلة في عمومها، خطؤها كثير وصوابها قليل.

رفض الشافعي للكتب المترجمة كان بعد اطلاع عليها:

قال الدكتور النشار: إن المنطق كان قد نقل إلىٰ العالم الإسلامي قبل عصر الشافعىٰ بكثير - ومن المحتمل أن يكون قد اطلع عليه، خاصة وأنه درس من ناحية علم الكلام كما يعترف هو بنفسه « لو أردت أن أضع علىٰ كل مخالف كتاباً كبيراً لفعلت. ولكن ليس الكلام من شأنىٰ». واشتغل من ناحية أخرىٰ بعلم النجوم. وهذان علمان نظريان لا بد لباحثهما من أن يكون عرف مناهج

البحث العلمية التي كانت معروفة في زمنه.

ولقد كان الشافي علىٰ معرفة باللغة اليونانية، علىٰ ما يذكر أبو عبد الله الحاكم في كتابه مناقب الشافعىٰ -الباب الرابع والعشرون- من أن الشافعىٰ كان يقول حين سأله الرشيد عن علمه بالطب «أعرف ما قالت الروم مثل أرسطاطاليس ومهراريس وفرفوريوس جالينوس وبقراط وأسدفليس بلغتتهم».

ولم يكن موقف الشافعىٰ من المنطق الأرسطاليسىٰ سلبيًا فحسب، فاقتصر علىٰ عدم التأثر بالمنطق الأرسطاليسىٰ بل كانت فيه ناحية إيجابية هي مهاجمة المنطق الأرسطاليسىٰ مهاجمة شديدة تصل به إلىٰ حد التحريم[1].

ولقد جاءت في كتاب ذم الكلام وأهله للهروي نقول مهمة عن أعلام هذا الجيل، يذمون فيها تلك الكتب المترجمة، وكان الذم منصبا بالدرجة الأولىٰ علىٰ علم الكلام والمنطق؛ فإن هذه العلوم هي ما ظهر وشاع حينئذ، وطار شره وشرره فكانت فتنة خلق القرآن وغيرها، فإذا كان هذا شأن المنطق وعلم الكلام، فما بالنا بالتنجيم والسحر وعبادة الكواكب، لا شك أنها تدخل في كلامهم من باب أولىٰ.

وقال عبد الله بن داود الخريبىٰ: »سألت سفيان الثورىٰ عن الكلام، فقال: دع الباطل؛ أين أنت عن الحق؟! اتبع السنة ودع الباطل».

---

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي: الدكتور علي سامي النشار ص٨٣.

وقال أحمد بن مهدىٰ: »سألت أبا جعفر النفيلىٰ عن الخوض في الكلام؛ فقال: سئل الأوزاعىٰ عنه، فقال : اجتنب علمـًا إذا بلغت فيه المنتهىٰ نسبوك إلىٰ الزندقة، عليك بالاقتداء والتقليد«.

وقال ابن المبارك: » من كان عنده كتاب الحيل فعمل بما فيه؛ فهو كافر«، وكتاب الحيل هو كتاب ألفه بنو شاكر المنجمون، فيه شرح لآلات هندسية، وعلم الحيل ارتبط عند القدماء بالوثنية والسحر.

قال أبو حنيفة : »لعن الله عمرو بن عبيد؛ فإنه فتح للناس الطريق إلىٰ الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام، وكان أبو حنيفة يحثنا علىٰ الفقه، وينهانا عن الكلام«.

قال المزنىٰ : سمعت الشافعىٰ يقول للربيع: أقبل منىٰ ثلاثة أشياء: لا تخوضن في أصحاب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، خصمك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة، ولا تشتغل بالكلام فقد اطلعت من أهل الكلام علىٰ التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم؛ فإنه يجر إلىٰ الكهانة«.

قال لي أبو عمر الضرير: »العلم بالكلام بمنزلة التنجيم، كلما كان صاحبه أزيد علما، كان أشد لفساده«[1].

(١) انظر ذم الكلام وأهله: للهروي ج ٣ص ١٦٣ وما بعدها تحقيق عبد الله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ه=١٩٩٨م.

ومن احتساب أئمة أتباع التابعين ترك الرواية عمن له اتصال بالجن باي وجه:

قال الطحاوي: حدثنا يونس بن عبدالاعلىٰ، قال: قدم علينا يغنم بن سالم مصر، فجئته فسمعته يقول: تزوجت امرأة من الجن، فلم أرجع إليه[١].

(١) هو يغنم بن سالم بن قنبر.مولىٰ علىٰ رضىٰ الله عنه.أتىٰ عن أنس بعجائب، وبقىٰ إلىٰ زمان مالك.حدث عنه محمد بن مخلد الرعينىٰ، وأحمد بن عيسىٰ التسترىٰ، وعبد الغني بن رفاعة، وطائفة.قال أبو حاتم: ضعيف.وقال ابن حبان: كان يضع علىٰ أنس بن مالك.وقال ابن يونس: حدث عن أنس فكذب.وقال ابن عدىٰ: عامة أحاديثه غير محفوظة.راجع ميزان الاعتدال - (ج ٤ / ص ٤٥٩).

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، ١٤٢١ه.

٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ».

٤. شرح صحيح البخارىٰ: لابن بطال، تحقيق ياسر الصبيحي، مكتبة الرشد.

٥. الجامع لأحكام القرآن: أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤مـ.

٦. أحكام القرآن: أبوبكر أحمد بن علي الجصاص تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي..

٧. المنتقىٰ شرح الموطأ للباجي، مطبعة السعادة ١٣٣٢ه.

٨. الشرح الكبير علىٰ متن المقنع: لابن قدامة، إشراف محمد رشيد رضا، دار الكتاب العربي.

٩. جامع العلوم والحكم: لابن رجب، تحقيق ماهر الفحل، دار ابن كثير، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩ه=٢٠٠٨م.

١٠. مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، خرج أحاديثه أحمد محمد شعبان، مكتبة الصفا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

١١. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلسفة ومنهجه في عرضها: الدكتور صالح بن غرم الغامدي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤ه=٢٠٠٣م.

١٢. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي: الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، دار الوراق.

١٣. مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي: الدكتور علي سامي النشار، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

١٤. الشفا لابن سينا الرياضيات وعلم الهيئة: تصدير الدكتورا براهيم ببومىٰ مركور، تحقيق الدكتورمحمدرضا مدور، الدكتور إمام ابراهيم أحمد ص٩، من منشورات مكتبة من يسمونه اية الله العظمىٰ المرعشي النجفي.

١٥. التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: الدكتور عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولىٰ، ١٩٦٩م.

١٦. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار، منشورات جامعة القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٧. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية: خالد علال، دار المحتسب، ٢٠٠٨م.

١٨. العبر في خبر من غبر: لشمس الدين الذهبي تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥مـ.

٢٠. الوافي بالوفيات: للصفدي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠مـ.

٢١. فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم: ابن طاووس، منشورات الرضي قم، ١٣٦٨هـ=١٩٤٩م.

٢٢. ذم الكلام وأهله: للهروي، تحقيق عبد الله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ه=١٩٩٨م.

٢٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علىٰ البجاوي، دار المعرفة.

الفهرس

مقدمة المجموعة ٥

الخطة العامة للكتاب ٩

المدخل ١٠

أولا: الحسبة: تعريفها، وأهميتها ١١

ثانيا: أهمية الاحتساب في أمر السحر والكهانة والدجل والشعوذة..... ٢٣

البحث الأول ٢٧

الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند الأنبياء عليهم

وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ٢٧

مقدمة ٢٨

المقدمات ٣١

المقدمة الأولىٰ: ٣١

المقدمة الثانية: للسحر تاريخ قديم ٣٣

المقدمة الثالثة: أول من اتهمه قومه صراحة بالسحر من الأنبياء..... ٣٥

المقدمة الرابعة: عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والسحر ٣٧

المقدمة الخامسة: معجزات الأنبياء ٣٧

المبحث الأول: احتساب أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

علىٰ السحرة والمنجمين ٤٤

المطلب الأول: إثبات تعاطي قوم إبراهيم السحر مع عبادة الكواكب ... ٤٦

المطلب الثاني: احتساب خليل الله إبراهيم علىٰ السحرة وعبدة

الكواكب ٥٢

المبحث الثاني:احتساب موسي الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة

والكافرين ٧٠

المطلب الأول:احتساب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ فرعون وملائه ٧٣

المطلب الثاني: احتساب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة..... ٨١

المبحث الثالث: احتساب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة والشياطين ... ١٠١

المطلب الأول: من الذي نشر السحر زمن سليمان..... ١٠٣

المطلب الثاني: احتساب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ السحرة والشياطين ١٠٦

المبحث الثالث: احتساب نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحرة والكهان ١١٠

المطلب الأول: احتسابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السحرة ١١٢

المطلب الثاني:احتساب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الكهان والكهانة ١٢٦

المطلب الثالث:احتساب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المنجمين ١٤٢

المطلب الرابع: احتسابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الشياطين.....١٤٦

المراجع ١٥٦

البحث الثاني: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين

عند أصحاب النبي العدنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ١٦١

مقدمة ١٦٢

المبحث الأول: احتساب الصحابة الإطهار علىٰ السحر والسحرة

الأشرار.....١٦٧

المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي علىٰ السحر والسحرة.....١٦٨

المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي علىٰ السحر والسحرة ١٨٨

المبحث الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ الكهانة

والكهان وأعوانهم من الشياطين ومردة الجان.....١٩٠

المطلب الأول: احتساب الصحابة الكرام علىٰ الكهانة والكهان اللئام ..١٩٣

المطلب الثاني: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ الشياطين

أعوان السحرة والكهان والعرافين ٢٠٨

المبحث الثالث: احتساب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين علىٰ

التنجيم والمنجمين ٢١٥
المطلب الأول: احتساب الصحابة العملي علىٰ التنجيم..... ٢١٦
المطلب الثاني: احتساب الصحابة القولي علىٰ التنجيم ٢١٩
المراجع ٢٢٢
البحث الثالث: الاحتساب: على السحرة والكهان والمنجمين
عند خيار التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ٢٢٦
مقدمة ٢٢٧
المبحث الأول: احتساب خيار التابعين علىٰ السحرة الماكرين..... ٢٢٨
المطلب الأول: الاحتساب العملي للتابعين علىٰ السحرة ٢٢٩
المطلب الثاني: احتساب خيار التابعين علىٰ السحرة قوليا علميا ٢٣٠
المبحث الثاني: احتساب التابعين علىٰ الكهان الضآلين ٢٣٨
المطلب الأول: احتساب خيار التابعين العملي علىٰ المختار الكاهن .. ٢٤٠
المطلب الثاني: الاحتساب القولي العلمي للتابعين: علىٰ الكهان
المارقين وأعوانهم من الشياطين ٢٦٠
المبحث الثالث: احتساب خيار التابعين وتحذيرهم من التنجيم..... ٢٦٤
المراجع ٢٧٠

البحث الرابع: الاحتساب على السحرة والكهان والمنجمين عند

أئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ٢٧٤

مقدمة ٢٧٥

المبحث الأول: احتساب أئمة اتباع التابعين علىٰ السحرة الطاغين ٢٨١

المبحث الثاني: ترجمة الكتب اليونانية وبيان اشتمالها علىٰ السحر وعبادة الكواكب ٢٨٦

المبحث الثالث: احتساب أئمة أتباع التابعين علىٰ الكتب المترجمة وما حوته من سحر وتنجيم وضلال ٣١٢

المراجع ٣١٩

الفهرس ٣٢٢